

رحلة ابن جبير إلى اندلس

دراسة فخر الدين سلاوي

د. إبراهيم عوض
أدب عين شمس

١٤
٢٤٩ ٥٢

١٩٩٢

١٥٧
١٩٩٢

رحلة ابن جبير من أشهر الرحلات في الأدب العربي، ولها هي ورحلة ابن بطوطة أشهرها على الإطلاق.

وقد افتتح لى من خلالها باب على خنيا من العادات والتقاليد والأوضاع السياسية والتعليمية وعن الصلابة وشعائر الحج وطرق التوافل في مصر والجزيرة العربية والعراق والنام في عصر ابن جبير مودة بالحياة، شغتي شدا لم أستطع له مقاربة حتى فرغت منها وأنا لسف كيف البال لأنها لم تطل أكثر من ذلك.

وزاد من اعتملى بهذه الرحلة أن ابن جبير، في طريقه من الإسكندرية إلى القاهرة، قد مر على مقربة من المكان الذي تقع فيه قرية " كلمة الغلبة " (بمحافظة الغربية) (١)، إذ كان من بين المدن والقوى التي اجازها حينذاك قرية " برما " (" برمة " في الرحلة) المشهورة بحسبها التي ضربت بها الأمثال، وهي تبعد عن قريتنا بنحو ثمانية كيلومترات لاغير. كما توقف في طنطا (" طنطا " آنذاك)، وعلى في أحد جوامعها. ولعله من الجوامع التي صليت فيها أنا أيضا. فقد تلقيت تعليقى أثناء المرحلتين الإعدالية والثانوية في تلك المدينة، وكنت ولا أزال كثير التردد عليها والشعور بأننى أثر على نفسى وأسترد ماضى حين أنجرت لها، وبخاصة في شوارعها وجوارها حيث سكنت وسرت ولبيت وحزنت وسُرت في هذه المرحلة الحساسة والحاسمة من عبرى.

وقد نالت رحلة ابن جبير اهتمام الدارسين من عرب ومستشرقين، وكلهم أثنى عليها وعلى أسلوبها: فزليت أن أدرس هذا الأسلوب وأحله إلى عناصره الأولى: من مفردات، وصيغ ألفاظ، وعبارات، وتركيب، ووسيقى، وصور، ووصف، وفكاهة.

لا أدري أكان لقرئى وجود في ذلك الحين أم لم تكن قد وُجدت بعد.

٩ من كَتَبَ رحلة ابن جبير

قبل أن نتحدث عن أسلوب الرحلة لابد أولاً من مناقشة مدى صحة أو فساد الادعاء القائل إن ابن جبير لم يكتب رحلته هذه بنفسه ، وإنما المضمون له والصياغة لغيره . وصاحب هذا الادعاء هو أبو الحسن الغلطي (١) ، الذي ذكر لسان الدين بن الخطيب نقلاً عن ابن عبد الملك المراكشي أنه " كان يقول إنها ليست من تصنيفه (أي ابن جبير) ، وإنما قد مَنَّ على مَنعته ، فتولى ترتيبها وتنقيح معانيها بعض الأخفين عنه على مِثْلَاقه منه " (٢) . وهو كلام واضح الدلالة على أن ابن جبير ليس هو مؤلف الرحلة التي بين أيدينا ، أي أن الأسلوب الذي صيغت به ليس أسلوبه هو ، فصوره فيها على هذا ليعلم أن يكون كدور ابن بطوطة ، الذي قام بحكاية مآرآه رسمه في رحلته على ابن جزى ، وصاغ هذا الأخير بأسلوبه ملحماء له الرحالة المشهور . ومن هنا فلا وجه للاحتمال الذي حاول المرحوم عبدالقدوس الأنصاري صرف الكلام إليه ، إذ قال إنه " ربما كان ما تحدثت به أبو الحسن الغلطي .. إنما يعنى به أن هذا الأخذ عن ابن جبير إنما قام بنسخ كتاب الرحلة بخط يده نسخاً جيلاً وإضاحاً خالياً من الشطب والكشط ، ليبرز نسخة الكتاب في حلة قشينة بخلاف مسودته الحزينة للكشط والشطب والحواشي والمخالات والخرجات والهوامش على ملامح معروف من صنع المؤلفين الأسبقين مع تلاميذهم الذين لديهم وعلى طيب ويحسنون الخط فيصفون مسودات مشايخهم بخط جميل " (٣) . ذلك أن

١- في الطبعة الأولى للرحلة (ط . مطبوع في مكنى الكيسى بدمشق ١٢٢٦هـ - ١٩٠٨م) نقلاً عن ترجمة ابن جبير في " الإحاطة " لسان الدين بن الخطيب (ذكر اسمه مكاناً : " أبو الحسن الغلطي (بالراء) لا الغلطي) بالتال ، وكذلك في مقدمة حسين نمل لرحلة ابن جبير أيضاً (بحقيقة ، صفحة / ط ١ على ما قال عبدالقدوس الأنصاري (مع ابن جبير في رحلته / ط ١ الطبعة العربية الحديثة / القاهرة / ١٣٩٦م - ١٩٧٦م) ص ٤١) . وأحب أن أليه من الآن أننى إنما استعملت هذه الطبعة فأسلمها " الطبعة الأولى " . أما إذا قلت " الرحلة " أو " رحلة ابن جبير " بدون الاختصاف لئلا على الطبعة أو رقم الصفحة فيكون المقصود طبعة دار مطر ودل بيروت ، وهي التي سيكون حال اعتمادى عليها .

٢- لسان الدين بن الخطيب / الإحاطة في أخبار غرناطة / تحقيق محمد عبد الله عنان / مكتبة الخانجي / مجلد ٢ / ص ٣٢٠

٣- عبدالقدوس الأنصاري / ٣٦

ولعل هذه أول مرة يُدرس فيها أسلوب ابن جبير بهذه المنهجية وذلك التفصيل . ورجائي أن تكون قدمت شيئاً نافعاً للأدب والتقد . والله الهادي إلى سواء السبيل .

رحلة ابن بطوطة () ، الذي أشار إلى هذا بمتى الوضوح ، والذي عندما كان يضيف شيئا من عنده لم يحكه له ابن بطوطة كان يضمن عليه قائلا : " قال ابن جزي "

إن الأمر على العكس من هذا تماما ، فلبن جيز يضمن في أول رحلة على أنه " ابتسى " بفتحها يوم الجمعة الموفى ثالثين لشور سنة ثمان وستين وخمسائة على متن البحر بمطالبة جبل شلتر ، عرفنا الله السلامة بهـ (١) ، كما يقول في آخرها : " فكانت مدة مقامنا من لندن خروجنا من غرناطة إلى وقت إيلينا هذا عشرين كلمين وثلاثة أشهر ونصف ، والحمد لله رب العالمين " (٢) . فهذان النصف دليل على أنه كان يسجل مشاهداته ومسوداته وأحليسيه وأفكاره أولا بأول ، بأسلوبه هو على سبيل التفصيل ، لا الإجمال بنية دفعها بعد ذلك إلى من يعيد له صياغتها . ثم إن مثل قوله في أثناء الكلام عن مشاهد الصحابة في مصر : " والمثيد (٣) يبرأ من القطع بصفة ذلك ، وإنما رسم من أسماهم ما وجدته مرسوما في تواريخها " (٤) ، وقوله عن النوص لعبد اللؤلؤ في البحر الأحمر عند ميناء عيذاب : " وأران النوص عليه في هذا التاريخ المقيمة فيه هذه الأحرف ، هو شهر يونيه الحجي والشهر الذي يتلوه " (٥) ، وقوله في سياق حديثه عن الكعبة : " وقد كان المقام المطهر أخرج من وضعه المستحقت في البيت العتيق حسبما تقدم الذكر أولا له فيما سلف من هذا التقييد - " (٦) ، وقوله عن غار ثور : " وقد تقدم ذكر الغار وصفته أولا في هذا التقييد " (٧) ، وقوله وهو يبعثك : " وكما قد شاهدنا بمكة

١- رحلة ابن جيز / دار صادر ودار بيروت / ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م / ص ٧

٢- الرحلة / ص ٣٢٠ ، وفيه لاسم الإشارة للقرى في قوله : " إلى وقت إيلينا هذا " ، فهو دليل موثق على ما تقول .

٣- أي " كاتب هذه السطور " كما تقول نحن الآن .

٤- الرحلة / ص ٣٢

٥- الرحلة / ص ٤٦

٦- الرحلة / ص ١٣١

٧- الرحلة / ص ١٣٩

٤

الكلام المنسوب لـ أبي الحسن الشاذلي إنما هو عن التصنيف لا النسخ . (١) وبالمناسبة ، قال هذا الكلام هو ابن عبد الملك لا لسان الدين بن الخطيب ، كما فهم الأستاذ عبد القادر الأنصاري (٢) . إنما ابن الخطيب مجرد حاك . وقد عقب لسان الدين بن الخطيب على ما نقله ابن عبد الملك بقوله : " والله أعلم " بلفظ أنه غير مطمئن له . ولم أر أحدا من القدماء ، غير ابن عبد الملك وابن الخطيب ، قد ذكر هذا الادعاء . أما في العصر الحديث فقد أورد الزركا في ترجمته لابن جيز في " الأعلام " ، ود حسنى محمود حسين ، الذي لم يكف بيلوك الادعاء ورجعه أيضا (٣) ، وكذلك الأستاذ حمد الجاسر ، الذي قال عن ابن جيز إنه " كتب بعض مشاهداته في إحدى رحلاته إلى الشرق فيما بين سنتي ٥٧٨ هـ و ٥٨١ هـ ، فتولى أحد تلاميذه فيما يقال تحرير الرحلة المعروفة باسمه " (٤) أما الأستاذ الأنصاري فقد وثق ذلك (٥)

إن من الصعب للغاية متابعة أبي الحسن الشاذلي ذاك على مقاله . ذلك أنه هو الوحيد الذي قال هذا عن رحلة ابن جيز دون سائر من كتبوا عنها . ولا أدرى في أي طرف قال الشاذلي كلام هذا ، ولا من أين استفاه ، ولا على أي أساس قاله . إنما هو مجرد دعوى خالية من أي دليل . أكرر من هذا أنه لم يذكر لنا اسم من ادعى نقله بتصنيف الرحلة ولا صكه بلبن جيز . لو كان كاتب الرحلة شخصا آخر فلم لم يقل ذلك في أثناء كتابته لها ، كما فعل ابن جزي (كاتب

١- لاحظت أن العبارة النسبوية إلى أبي الحسن الشاذلي والتي نقلها الأستاذ الأنصاري من " الإحاطة " تقول : " وتولى ترتيبها وتنفيذ ما نقلها بعض الآخرين عنه " ، ولا أدري من أي طيبة نقل الأستاذ الأنصاري . أما اللبنة التي وجدت إليها فتقول : " - وتصنيف ما نقلها " . وهذا هو الألبين بالكلام والبيان ، إذ المسألة " تثبت " و " تثبت " .

٢- انظر عبد القادوس الأنصاري / مع ابن جيز في رحلته / ص ٦٢

٣- انظر عبد القادوس الأنصاري / ص ٦٢

٤- حمد الجاسر / ماخص وحظي ابن عبد السلام الدرعي العنوس / ط ٢ / دار الرفاعي للنشر والجامعة والتوزيع /

٥- ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م / ص ١٩

٦- انظر " مع ابن جيز في رحلته " ٦٢-٦٧ .

أنت في فورة نشاطه الكلبى والأدبى ، فما الذى يوجهه إلى أن يسلم رحلته إلى من يموئها له بأسلوبه ؟ إن ابن جرّير مثلا ، كاتب رحلة ابن بطوطة ، كان كاتباً دبلوماسياً لدى الأمير الذى رغب فى أن تستجّل له تلك الرحلة ، أما ابن بطوطة فلا يعمد أحد بين الكُتاب أو الشعراء . لكن الأمر بخلاف ذلك تماماً فى حالة ابن جرير . لقد كان هو كاتباً من كُتاب اللوامين ، وكان فوق هذا أيضاً شاعراً .

هل يكون صاحب الدعوى التى نحن الآن بصدها قد وهم من كُلام ابن جرير عن نفسه فى بداية تسجيله للرحلة . بضمير الغائب (١) أن غيره هو كاتبها ؟ إننى أستبعد ذلك ، فالنفسى يقول : " وكان اتصال أحمد بن حسان ومحمد بن جرير من غزاة حوسها الله ، للنية الصجارية الباركة . أول ساعة من يوم الخميس الثامن لشرال المذكور وبموافقة اليوم الثالث لشهر ربيع الأعجمى " . ومن السهل ، كما هو واضح ، أن نرى فى إشارة ابن جرير إلى نفسه بضمير الغائب وتأخيره اسمه عن اسم موافقه لونا من التواضع المنسجم مع مانعوه من تفصيلات ترجمته وسمل شخصيته لا أكثر (٢) . وهو على أية حال سرعان ما أخذ يتحدث عن نفسه بضمير المتكلم وظل طوال الرحلة يستعمل هذا الضمير . على أن الأهم من ذلك أن فى النص نفسه بوحنا ليزد على أن ابن جرير كان يقيد حركات رحلته تقيماً نهائياً أولاً بأول . إذ ورد فيه الدعاء إلى الله أن يسر الرحلة ويسهلها - إلخ . ويستحيل أن يكون هذا الدعاء قد قيل بعد انتهاء الرحلة . وهذا أمر يتبين لإقبال المجتلة .

ومثل هذا الدعاء قد تكرر فى مواضع مختلفة من الرحلة ، كقوله وهو بعصر فى طريق الذهاب إلى البلد الحرام : " استهل حاله (ملال شهر المحرم) ليلة الثلاثاء ، وهو اليوم السادس



١- الرحلة / ص ٧ / سطر ٣

٢- تنبه إلى هذه الدلالة الأستاذ عبدالقدوس الأتصادى . انظر كتابه عن رحلة ابن جرير / ص ٢٤

والسنية - مجالس من قد ذكرناه فى هذا التقييد (١) ، وقوله عن الأمير مسعود (٢) : " تقسم ذكر غناك فى الإسلام فيما مضى من هذا التقييد " (٣) يؤكد أنه هو الذى صاغ الهم بأسلوبه . (أو بتعبيره هو " قيسما ") ، وأن كان ذلك يتم أولاً بأول .

كذلك فإن ناسخ مخطوطة الرحلة التى اعتمد عليها دار ملبر ودار بيروت فى النشر ، وعبدالقادر بن عبدالوهاب بن عبدالمؤمن القرشى ، قد صرح فى آخر المخطوطة بالإيتمل هذا من شك أو تأويل أن الرحلة من " تأليف " ابن جرير (٤) . والنفهم أنه قد نقل نسخته م المخطوطة الأولى أو من مخطوطة نقلت عنها أو عن مخطوطة ترجع إليها . ولو كان قد ذكر فى إحدى هذه المخطوطات أن مولف الرحلة هو شخص آخر غير ابن جرير ما قلت النسخ ذلك .

ثم ما الذى سيحصل ابن جرير بعد بعينة رحلته إلى غيره وهو الأديب الكلبى الشاعرو ؟ قال إن أسلمة بن مقف مثلاً ، وهو الشاعر المشهور ، قد حكى منكراته على من كتبها له (٥) . لكن ينبغي ألا يغيب عن بالنا أن ابن مقف إنما فعل ذلك فى أخباريات حياته بعد أن تقمعت به السن وأن المبكرات ليست مصورة فى أسلوب أدبى مشرق ، بل كتبت كما حكيت باللهجة العلمية التى لايراضى فيها جمال صياغة ولا صحة لغة .

أما ابن جرير فلم يكن قد بلغ الأربعين بعد حين قام برحلته ، التى استغرقت عامين وربع عام تقريباً ، وله فى الرحلة أعمار كثيرة ، كما ظل ينظم الشعر إلى أخريات حياته ، بل إنه كان قد ترك لتوّه الكلبية (اللبونية) لبني سعيد بن عبدالمؤمن صاحب غزاة ، مما يدل على أنه كان

١- الرحلة / ص ٣٠٠

٢- هو فى الحقيقة قلع أرسلان السلجوقى ابن مسعود هذا المسود ذلك .

٣- الرحلة / ص ٣١١

٤- الرحلة / ص ٣٢٠

٥- انظر مقممة فليب حتى للذكرات المسماة بـ " كلب الاجنار " / مطبعة جامعة برنستون الأمريكية / ١٩٣٠ / تحرير فليب حتى / ص (ت) من مقممة المحرور .

شفيما لنا يوم القيلة - إلخ" (١).

أعتقد أن هذا كله دليل لا يفتش على أن ابن جبير هو الذي كتب رحلته بقلمه هو وأسلوبه، وأن ذلك كان يتم أولاً بأول.

وقد حاول د شوقي صيف أن يوفق بين كون ابن جبير هو الذي كتب الرحلة بقلمه وبين الرواية التي تشير إلى تلميذه، فقال: "ويظهر أنه (أي ابن جبير) كتبها في أوراق منفصلة ولم يجهها بنفسه، بل جهها بعض تلاميذه ونشرها بعد وفاته" (٢). وهو مجرد اجتهاد منه لم يثبت أن يعطج به فقال: "ويظهر... إلخ".

لأن فأسلوب الرحلة هو أسلوب ابن جبير نفسه. ونحسب الآن أن نحلل هذا الأسلوب لتتوقف على سملته التي تتوقف بينه وبين غيره من أساليب الكتاب الآخرين. والحق أنني لم أصلاف من تتوفر على درس هذا الجانب من أدب ابن جبير، اللهم إلا ملاحظات عامة وسريعة في غالب الأحيان هنا وهناك، من مثل قول ابن عبد الملك الرازي إن ترسيه ببيع (٣)، وهو نفس ماوصف به لسان الدين بن الخطيب نثره، مضياً أن كلامه المرسل سهل حسن ورحلته نسيجه وحدها (٤). ويقول المغربي (وردهما بعده المعرى بنس ألفاظها) إنه "غنى بالأدب فبلغ الغاية فيه، وقدم في صنعة القريض وصناعة الكتابة" (٥). وقريب جداً من ذلك ماأوردته النظمي في "سير أعلام النبلاء" تنقلا عن الأثير، الذي قال في ابن جبير إنه "غنى بالآداب فبلغ فيها الغاية، وبرع في النظم والنثر" (٦).

١- ص / ٨١.

٢- د شوقي صيف / الرحلات / ط ٢ / دار المعارف بمصر / ٨١.

٣- انظر "الإحاطة" / مجلد ٢ / ص ٣٢١.

٤- انظر "الإحاطة" / مجلد ٢ / ص ٣٢١.

٥- انظر "رحلة ابن جبير" ط ١ / ص ١٩٩ من المقدمة، و "نفخ الطيب" / د ٢ / ص ١٤٢.

٦- سير أعلام النبلاء / تحقيق د بشار معروف ود محيى السرحان / مؤسسة الرسالة / د ٢٢ / ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م / ط ١ / ص ٤٦.

والعشر من أبريل ونحن بمصر. يسر الله علينا مولنا" (١). والمول المقصود هو الصبح مما يقطع بأن الصبح لم يكن قد تم بل ولا مجرد الوصول إلى مكة. ولو كانت الرحلة قد أملت بعد عودته لحل حمد الله مثلاً محل هذا الدعاء ومثله قوله وهو بقوس (في رحلة النهاب): "استهل هلاله (هلال صفر) ليلة الأربعاء... ونحن بقوس نروم السفر إلى عيذاب، يسر الله علينا مولنا بمكة وكرمه" (٢). وقوله عن عبور البحر الأحمر من الشاطئ المصري إلى جدة، وكان عبوراً صعباً: "والله يسهل لنا كل مصعب ويسر لنا كل عسير بعزته وكرمه" (٣). أما بعد الوصول بالسلامة إلى إحدى الجزر في عرض البحر فقد تغيرت نفمة الكلام إلى "وله الحمد والشكر على ذلك" (٤). وهو يشبه ماقل عند بلوغ جدة، إذ قال: "والحمد لله على من به من العصمة وتكفل به من الوفاة" (٥). وبالمثل ففمنما بلغ مكة نراه يدعو بقوله: "فأوزعنا الله شكر هذه المنة... وختم لنا بالقبول" (٦). بمايفيد أنه كتب هذا عند أول وصوله البلد الحرام. أما عنما فرغ من أداء الفريضة فإن دعوته تصبح كالآتي: "فكأنت مدة مقلنا بمكة... من يوم وصولنا إليها... إلى يوم إقلاصنا... ثمانية أشهر وثلاث شهور... جعلها الله لنا، وجعل القبول لها موافقاً لموافاته... والله لا يجعله آخر العهد بحرمه الكريم بنه" (٧). ويشبه هذا الدعاء، في الدلالة على تعلقه بشيء منى ويتم، دعاءه بعد تعلم زيارته للمسجد النبوي الكريم، ونصه: "بأننا الله بزيارة هذا النبي الكريم منزل الكرامة، وجعله

١- ص / ٣٢.

٢- ص / ٤١.

٣- ص / ٥٠.

٤- ص / ٥١.

٥- ص / ٥٢.

٦- ص / ٥٩.

٧- ص / ٦١.

يرصف: أنخل جنتالت بالتيا الرحلة بقوله إنها " أشبه بيوميات سفر صليها ابن جبير أسلوب بارع ، ومزور فيها بكلام سهل بسيط الأجليس التي اعتلجت في نفسه في المواضيع زارها أو عند مشاهدته الآثار التي رآها. وأسلوبه سلس جزل ينم على موهبة فنية أصيلة" (١). ويطلق كراشكوفسكي نوعاً ما الكلام في وصف أسلوب الرحلة ، إذ يقول : " ونعتبر رحلة جبير من الناحية الفنية ذروة ما بلغه نمط الرحلة في الأدب العربي . وإذا كان وصفه للأمر ملاً للقارئ. العسلى فإن أسلوبه يتلذذ بالكثير من الحيوية وسهولة التعبير - لما عود العام فيستهدف الصنعة والأناقاة . وهو كثيراً ما يلجأ إلى السجع الذي يعالجه بالكثير المبالغة دون أن يبالغ فيه أو يضطر القارئ، إلى تكلف الجهد في فهمه . كما يشحن كلامه بالإشارات الأدبية والإشارات العلمية ما يتطلب درجة معينة من المعرفة والاطلاع حتى يفهم ما للقارئ" (٢).

وفي " تاريخ المشهور الإسلامي " يقول بروكلمان وأصفا أسلوب ابن جبير في الرحلة " أسلوب بارع ، ولكنه خال على كل حال من تصنع المحترفين ، من غير أن يتكرر يوماً لفظاً القبيحة " (٣)

ويستبسط شلر بل ، كاتيب مسلاة " إبن جيسر " في الطبعة الجديدة " Encyclopaedia of Islam " (٤)، خصال أسلوب ابن جبير في الرحلة في العبارال التالية : " إن أسلوبه ، وإن كان في بعض الفقرات السردية واضحا ملوفاً بالحياة ع نحو ما هو مشاهد في طريقة المقلتين في عصرنا ، هو أسلوب يطرأ في التيق ويستعين بالمسرح

- ١- أنخل جنتالت بالتيا / تاريخ الفكر الأندلسي / ترجمة د حسين بونس / ط ١ / النهضة المصرية / ص ٣١٧.
- ٢- كراشكوفسكي / تاريخ الأدب الجغرافي العربي / ترجمة صلاح الدين عثمان ماسم / لجنة التأليف والترجمة والنشر / ط ١٩٦٥ / القسم الأول / ص ٣١.
- ٣- تاريخ الشعوب الإسلامية / ترجمة نبيه أمين فارس ونشر الديبكي / ط ٧ / دار العلم للملايين / بيروت / ص ٣٢٩.
- ٤- وهي غير الطبية الأولى التي تترجم مصلها إلى العربية .

في حله الأوصاف العلمية على بلد ما ، أو عند تصويره للمدن التي يمر بها ، وكذلك في التعبير عن المشاعر التي تشبها فيه موهب عاصمة .. ومن ناحية أخرى فإنه بارع في التقاط السمات المميزة والملامح البارزة التي تلفت العين في المجموع الطائفة . وفي هذه الحالات فإن أسلوبه الملون البسيط يفضي على ملاحظه طلباً معرباً تماماً" (١).

وتصف كل من دائرة المعارف البريطانية (ط ١٩٧٢ م) و " دوتيرة المعارف " الملصقة بدائرة المعارف البريطانية الجديدة الرحلة بأنها مبيغت في " أسلوب حي " (٢).

ويقول محمد عبدالله عن ابن جبير قد وصف مكة والكعبة والبيت الحرام والتماسك بإقامة ودقة وحرارة تنيب قلب المؤمن وأسلوب رفيع من البيان الساحر الأختلا . ولقد كتب كثير من الرخل المسلمين في وصف هذه الأماكن المقدسة وأفاضوا وأبهموا . ولكن ينظر أن نجد بين كتابتهم مثل هذا الوصف البليغ المؤثر الذي تركه لنا ابن جبير " (٣).

وفي تاريخه للأدب المغربي والأندلسي في عصر المرابطين والموحدين يقول د عمر فروخ عن ابن جبير إن " أسلوبه في رحلته تثر رصين ، جزل الأنفاظ ، سهل التركيب ، بارع السبك ، موجز بليغ ، يعبر عن شعور بجليز ويتلذذ به . والجانب القصي في رحلته بارع جداً . كما أن أوصافه طريقة ناطقة بماعتبر عنه " (٤).

ويصف د شوقي صيف أسلوب ابن جبير قائلاً إن " الرحلة مكتوبة بلغة سهلة بسيطة ملائمة تماماً لموضوعها . وطريقته في السرد موجهة إلى النفس . وهو يعصف مليشاهمه وصفا دقيقا

- ١- Encyclopaedia of Islam , New Edition , Vol. III , Leiden - London , 1979 , Ent. " Ibn Djubayr " , P. 755.
- ٢- أنظر مادة " ابن جبير : " Ibn Jubayr " في كل من Encyclopaedia Britannica ط ١٩٧٣ / ح ١١ / ص ١١٢١ و 271 , Vol. 5 , The New Encyclopaedia Britannica Micropaedia , ط ١٩٢٠ / ص ٣١١.
- ٣- محمد عبدالله عنان / تراجم إسلامية / ط ٢ / الخليلي / ط ١٩٧٠ / ص ٣١١.
- ٤- د عمر فروخ / تاريخ الأدب العربي / ح ٥ / ص ٦٩.

"ويكاد يجمع الباحثون على أن الأسلوب الذي كتب به (ابن جبير) وصف رحلته من أفضل الأساليب التي كتبت بها الرحلات العربية القديمة" (١).

لما أنا فسيلى فى دراسة أسلوب ابن جبير هو فوز ملىتميز به هذا الأسلوب فى المفردات والمصغ والمبارك والتركيب والتصوير والتوقيع المرسى خيلا خيلا على قدر ملىتمنى ملاحظى وتباهى.

وترك نفسه على مسجته فلم يتكلف فى عبارة ولا فى فكرة ، ولدى ملاحظه من عولطف وأحلى إزاء بعض الحوادث والمواقف لاء ملاحظا صريحا (١).

وقد خلع عبدالقدوس الأتصلى على أسلوب ابن جبير فى الرحلة صفات " الجمال والإبداع و " الوصف الأدبى الممتاز " (٦) ، و " الروعة " و " البلاغة العربية المروقة " (٣) و " البلاد النفرة الوارفة اللال ، والوافرة الجمال " (٤) ، و " الإيجاز غير المخل " فى مواضع وإجابات فى وصف ما " يحوز إعجابه العميق " فى مواضع أخرى (٥) و " الحرية فى وصف البحر " بطريقة " تجعل القارئ يشعر بمشاطرته فى عاقته " (٦) ، و " سيطرة روح المر والنسب عليه فى بعض الأحيان " (٧) ، و " وجود مصطلحات خاصة قد تغض على بعض لهما القراء " إما لأنها ألفاظ مبهورة أو أجنبية دخيلة أو علمية (٨) ، و " الإغراق فى المبالغة والتوبيلات لجنب الأنظار (٩)

هذا ماوقع لى من وصف أسلوب ابن جبير فى الكتب التى حصلت فى يدى وأنا أعد هذا البحث وهى صفات علمة فى الغالب كما هو بين . بيد أنها كلها تجمع أو تكاد على الإعلام من شأنها الأسلوب على غيره من أساليب الرحلات القديمة وهو مالمضه دمحم مصموم محممين فى قوله

١- د شوقى صيف / الرحلات / ٧١- ٧٣.

٢- ص / ٣٩٦.

٣- ص / ٣٩٨.

٤- ص / ٣٩٩.

٥- ص / ٣٠٤.

٦- ص / ٣٠٨.

٧- ص / ٣١٠.

٨- ص / ٣١٥.

٩- ص / ٣٤٨.

المفردات

ونسباً بالفردات. وأول ما يميز به الأسلوب الجبري في هذا الجانب هو تكرر ألفاظ بعضها على مدار الرحلة تكررأ يلفت النظر. ومن هذه الكلمات لفعل "يَقْد" (بمعنى "كتب" أو "سجل") ومشتقاته.

جاء في أول سطر في الرحلة: "ابتدى بـقيما (أى كتابها) يوم الجمعة الموفى لشهر ثوال سنة ثمان وسبعين وخمسائة" (١). ويتحدث عن نفسه وأنه لا يستطيع القطع بشيء في موضوع المحالبة المدفونين في مصر: "والمقْد (بمعنى اسم الفعل، أى كاتب السطور أو مؤلف الكتاب) يقْد بذلك نفسه (يرأ من القطع بمحة ذلك" (٢). ويقول عن مشاهد العلماء والعلماء بمصر أيضا إنها "أكثر من أن تحيط بالتقيد (أى التسجيل) أو تحصل بالإحصاء" (٣). ومنها فى المشاهد الموجودة بجمع مشق: "والمشاهد البليكة فى هذه البلدة أكثر من أن تنضبط بالتقيد" (٤) وفى مواعيد الغوص على اللؤلؤ فى البحر الأحمر: "وأرا أن الغوص عليه فى هذا التاريخ المقيمة فيه هذه الأحرف (يقصد: "فى الوقت الذى كان يكتب فيه تلك السطور")، وهو شهر يونيه الحجى والشهر الذى يتلوهُ" (٥). وعن اقتراح أحد المحنين من مسلمى الأعاجم على أمير مكة فى ذلك الوقت أن يكلف واحدا من لئنه بتسجيل مايقفه هذا المحسن فى تجديد بئر زمزم وبئله، حتى إذا فرغ هذا المحسن من التجديد المطلوب أعطى الأمير مقدار ما أُنق: "وقال: ... ولك علىّ فى ذلك شرط - وهو أن تجعل ثقة من قبلك يقْد مبلغ النفقة فى ذلك - فاهتز الأمير طمعا - وألزمه مقْدا يحصى قليل

١- الرحلة / ص ٧.

٢- ص ٣٣.

٣- ص ٣٤.

٤- ص ٣٥.

٥- ص ٤٦.

لسرته" (١). وفي "معجم مقاييس اللغة" لابن فارس: "التقيّد: معروف، ثم يستعار في كل شيء يخس. يقال: قبيته أقيمه تقيداً" (٢). وفي "القاموس المحيط": التقيّد: جمع أقيّد وفيرد - وقيد الأسنان اللثة. ويقال للفارس: "قيد الأوبيد"، لأنه يلحق الوحوش بسورته - ويقيّد الكلب شكله... وقيد الإيمان الفلك. أي منع من الفلك بالمومن " (٣). ونفس الحكم يصدق على "لسان العرب" و "أسناس الباذغة"، و "أقرب المسوارد" للشرطوني، و "محيط المحيط" للبستاني، و "المعجم الوسيط" و "المنجد" - إلخ.

ومع هذا فقد كانت هذه الكلمة تستعمل في النصوص العربية القديمة في هذا المعنى، معني الكنية والتسجيل وما أثبت. أما الآن قلما تستخدم فيه. إنما أصبحت تستخدم في معانيها الأولى، وهو ربط الإنسان (أو الحيوان) ربطاً ملئياً لمنعه من الحركة أو على الأقل من مغادرة المكان، أو ربط الشخص معنوياً لإزالته بغير معين أو منعه عن عمله. وهذه بعض نصوص ملقها في عدد من الكتب العربية القديمة وردت فيها هذه الكلمة:

جاء في الحديث النبوي: "قبيرا (هذا) العلم بالكتاب" (٤). وقال علي بن موسى بن سعيد (صاحب "المغرب") عن أبيه أنه كان مولماً "بالتقيّد والمطالعة للكتب" (٥). وفي "مستدرك الرحلة والإغتراب" للناسم بن يوسف التجيبي استخدمت هذه الكلمة في هذا

الإعتماد وكثيره... والتقيّد يسود طوابعه بالتقيّد" (١)، كل ذلك ولعل الأثير المذكور

يتطلب ملما وجشعا. وفي النهاية، بعد أن تم التبريم والتحسين، اختفى ذلك المحسن وعاد إلى بلاده، دون أن يسطي الأثير شيئا. وقد لجأ إلى هذه الحيلة لما كان يعلمه من جشع الأثير وأنه لن يمكنه من فعل مليتوى من الخير إلا بالرشوة. وعن كثره عند الهولاج في موكب حرم الأثير المأز ذكره وحرم تولده: "إلى غير ذلك من هولاج لم نستطع تقيّد عنها عجزا عن إحصاء" (٢). وفي الإشارة إلى شيء سلف الكلام عنه في مكان سابق من الرحلة: "حسبنا تقم الذكر... فيما سلف من هذا التقيّد (أي الكتاب)" (٣)، "وقد تقم ذكر هذا الغار وصفته أولا في هذا التقيّد" (٤)، "المتقمة الذكر في هذا التقيّد" (٥) "وقد تقم ذكر غنائه في الإسلام فيما مضى من هذا التقيّد" (٦). وقال مقبا على مصلقه من وصف النساء النضريات وملايسهن في "بلارمة" عاممة "صتلية": "ونعوذ بالله من وصف يدخل مدخل اللغو، ويؤدي إلى إبائيل اللغو، ونعوذ بالله من تقيّد يؤدي إلى تقيّد" (٧).

وقد وجدت عددا من المعالجات اللغوية لأتذكر لهذه الكلمة هذا المعنى الذي أكرر ابن جبير استعمالها فيه، ففي "صحاح" الجوهري مثلا: "التقيّد: واحد القيود. وقد قيت الأدابة. وقيت الكتاب: شكلته... ويقال للفارس الجراك: قيد الأوبيد، لأنه يمنع الوحش من اللوات

- ١- الصحاح / مادة "قيد".
- ٢- معجم مقاييس اللغة / مادة "قيد".
- ٣- القاموس المحيط / مادة "قيد".
- ٤- الدارمي / مقامة / ٤٢.
- ٥- نظر المقرئ / مجلد ٢/ص ٩٩.

- ١- ص / ١٠٥.
- ٢- ص / ١٠٧.
- ٣- ص / ١٢١.
- ٤- ص / ١٢٩.
- ٥- ص / ٢٠٦.
- ٦- ص / ٣١١.
- ٧- ص / ٣٠٧.

المعنى، مورا (١) كما استعمل ابن جزي ، كليب رحلة ابن بطوطة ، هذه الكلمة فعلا واسما في هذا المعنى (٢)

وفي "نفح الطيب" في كلامه عن ابن علية : "رحل إلى المشرق فزوى وقيد - ويقيّد شوارذ المعاني وغرباها" (٣)

وثمة كليب منسوب لأحد المغاربة (وهو عز الدين مجيد بن عبد السلام الهراوي المسترلى ، من القرن السابع والثمن الهجري) اسمه "تقليد على مختصر ابن الحاجب" (٤)

وفي "الرحلة الجزائرية" لمحمد السنوسي (تونس) من العصر الحديث (: "لبيت الأيدي إلى مسودات التقليد" (٥) ، و "تعليقت من بطل الهمة ما استظمت من ججع شمل ما انتثر من تقليد هذا الأندلسي المعتبر" (٦)

ومن الكلمات التي يذكر ابن جبير من استعمالها فسي رحلته كلمة "جفيل" (بمعنى "ممتلئ" ، "مزدحم" و "فخم" ، "هائل" ، وهي "فيل" من "حافل : فاعل" ، التي لم أظلم استعمالها لها ، إنما لعمري ، وإنما لك الشبهة

مثال ذلك قوله عن زحام المسلمين يوم الجمعة في أحد المساجد بطنطا (التي يسميها

١- انظر " مستند الرحلة والاعتراب " / تحقيق عبدالعظيم شعور / الدار العربية للكتاب / ليبيا - تونس / ١٤٩٥هـ - ١٩٧٥م / ص ٤٥٩٤-٤٥٩٣ وإن كان قد استعملها أيضا يعني ضبط الكلمات المبينة بالشكل انظر ص / ٦٥٣٧-٦٥٣٨ مثلا

٢- انظر " رحلة ابن بطوطة " / دار صادر ودار بيروت / ١٢٧٩هـ - ١٩٦٠م / ص ٣٨١٢ وإن كان قد استعملها أيضا يعني ضبط الكلمات بالشكل لنج اللباس . انظر كز لغير فكي / الأديب الجوراني الموصي / القسم الأول / ص ٤٢٥

٣- ح ٣٧٨/٢

٤- انظر عمرو غورخ / تاريخ الأديب الموصي / ح ١/ دار العلم للملايين / بيروت / ١٩٨٢م / ص ٦٠

٥- الرحلة الجزائرية / تحقيق علي الشوفي / ح ١/ الشركة التونسية للنزوح / ١٢٩٦هـ - ١٩٧٦م / ص ٤٢

٦- ص ٤٢

" طائفته " (، ولعله مسجد السيد أحمد البدرى المشهور : " فثمنا الصلاة بموضع يعرف بطائفته ، وهي من القرى الفسيحة الأقاليم ، فأمرنا بها مجما حفلا ، وطلب الضليب بخلية بليّة جلمسة " (١) ، وقوله عن " المدينة " (موضع بين قليب والثامرة) : " وهو موضع أيضا جفيل " (٢) ، وقوله عن الثامرة : " وهي مدينة السلطان الحفيلة المستمة " (٣) ، وقوله عن مبرة الإمام الحسين رضي الله عنه بالثامرة : " قد بُني عليه بيتان جفيل يقصر الوصف عنه ولا يحيط الإدراك به " (٤) ، وقوله في وصف كالم : " كالم مسجوع جفيل الدعاء والثناء " (٥) ، وقوله عن ازدحام السوق التي كانت على أيلمه بين العما والمروة وكان على السباعين بين هذين المشعورين أن يخوضوا في زحاما خوفا ليؤذوا منكم : " وما بين العما والمروة مسيل هو اليوم سوق حيلة بجميع الفواكه وغيرها من الحبوب وسائر البساتين الطافية " (٦) ، وهو نفس الوصف الذي وصف به أسواق مدينة " الحلة " العراقية ، إذ قال : " ولهذه المدينة أسواق حيلة جلعة للرافق المدينة والصناعات الضرورية " (٧) ، وسوق قرية " موصو " (العراقية أيضا) : " وبهذه القرية سوق حيلة ومسجد جامع كبير جيد " (٨) ، وأسواق الجانب الشرقي من بغداد : " والشرقية حيلة الأسواق ، عطية الترتيب ، تشتمل من الخلق على بشو لا يحصيه

١- الرحلة / ص ٣٨

٢- ص ٣٨

٣- ص ٣٨

٤- ص ٣٨

٥- ص ٣٨

٦- ص ٨٥

٧- ص ٨٨

٨- ص ٣٨٢

وتبرز كلمة " البسيط " بمعنى " الأرض البسيطة " ، أى السهل الممتد أو الأرض المهمة الغناء (أيضا بين مفردات معجم ابن جبير . وقد يوزنها : " بسيطة " . كما قد ترد عنده مجموعة : " بَسْطًا " . وأحيانا يصف " البسيط " بأنه " أفيح " . وهذه الكلمة ، كلمة " أفيح " ، هي أيضا من الكلمات التي تكررت في الرحلة على نحو يلتفت النظر . وقد كانت مرتبطة في كل الراجع التي صلتها فيها على نحو أو على آخر مع كلمة " بسيط " : وأحيانا مايستخدم " البسيط " وصفا لا اسماً . وهذه أمثلة على ذلك : يقول في دمنهور (عامسة محافظة البحيرة الآن في مصر) : " وهو بك مسور في بسيط من الأرض أفيح متصل من الإسكندرية إليه إلى مصر . والبسيط كله محوث (أرض تزرع وتُحراث) يمه النيل بفضه . والقوى فيه بيتا وشمالا لاتخصى كثرة " (١) . ويقول عن تجمع الحجيج في عرفات : " فتكامل جمع الناس بعرفات ... و ... وصل أمير الحاج الورقي فغرب ألبته في البسيط الأفيح مما يلي الجانب الأيمن من جبل الرحمة في استقبال القبة " (٢) . ويقول عن " عُفْثان " : " وهي بسيط من الأرض بين جبال " (٣) ، وهو ماقاله عن " حُلَيْس " (قرية من عثمان) : " وهي أيضا في بسيط من الأرض ... وفي البسيط حصن آخر قد أثر فيه الخراب " (٤) . ويقول في الكناية عن كثرة التجمع الحشد وشدة ازدحامه : " يقص بهم البسيط الأفيح ، ويفيق عنهم البهم المحصح " (٥) . ويقول عن إحدى مراحل رحلة العودة إليهم قد نزلوا " في بسيط من الأرض " (٦) . ويقول بعد ذلك مباشرة ، مستخدما

- ١- ص / ٣٨ .
٢- ص / ٣٥٢ .
٣- ص / ٣٦٢ .
٤- ص / ٣٦٢ .
٥- ص / ٣٦٢ .
٦- ص / ٣٦٥ .

إلا الله تعالى الذي أحصى كل شئ عدداً " (١) . وقوله في وصف ليلة الأول من أحد الشهور العربية في المسجد الحرام : " وكانت ليلة استهلال هلاله من الليالي الصغيلة في المسجد الحرام " (٢) ، وقوله في سياق وصفه لمسجد مولد النبي في مكة : " ويأثره (أى يزلزه مكان ولائته صلى الله عليه وسلم) أبواب خيل الترنمة " (٣) ، وقوله في الكلام عن قبر على بن أبي طالب كرم الله وجهه : " وفي هذا المشهد بناء خيل . علسى مآذرك لنا " (٤) . وهو ماقاله عن مشهد " عون وعيين " : " وفي الطريق إلى باب البصرة مشهد حفيصل النبل داخل قبر متسع السام " (٥) ، وقوله في الحديث عن مستشفى : " مارستان خيل " (٦) ، ثم قوله في الإعجاب بولية ذى إليها في عكا : " فأضاف (رئيس إحدى البياض بمكا) جميع أهل القافلة ضيافة خيلة ، وأحضرهم صغيرا وكبرا في غرفة متسعة بمنزله وأطعمهم الطعام من الطعام قدامهم " (٧) ... إلخ .

من هذه النصوص ، وهي مجرد أمثلة ، نرى مدى غرام ابن جبير بهذه الكلمة ، فهو من ناحية يكثر من استخدامها ، ومن ناحية أخرى يستعملها في سياق لاتستخدم فيه عادة . إن من المألوف وصف سوق مثلا بأنه خيل . لكن ابن جبير يصف بهذه الكلمة المقبرة والولية والكلام ، وكذلك المعسكر أيضا ، لا على أنها أمكنة تحفل بالناس ، أى يحتشدون فيها ، بل بوصفها أثرا فيها يملأ النفس دهشة وإعجابا .

- ١- ص / ٢٠٤ .
٢- ص / ٣٨٧ .
٣- ص / ٣٤١ .
٤- ص / ٣٨٩ .
٥- ص / ٢٠٢ .
٦- ص / ٣١٠ .
٧- ص / ٣٧٥ .

و"بساط" (١). وفي "معجم مقاييس اللغة" لابن فارس "البَسَاط : الأرض ، وهي البسيطة . يقال : مكان بسيط وبَسَاط ، وهو بسيط الجسم والباع والعلم" (٢). وفسى الفيروز ابلدى :

"البساط (بالفتح) : المنبسطة المستوية من الأرض كالبيسطة والأرض الراسمة . وتكثر كالبيسط - والبسيطة : الأرض" (٣).

وقد كان من تأثير كثرة استعمال هذه الكلمة ، فيما يبدو ، فى رحلة ابن جبير ، التى رجع محمد رشيد رضا إليها وأقتبس منها فيما كتبه عن رحلته إلى أرض الجزائر للحج ، أن وجدت هذا الأخير قد استخدمها فى وصف عرفات ثلاث مرات على الأقل : (هكذا : " بسيط عرفات ") (٤) .
والذى جعلنى أفرز هذا إلى تأثير ابن جبير أن رضا لم يستعمل هذه اللفظة ، فيما تبين ، على مدى رحلته كلها التى جُمعت فى كتاب بعد وفاته ، إلا فى هذه الصفحات التى تلت ما نقله من كلام ابن جبير المتقدم ذكره عن عرفات ، وفيه فيها " بسيط من الأرض " (٥) . وأكد هذا عندى أنه فى كلامه عن نفس موضوع عرفات ، فى سياق إشارته إلى كتاب " دليل الحاج " لمحمد باشا صديق ، عدل عن كلمة " بسيط " إلى قوله : " سطح البقعة المستوية من عرفات " (٦) ، مثلاً أغلب القائلين بعبرة محمد باشا صديق نفسه .

ومن الألفاظ التى تكررت فى رحلة ابن جبير كلمة " تملدى " ، التى يستعملها بمعنى " استمر " ومنه بعض الشواهد على ذلك : " تملدى عصف الرياح واشتدت حاككة الظلمة وعمت

١- الصحاح / مادة " بسط "

٢- معجم مقاييس اللغة / مادة " بسط "

٣- اللئوس المحيط / مادة " بسط "

٤- رحلات إمام محمد رشيد رضا / جميع وتحقيق د يوسف ليس / المؤسسة العربية للدراسات والبحوث ط ١ / ١٩٧١

٥- المرجع السابق / ص ١٥٥

٦- المرجع السابق / ص ١٥٩

اللفظة ومما : " ثم رحلنا فى مهمه أفيح بسيط مبتدئ البحر " (١) . ويقول عن " نجد " : " وما أرى أن فى العمود أرضاً أنفح بسيلاً ولا أوسع لنا ولا أليب نسيماً - ولا أحسن اعتدالاً فى كل الأزمان من أرض نجد " (٢) . وعن قرية " القرائش " الواقعة يقول : " وحوها بسيط أخضر جيل المنظر " (٣) . وعن مدينة حمص ، السورية : " موضوعة فى بسيط من الأرض - أفيح أثير " (٤) . ثم فى كلامه عن " ثبة العقاب " (قرب دمشق) : " وجزناً ثبة العقاب ، ومنها يُشترى على بسيط دمشق وغوطها " (٥) . أما فى النص التالى فإنه يستخدم اللفظ لسما موزناً : " وبشياً فى بسيطة من الأرض يحصر الطرف دون أذنائها ولا يبلغ مداها " (٦) . كما استخدمه مرتين لسما مجموعاً فى قوله : " والطريق من الحلة إلى بغداد أحسن طريق وأجملها فى بساط من الأرض وعائثر تصل بها القرى بينا وشمالا . ويشق هذه البساط أفضل من ملة القرات تتسرب بها وتسقيها " (٧) ، ومرة فى قوله عن حجة والقرات : " والبساط والقوى والوراع متصلة بين هذين النهرين الشريفين المباركين " (٨) . ومنها فى وصف المدخل إلى بغداد : " والمدخل إليها على بسطين وبساط يقصر الوصف عنها " (٩) .

وفى " الصحاح " للجورى : " البَسَاط (بالفتح) : الأرض الراسمة . يقال : مكان بسيط

١- ص / ١٦٥

٢- ص / ١٨٢

٣- ص / ١٨١

٤- ص / ٢٣١

٥- ص / ٢٣٣

٦- ص / ١٨١

٧- ص / ١٩٠

٨- ص / ١٩٢

٩- ص / ١٩٢

الموصل " (١). " فتملأى سيرا إلى أول الظهر " (٢). " وأقما بها يوم الأحد المذكور ويوم الاثنين بعده - ورحلنا منها وتعلينا إلى العشي - ثم رحلنا عند المغرب وأسرينا طول ليلنا ، وتملأى سيرا إلى الفجى " (٣). " وتملأى مقلما فيه مدة اثني عشر يوما لعدم استقامة الريح " (٤). " وتعلت (الريح اللينة) وانتشرت بفضل الله تعالى " (٥).
والملاحظ أن السياقات التي وردت فيها هذه الكلمة هي في الغالب سياقات حركة من سيرا أو سفر أو موب ربح.

وكلمة " الممنوع " هي أيضا من الكلمات التي تكرر ورودها في الرحلة بمعنى " البناء كالقصر والمعبود مثلا ، أو بمعنى " الحوض الذي يحفظ فيه الماء "

يقول وأما مشهد الحسين رضى الله عنه في القاهرة : " وعلقت عليه قليل فنة ، وخف أعلامه كله بأشغال التفانيح فعبا في مصنع شبه الروضة يقيد الأبطال حسنا رجالا " (٦).

ويقول في مدينة إخيتم الممرية : " وبهذه المدينة آثار ومنايع من بتيان القبط وكالس مسورة إلى الآن بالمطامير من نصارى القبط " (٧). وقال عن المعبد الممرية التي يسبها ، كما كان العرب القماء يسمنونها ، " البرابى " : " وكذلك يعرف كل هيكل عندهم وكل مصنع قديم " (٨). وقال عن جنة : " ويخرج هذه المدينة مصنع قديمة تدل على قدم اختلاطها ،

- ١- ص/ ٣١٣.
- ٢- ص/ ٣١٥.
- ٣- ص/ ٣٣٣.
- ٤- ص/ ٣٨٤.
- ٥- ص/ ٣٦٩.
- ٦- ص/ ٣٨.
- ٧- ص/ ٣٦.
- ٨- ص/ ٣٦.

الاتفاق " (١). " وتعلت تلك السحابة المباركة إلى قريب المغرب ، وتملأى الناس على تلك الحال من الازدحام على تلقى ماء اليزاب بالأيدي والوجوه والأفواه " (٢). " وظهر من تراحمن مظهر من السرد البينين- وتملأين على ذلك صدرا من النهار ، وانفسحن في الطواف والصخر، وتشفين من ثقل الصخر واستلم الأركان " (٣). " وتملأى قلم (أى بقاء) سيف الإسلام في البيت الكريم مدة طويلة " (٤). " يقوم ، حثام التملأى في الشهوة ؟ والإام تستتون في طوق الهوة ؟ " (٥). " فلما كان يوم الخميس بكر الناس بالصمود إلى متى وتعلوا منها إلى عرفت " (٦). " فلما كان ظهر يوم الاثنين إثر الصلاة أقلمنا من خليس مروحلين ، وتملأى سيرا إلى المشاء الأخرة " (٧). " فقلما منها (من المدينة المنورة) ظهر يوم السبت المذكور ، وتملأى السير بنا إلى إثر صلاة العشاء الأخرة " (٨). " ولزوارق فيها لأخصى كرة . فالناس ليلا ونهارا من تملأى العبور فيها في نزوة متصلة رجلا ونساء " (٩). " وتملأى سيرا إلى أن ارتفع النهار " (١٠). " على أن القصر المحمود لم يسبب لنا إلا محجة الأشبه (أى الأحسن) منهم ومن شكرناه على طول المحبة وتليها من مكة ، شرفها الله ، إلى

- ١- ص/ ٥٠.
- ٢- ص/ ٩٥.
- ٣- ص/ ١١٦.
- ٤- ص/ ١٣٦.
- ٥- ص/ ١٤٧.
- ٦- ص/ ١٥٠.
- ٧- ص/ ١٦٥.
- ٨- ص/ ١٦٧.
- ٩- ص/ ٢٠١.
- ١٠- ص/ ٢٠٧.

والبرك والأبهر والمنازل التي من بغداد إلى مكة هي أقسى زبيلة أبنه جعفر بن أبي جعفر المنصور، زوج هارون الرشيد وأبنه عمه" (١). وفي ضحوة يوم السبت بعده نزلاً بموضع يعرف بالشقوق، وفيه معتمدان أليهما مولدين ماء عليهما صافيا... وأحد هاتين المصنعتين صوبج عظيم الدائرة كبيرها لا يكاد ينفقه السليج إلا عن جهد ومشقة... ومن لطائف صنع الله تعالى بوفرة وزوارحه أن كانت هذه المصنع كلها عند حدود الحجاج من بغداد إلى مكة دون ماء فارس الله من سحب رحته ما أترعها ماء ممتدا لمتنر الحجاج" (٢). "ويتنا بموضع يعرف بالتليير. وكان فيه أيضا مصنع ملوء ماء - وأجزنا - بزيالة - وفيها قصر مشيد من قصور الأعراب ومعتمدان للماء وأبهر - ونزنا - بالهشبين، وفيها مصنعتان للماء" (٣). "وأجزنا يوم الأربعاء - بموضع فيه آثار بناء يعرف بالقرواء، وفيه أيضا مصنع ماء - وكثرت المصنع حتى لا تكاد الكتب تحصرها ولا تحيطها" (٤).

من هذه النصوص يتبين أن ابن جبير استخدم كلمة "مصنع" في معنى "البناء" كالقصر والحصن وما أشبهه، ومعنى "حوض الماء" كليهما. وبعض المباحث تنس على أن "المصنع" إنما هو البناء فقط فمرا كان أو حصنا. أما الحوض الذي يرجع فيه ماء المطر فيسمى "المصنعة" (بتح النون وضها)، بزيادة تاء (٥).

ثرى هل يجوز أن ابن جبير استخدم كلمة "المصنع" في المعنيين كليهما؟ لقد أشار مهتم الكتب وشارح ألفاظه في الهامش الأول من الصفحة الثانية والثلاثين بعد المائة في شرح

١- م/٣٤-٣٥.

٢- م/٣٥.

٣- م/٣٥.

٤- م/٣٦.

٥- لغير مادة "صنع" في "المصاح" ، وفي "التلوس المحيط" ، وفي "مختصر المصاح" ، وفي النسخة.

ويذكر أيضا كان من مدن الفرس" (١). "فكم له (ملك مقلية) فيها (أى فى بالوم عاصمته) ، لا غيرت به ، من مقلير ومصنع ، ومنظر ومصالح" (٢). "ومن أوجب مشهدها بها (أى بالوم) من أمور الكفران كيسة تعرف بكيسة الأنطاكى - ويقع الطلع بلها أوجب مصانع الدنيا المزخرفة، جدرها الداخلة ذهب كلها" (٣).

ويقول: "ثم نزنا يوم الأربعاء... بموضع يعرف بالقرواء، وفيها أبهر ومصنع كالصهاريج النظام. وجننا أحدهما مملوءا بماء المطر" (٤). "ونزنا ليلة الخميس الثالث عشر لمعوم... على مساه يعرف بالثورة، وهي مصنع ملوءة بماء المطر" (٥). "وفي يوم الخميس المذكور - بالحاجر، والماء فيه فى مصانع. وربما حفروا عليه خورا قرية العمق يسمونها أقطرا، واحدا حكر" (٦). "وأصبنا على قيد يوم الأحد - والياه فيها بحد الله موجودة فى مصانع كثيرة" (٧). نزنا ضحوة يوم الخميس الموافق عشرين لمعوم والثالث ليليه (ماتو). بموضع يعرف بالعليية - وبإزاءه مصنع كبير للوز من أوسع ما يكون من الصهاريج وأعداها" (٨). "وفي ضحوة يوم الجمعة... نزنا بموضع يعرف بركة المرجوم، وهي مصنع. وقد بنى له فيها بعلوه من الأرض مصب يورى الماء إليه على نفق - وكان هذا المصنع ملوءا من ماء المطر، ففتو الناس وعمرهم، والحد لله. وهذه المصنع

١- م/٥٢.

٢- م/٣٥.

٣- م/٣٦.

٤- م/٣٦.

٥- م/٣٦-٣٧.

٦- م/٣٧.

٧- م/٣٧.

٨- م/٣٤.

قطر جزيرة سردينية (- إلى أزيد من مائة ميل " (١) وجهه في وصف أحد المعابد الفرعونية في مدينة إكسيم المصرية: " قد قلم هذا الهيكل على أربعين سارية - دور كل سارية منها خمسون شبرا " (٢) وقال في البيت الحرام: " ودائر البيت كله من نصفه الأعلى مطلق بالانفة المنعمة المستحسنة " (٣) وقال في وصف أحد الجدران فيه: " ودور الجدار حرام كله مجزّع ببيع الإصقان " (٤) وفي وصف بلاط العنجر في المسجد الحرام أيضا: " وهو مفروش بالرخام المعزج المقطع في دور الكف إلى دور الدنار إلى مفرق ذلك " (٥) وفي بشر زمزم: " ودوره أربعون شبرا " (٦) وفي محراب المسجد: " وسُور دائر المحراب كله بمسليبر حديدية الأطراف غرز فيها الشمع فليستار بالمحراب كله " (٧) " فضّل دائرته الأعلى كله شمشا " (٨) وفي وصف أحد المصانع (أي أحواض المياه) المتناثرة على الطريق: " ويبرز لك مصنع كبير للهور من أوسع ما يكون من الصهاريج وأطلها " (٩) وفي قطع مدينة حرّان: " وفي المصن أيضا قبة رابعة عظيمة قد قامت على عشرين سورا من الرخام دور كل سارية تسعة أشرار ، وفي وسط القبة عمود من الرخام عظيم العزم دوره خمسة عشر شبرا " (١٠) وفي وصف بعض الأعمدة التي تحل قبة جلع

- ١- ص/ ٥٠
- ٢- ص/ ٣٦
- ٣- ص/ ٦٠
- ٤- ص/ ٦٤
- ٥- ص/ ٦٤
- ٦- ص/ ٦٦
- ٧- ص/ ١٢٨
- ٨- ص/ ١٢٩
- ٩- ص/ ١٨٤
- ١٠- ص/ ٢١١

كلمة " مصانع " (من قول ابن جبير: " وهي مصانع مملوءة بماء المطر ") فاقولا: " المصانع إلى واحدة مصنعة: ما يجمع فيها ماء المطر كالخوض " . ولم يثبت أن يتم بأن يثبت إلى أن ابن جبير كلما استخدم مفرد هذا الجمع لم يستخدمه قط ببناء بل بدونها.

مرة ثالثة، هل تجوز ابن جبير فاستخدم كلمة " مصنع " في المصنن كلها؟ (١) لا، فإن هناك مصانع أخرى نعت على أن اللغتين كليهما تعنيان الخوض وشبه المصيرج يجمع فيه ماء المطر (٢). بل إن " أساس البلاغة " مثلا يذكر أن " المصنعة " تعني " القصر والقرية "، أي أنها تشترك مع " المصنع " في المصنن كليهما: معنى " البناء " ومعنى " حوض الماء " . هذا، ولعل القاري قد لاحظ من النصوص السابقة أن كلمة " المصيرج " هي أيضا من الكلمات التي تكثر في أسلوب ابن جبير. وهي موجودة في نصوص أخرى.

وقد أشار د عبد الرحمن حبيبة، وهو مغربي، أن كلمة " مصيرج " هي استعمال مشرقى، على حين أن أقطار المغرب العربي تقول " ماجن " (٣). فإذا صححت هذه الملاحظة فإن ابن جبير (وهو يمتد إلى المغرب الإسلامي) قد تنكب بطلو كلمة المغربية " ماجن " ولجأ في كل الأحوال، كما رأينا إلى كلمة " مصيرج " المغربية وكلمة " مصنع "

ومن المفردات التي تكررت في الرحلة أيضا كلمة " دور "، وأحيانا كلمة " دائر " (بمعنى " محيط الشيء أو قلعه ")، وذلك في النصوص التالية وغيرها: " ومتهى دور الجزيرة (أي

- ١- رجعت أثناء قرائتي لبسن بطولمة أنه أيضا استخدم كلمة " مصنع " بمعنى " مصيرج المياه " . انظر رحلة ابن بطوطة / ص ١٧٥
- ٢- انظر مادة " مصنع " في " لسان العرب " و " أساس البلاغة " و " محيط المحيط " للبيهقي، و " أقرب المواليد للمعروفين " مثلا.
- ٣- انظر ترجمته لـ " وصف إفريقيا " للحسن بن محمد الوزان الراكبي / ط. جامعة إمام محمد بن سعود الإسلامية / ص ١٢٩ / هـ ١٤١١

أولئك عرب كما كان هؤلاء عربا ، واللغة لغتهم كما كانت لغة هؤلاء . ينبغي إذن ألا نغضيه ابن جبر لأنه استخدم كلمتي " دور " و " دائر " في معنى لم تورد المعاجم لها ، إذ كل ما نقله رحلتنا الأندلسي ، رحمه الله ، هو أنه توسع في استعمالها . واللغة لاتأبى هذا ، بل هي في جانب كبير منها قائمة عليه . إنما لو رفضنا التوسع في الاستعمال اللغوي كإبواب إغناء اللغة فإنها ستبقى ضيقة خائفة لاتقوم بحاجة مستعملها .

وبالمقابلة فإن ابن عبد السلام الدرعي المغربي ، وهو رحالة مغربي شهير جله بعد ابن جبر بقليل ، وتتل عنه في رحلته وترجم له ، قد استخدم هذه الكلمة بهذا المعنى ، وذلك في قوله : " ودور (الصوريح) الكبير نحو الثلاثين ذراعا " (١) .

وقريب من ذلك استخدام أبي دلف (رحالة مشرقى عاش في القرن الرابع الهجري) في رحلته الكلمة " استارة " بهذا المعنى . قال : " وشاهمت ... بحيرة تكون استاريتها نحو جريب " (٢) .

وملمنا في مجال الهندسة والملاحة فإن في رحلة ابن جبر كلمتين أخيرتين تتروحان وتتصلان بهذا المجال ، وهما كلمتا " التكسير " و " التفريح " ، بمعنى " (حساب) مساحة شيء ما " . وهذه بعض أمثلة :

فمن ذلك قوله عن المسجد الحرام يضيف به ثلاث بلاطات ... ذرعا في الطول أربعائة ذراع ، وفي العرض ثلاثمائة ذراع ، فيكون تكسيه محققا ثمانية وأربعين موحجا " (٣) ، وقوله عن مسجد رسول الله عليه السلام : " وأقيت بخط ... أبي جعفر الفلكي القليل أن ... طول مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثمائة ذراع ، وعرضه مئتان ... فيكون تكسيه أربعة وعشرين موحجا من الراجح المغربية ، وهي خمسون ذراعا في مئتها ،

١- انظر حمد الجاسر / ملخص رحلي ابن عبد السلام الدرعي المغربي / ط٢ / دار الوراق / ١٤٢٣هـ - ١٩٨٢م ص ٥٢ .

٢- الرسالة الثانية لأبي دلف / نشر وتحقيق بولفاكوف وخالون / ترجمة د محمد شير موسى / ط . عالم الكتب / ١٩٧٠م ص ٧٩ .

٣- ص ٦٧ /

حشيق والتي يسميها " أُرْجُلًا " : " فيكون دور كل رجل منها اثنين وسبعين شبرا " . وفي حوضيها رأها في جلع حشيق : " ودور كل منها نحو الأربعين شبرا " (١) . وفي قبة الرمال في الجاهل المذكور : " ودور هذه القبة الرمالية ثمانون خطوة " (٢) - إلخ .

إن " الدور " مصدر " دار يدور " واسم منه أيضا ، " والدائر " اسم فاعل من نفس الفعل . ولم أجد في المعاجم التي رجعت إليها بالمعنى الذي استخدمها فيه ابن جبر (٣) . ولست أقصد بهذا تغلظه ، ولكني أشير فقط إلى أن في استعماله لغة كما هو واضح حرية لاتجدها يقف عند ما ألبسته المعاجم فقط . والمعاجم على كل حال إنما تورد ما قاله الأدياء الكبار من شعراء وكاتب . وكان ينبغي ألا تنقف عند تسجيل استعمالات الأدياء القماء فقط ، فإنهم لا يملكون كل اللغة ، لأن اللغة لم تتوقف عند المصور القليلة ، بل هي مستورة الحركات والنظور . ولا أدري لماذا ينقل إلى المتنبى مثلا والجاحظ وابن المقفع والشريف الرضي وإبهاء زهير وشوقي والعقاد والمنطوي وأحمد حسن الزيات ... إلخ على أنهم أئني مودة بالغة من أمراء القيس وطرفة والأعشى وحسان والفرزدق وجبر ٩ إن أولئك يعرفون اللغة كما كان هؤلاء يعرفونها ، بل ربما كان أولئك أكثر تعمقا فيها بحكم نشاطهم الأوسع وإلمامهم بماجد في ميلعين علوم اللغة وغيرها ، ما لم يكن هؤلاء القماء يلمون ولا يعثر معشاره . ثم إن

١- ص ٣٤٦ /

٢- ص ٣٦٦ /

٣- بالنسبة لكلمة " دور " ، ورد في " أساس البلاغة " التي : " ونفسح دور عينه وأدبارها " . كما ورد في " تكملة المعاجم العربية " لدوري : " ودور الكواكب : مداره " . ولعلها أقرب شيء إلى استعمال ابن جبر .

أما " دائر " فلم أجد في أي من المعاجم التي رجعت إليها والتي سوف أذكر أسفلا بعد قليل عند وصولي إلى كلمتي " قبلى " و " جوفى " اللتين تكرر استعمال رحلتنا لها ، اللهم إلا في " تكملة المعاجم العربية " لبريدت دوزي . جله في : " دائر : حالة ، حاشية ... إطار ... سباح ، حائط ، سور ، نطاق . (و) دائر المدينة : شارع عريض تكتفه الأشجار يحيط بالمدينة " .

ويُعرف أن " المساحة " تتلّف من ضرب العدد الذي يمثل " الطول " ففى العدد الذى يمثل " العرض " ، وإذا كان " الطول " يساوى " العرض " فإن المساحة تكون على شكل " مربع " .

وإن جبر يستخدم أحيانا ، بدل كلمة " العرض " ، كلمة " السمعة " ، كما فى النصوص التالية :
 " طول له مثلثا ذراع وعشرون ذراعا ، وسمته مائة وستون ذراعا " (١) . وفى وصفه باب البيت الحرام : " وسمته ثمانية أشبار ، وطوله ثلاثة عشر شبرا " (٢) . وفى مقام إبراهيم عليه السلام : " وهو حجر مفتى ، بالفضة ، وارتفاعه مقدار ثلاثة أشبار ، وسمته مقدار شبرين " (٣) . وسمته ثلثا شبر ، وطوله شبر وعقد " (٤) . فى ارتفاعه أريد من شبر ، فى ستمه شبران أو أزيد قليلا " (٥) . " وطول الفلار ثمانية عشر شبرا ، وسمته أحد عشر شبرا فى الوسط منه " (٦) .

وقد لاحظت أن ابن جبر قد تكرر استخدامه للفعل " كال " فى قياس أطوال الأشياء كنوع من التوسيع فى التعبير ، وألا ف " كال " معناها فى الأصل قياس الحب والمقيس وما أشبهه بالكيل .

جاء فى وصف أحد البياكل المصرية القيمة : " والسواوى كلها مقوشة من أسفلها إلى أعلاها . وقد انتصب على رأس كل سارية منها إلى رأس صليبتها التى تليها لوح عظيم من الحجر النحوت . من أعظمها ما كنا فيه ستة وخمسين شبرا طولا وعشرة أشبار عرضا وثمانية أشبار ارتفاعا " (٧) . ويقول فى الكلام عن المسجد الحرام : " وبين الركن المرقى وبين أول

وطول مسجد بيت المقدس سبعائة وثلثون ذراعا ، وعرضه أربعمائة وخمسون ذراعا ... فيكون تكثيره من المراجع المذكورة مائة وأربعين مرجحا ومجس وخمس مرجح " (١) ، وعنوانه للفصل الذى خصمه لقياس أطوال مسجد دمشق : " ذكر تزيينه ومساحته وعدد أبوابه وشمسليه " (٢) . وقوله تحت ذلك مباشرة : " ذرعه فى الطول ... مثلثا خلوقة ... وذرعه فى السمعة ... مائة خلوقة وخمس وثلاثون خلوقة ... فيكون تكثيره من المراجع المغربية أربعة وعشرين مرجحا ، وهو تكثير مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم " (٣) .

وقد وجدت أبحاث مثلا يستخدم هذه الكلمة أكثر من مرة فى " الرسالة الثانية " (٤) ، وكذلك صاحب كتاب " مجموع المقرئ " (٥) .

وهذه الكلمة رغم فلم استعمالها فى هذا المعنى ، كما نرى ، لاتوجد فى معجم ك " القاموس المحيط " ولا فى " المعجم الراسخ " ولا " الصحاح فى اللغة والعلوم " . أما " لاس البادعة " فكل ماورد فيه : " كتر : ضرب الحساب الكسور بعضها فى بعض " ، وهو معنى يقترب إلى حد ما من المعنى الذى نحن بصدده . وجاء فى " تاج الخروس " أن " التكثير " قصد يستعمل بمعنى " المساحة " . كما جاء فى " محيط المحيط " للبستاني : " والتكثير عند الهندسين يستعمل بمعنى المساحة " . كما ذكر هذا المعنى فى " المنجد " ، وهو نفس المعنى الذى استعملها فيه ابن جبر . كما أن المستشرق فانيان Fagnan قد ذكر فى مجله " إضافات إلى المعاجم العربية : Additions aux dictionnaires arabes " شيئا قريبا من هذا ، إذ فتر " يكتر " بأنها " يغرب عددا فى عدد : multiplier ، وفسر " مكتر " بأنه " المربع carré cube " .

- ١- ص/ ٣٦ .
- ٢- ص/ ٣٦ .
- ٣- ص/ ٣٦ .
- ٤- ص/ ٣٦ .
- ٥- ص/ ٣٩ .
- ٦- ص/ ٣٥ .
- ٧- ص/ ٣٦ .

- ١- ص/ ٨١ .
- ٢- ص/ ٣٦ .
- ٣- ص/ ٣٢٦-٣٢٧ .
- ٤- ص/ ٧٨٤٨٣٢٣ م .

٥- انظر " فتح الطبيب " للقرئى / تحقيق محمد محيى الدين عبدالحيد / دار الكتاب العربى / بيروت / ص ٨٤

لقد وصلت الرحلة إلى المدينة المنورة عند الصفحة السابعة والستين بعد المائة ، ومع ذلك فإننا نقرأ قوله يعصف موقع أبي الهول في الجزيرة في الصفحة التاسعة والعشرين ، أي قبل أن يصل إلى المدينة ، بل قبل أن تفلأ رجله أرض الجزيرة العربية بوقت طويل . " وجهه إلى الأمام ، وظهوه إلى القبلة مهيأ النيل " . وبرغم الخطأ في تحديد اتجاه أبي الهول بالنسبة للأمام وبرغم اضطراب العبارة فيما يبدو بالنسبة للنيل فمن الواضح أن ابن جبير يربط بين القبلة والجنوب ، رغم أن قبلة مصر ليست إلى الجنوب ، بل إلى الجنوب الشرقي كما هو معلوم .

وعند كلامه عن عذاب (مياه مصرى قديم على البحر الأحمر) فى صفحة ٤١ يقول : " أخرجنا جميع رحلتنا من زاد وسواه إلى البرز ، وهو موضع يقبلى البلد " ، وإن كنا فى الحقيقة لاندري أى اتجاه يقصد هنا ، لأن السياق لا يساعد على ذلك . المهم أنه يستخدم كلمة " قبلى " قبل وصوله إلى المدينة المنورة بل إلى الجزيرة العربية . فإذا كان استعمالها فسى معنى " الجنوى " فهو دليل على أنه لم يجر فى هذا على عرف أهل المدينة ومثلها من المدن ، بل على عرف أهل مصر ، وإن كان استعمالها بمعنى " الغربى " مثلاً فهو دليل على أنه لم يكن يستخدم هذه الكلمة دلالة بمعنى " الجنوب " .

وفى عرفت نجد ابن جبير يثبت إلى أن " القبلة فى عرفت هى إلى مغرب الشمس ، لأن الكلمة المقسة هى إلى هذه الجهة منها " (١) .

ذلك ، ولا أذكر أى صلافت كلمة " قبلى " (ولكلمة " جوفى ") فى غير هذه المواضع الثلاثة . وسب ذلك فيما أحسب هو أنه لم يعف أى مسجد قبل ذلك (وهو الموضع الذى يتم فيه غالباً بتحديد جهات أقسامه وأجزائه) فيما عدا المسجد الحرام ، الذى لا يمكن أن يقال فيه " قبلى " ، إذ لا يمكن نسبة إلى نفسه ، لأنه هو نفسه القبلة . إما كان يستخدم فيه كلمات

جدار الجنى مداخل إلى الجنى سعة أربع خلا ، وهى سست أربع محطة كلنا ما باليد " (١) . ومع الكلمة : " قبل ذلك على أن الكلمة المقسة فى وسط المسجد ، وكان يظن بها الانحراف إلى جهة باب الصفا ، فاخترنا ما جوبها بالبركة بالكيل ، فوجدنا الأمر صحيحاً " (٢) .

ومن الكلمات التى يكثر من استعمالها ابن جبير لفظا " القبلى " و " الجوفى " ، أو " القبلة " و " الجوف " ، وذلك فى كلامه عن الجهات الجنوائية (٣) . فلما " القبلة " والنسبة إليها (قبلى) مفهوم لمرهما . ولما " الجوف " فيبدو أنه فى الأصل جوف المسجد (أى الجهة المقابلة للقبلة) . وقد لوحظ أنه استخدم كلمة " القبلى " و " الجوفى " فى كثير من الأحيان للدلالة على الجنوب والشمال على الترتيب . ولكن كيف تدل كلمة " قبلى " على الجنوب واتجاه القبلة كما نعرف يتغير حسب موقع كل بلد ؟

كما إن الأستاذ عبدالقوس الأنصارى ، رحمه الله ، يرى أن تفسير ذلك هو أن ابن جبير قد جرى فى هذا " على تغيير أهل المدينة المنورة ومثلها من المدن ، لأن القبلة تقع فى جنوبيهم فيسون ما يقع جنوبيهم باسم " القبلة " تسميةً للمحل باسم الحال فيه ، فهو من المحازر المرسل وييسر لنا أن هذه المية من ملتقات ذاكرة ابن جبير من لهجة أهل المدينة ولقول " (٤) وعسى هذا التفسير فينبى ألا يكون ابن جبير قد استعمل هذه اللفظة قبل وصوله إلى المدينة المنورة والمدن التى فى شمالها ، ملحقاً نعرف أنه كان يكتب رحلته أولاً بأول على شكل أشبه باليوميات . وكذلك ينبغي ألا يكون استخدمها فى معنى " الجنوب " فى البلاد التى لا تقع فيها الكلمة فى جنوبها . فهل هذا صحيح ؟

١- ص/ ٦٢ .

٢- ص/ ٨٦ .

٣- انظر على سبيل المثال ص / ٣٧٨ ٣٧٧ ٣٧٦ ٣٧٥ ٣٧٤ ٣٧٣ ٣٧٢ ٣٧١ ٣٧٠ ٣٦٩ ٣٦٨ ٣٦٧ ٣٦٦ ٣٦٥ ٣٦٤ ٣٦٣ ٣٦٢ ٣٦١ ٣٦٠ ٣٥٩ ٣٥٨ ٣٥٧ ٣٥٦ ٣٥٥ ٣٥٤ ٣٥٣ ٣٥٢ ٣٥١ ٣٥٠ ٣٤٩ ٣٤٨ ٣٤٧ ٣٤٦ ٣٤٥ ٣٤٤ ٣٤٣ ٣٤٢ ٣٤١ ٣٤٠ ٣٣٩ ٣٣٨ ٣٣٧ ٣٣٦ ٣٣٥ ٣٣٤ ٣٣٣ ٣٣٢ ٣٣١ ٣٣٠ ٣٢٩ ٣٢٨ ٣٢٧ ٣٢٦ ٣٢٥ ٣٢٤ ٣٢٣ ٣٢٢ ٣٢١ ٣٢٠ ٣١٩ ٣١٨ ٣١٧ ٣١٦ ٣١٥ ٣١٤ ٣١٣ ٣١٢ ٣١١ ٣١٠ ٣٠٩ ٣٠٨ ٣٠٧ ٣٠٦ ٣٠٥ ٣٠٤ ٣٠٣ ٣٠٢ ٣٠١ ٣٠٠ ٢٩٩ ٢٩٨ ٢٩٧ ٢٩٦ ٢٩٥ ٢٩٤ ٢٩٣ ٢٩٢ ٢٩١ ٢٩٠ ٢٨٩ ٢٨٨ ٢٨٧ ٢٨٦ ٢٨٥ ٢٨٤ ٢٨٣ ٢٨٢ ٢٨١ ٢٨٠ ٢٧٩ ٢٧٨ ٢٧٧ ٢٧٦ ٢٧٥ ٢٧٤ ٢٧٣ ٢٧٢ ٢٧١ ٢٧٠ ٢٦٩ ٢٦٨ ٢٦٧ ٢٦٦ ٢٦٥ ٢٦٤ ٢٦٣ ٢٦٢ ٢٦١ ٢٦٠ ٢٥٩ ٢٥٨ ٢٥٧ ٢٥٦ ٢٥٥ ٢٥٤ ٢٥٣ ٢٥٢ ٢٥١ ٢٥٠ ٢٤٩ ٢٤٨ ٢٤٧ ٢٤٦ ٢٤٥ ٢٤٤ ٢٤٣ ٢٤٢ ٢٤١ ٢٤٠ ٢٣٩ ٢٣٨ ٢٣٧ ٢٣٦ ٢٣٥ ٢٣٤ ٢٣٣ ٢٣٢ ٢٣١ ٢٣٠ ٢٢٩ ٢٢٨ ٢٢٧ ٢٢٦ ٢٢٥ ٢٢٤ ٢٢٣ ٢٢٢ ٢٢١ ٢٢٠ ٢١٩ ٢١٨ ٢١٧ ٢١٦ ٢١٥ ٢١٤ ٢١٣ ٢١٢ ٢١١ ٢١٠ ٢٠٩ ٢٠٨ ٢٠٧ ٢٠٦ ٢٠٥ ٢٠٤ ٢٠٣ ٢٠٢ ٢٠١ ٢٠٠ ١٩٩ ١٩٨ ١٩٧ ١٩٦ ١٩٥ ١٩٤ ١٩٣ ١٩٢ ١٩١ ١٩٠ ١٨٩ ١٨٨ ١٨٧ ١٨٦ ١٨٥ ١٨٤ ١٨٣ ١٨٢ ١٨١ ١٨٠ ١٧٩ ١٧٨ ١٧٧ ١٧٦ ١٧٥ ١٧٤ ١٧٣ ١٧٢ ١٧١ ١٧٠ ١٦٩ ١٦٨ ١٦٧ ١٦٦ ١٦٥ ١٦٤ ١٦٣ ١٦٢ ١٦١ ١٦٠ ١٥٩ ١٥٨ ١٥٧ ١٥٦ ١٥٥ ١٥٤ ١٥٣ ١٥٢ ١٥١ ١٥٠ ١٤٩ ١٤٨ ١٤٧ ١٤٦ ١٤٥ ١٤٤ ١٤٣ ١٤٢ ١٤١ ١٤٠ ١٣٩ ١٣٨ ١٣٧ ١٣٦ ١٣٥ ١٣٤ ١٣٣ ١٣٢ ١٣١ ١٣٠ ١٢٩ ١٢٨ ١٢٧ ١٢٦ ١٢٥ ١٢٤ ١٢٣ ١٢٢ ١٢١ ١٢٠ ١١٩ ١١٨ ١١٧ ١١٦ ١١٥ ١١٤ ١١٣ ١١٢ ١١١ ١١٠ ١٠٩ ١٠٨ ١٠٧ ١٠٦ ١٠٥ ١٠٤ ١٠٣ ١٠٢ ١٠١ ١٠٠ ٩٩ ٩٨ ٩٧ ٩٦ ٩٥ ٩٤ ٩٣ ٩٢ ٩١ ٩٠ ٨٩ ٨٨ ٨٧ ٨٦ ٨٥ ٨٤ ٨٣ ٨٢ ٨١ ٨٠ ٧٩ ٧٨ ٧٧ ٧٦ ٧٥ ٧٤ ٧٣ ٧٢ ٧١ ٧٠ ٦٩ ٦٨ ٦٧ ٦٦ ٦٥ ٦٤ ٦٣ ٦٢ ٦١ ٦٠ ٥٩ ٥٨ ٥٧ ٥٦ ٥٥ ٥٤ ٥٣ ٥٢ ٥١ ٥٠ ٤٩ ٤٨ ٤٧ ٤٦ ٤٥ ٤٤ ٤٣ ٤٢ ٤١ ٤٠ ٣٩ ٣٨ ٣٧ ٣٦ ٣٥ ٣٤ ٣٣ ٣٢ ٣١ ٣٠ ٢٩ ٢٨ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٠

٤- مع ابن جبير فى رحلته / ص ٢٠٩/ ٢

بناءه على المسجد (١).

إن تفسير الأستاذ الأتماري لسر استعمال ابن جبر لمصطلح "القبلى" غير مقنع فيما يبدو. ويؤكد هذا أننا فى مصر نطلق لفظة "القبلى" على الجنوب، مع أن قبلىنا ليست إلى الجنوب، بل إلى الجنوب الشرقى. وليس هذا الاستعمال المصرى استعمالا حديثا أو مقصورا على العامة، فقد صلاته مثلا عند عزس الدين خليل بن شاهين الظامرى (وكان نائب السلطان بالشر فى عهد الملك الأشرف وتزوج أخت زوجته) فى كلب "زبدة كنف الممالك وبيان الطرق والمسالك" (مكنا: "القبلى والبحرى") (٢). كذلك فإن على بشا مبارك يستخذه فى تحديد مواقع البلاد فى "الخطط الترفيعة".

كذلك فقد وقعت على لفظة "القبلى" مستعملة عند عدد من الكتاب غير ابن جبر مقورا بها الجنوب، رغم أن قبليهم ليست إلى هذه الجهة بالضبط. ومن الصعب القول إنهم جميعا قد أخذوا هذا الاستعمال عن أهل المدينة المنورة أو أهل اليمن الواقعة شمالها.

يقول يعقوبى عن أهل القيروان: "ولهم ولد يسمى وادى السراويل فى قبلة المدينة" (٣).

ويقول ابن جبر القوطسى: "ويأوى ليلة إلى بيت فى دويرة والده محمد بجوفى المسجد الطمع" (٤). ويقول أيضا: "من أبواب القصر القبليّة" (٥). ويقول أبو عبيد

١- لما كلمة "الجوفى" فى النص التالى فمضى "الشمال"، ذلك أن الكلام فيه عن مواقع مدن للمسجد. ويؤكد هذا أنه لم يستخدم فى مقابل "الجوفى" هنا "القبلى"، بل "الجنوب": "وفيه البلاد - المروزة ببنار ربيعة، وحدها من نصيبين إلى الغرات مع مابلى الجنوب من الطريق وديار بكر التى تليها فى الجانب الجوفى - ليس فى موكها من يناهض صلاح الدين" ص/٢٢٢. ومثله فى ذلك النص التالى أيضا: "ولها (لدى منبج) قلعة حصينة فى جوفها"

ص/٢٢٤.

٢- ص/٢٢٥.

٣- لفظ ص/٣٠ من كتابه "البلدان" / ط٢/ النصف الأخرى / ١٨٥٧م.

٤- النص من أبناء أهل الأندلس، لابن جبر القوطسى / تحقيق وتقديم د. محمود على مكي / المجلس الأعلى للثون الإسلامية / القاهرة / ١٣٩٠-١٣٩١م / ص ١٥٥.

٥- لى قمر الخلافة بوطبة (المتيس) / ص ١٥٩.

"شمال" و "جنوب" و "شرق" و "غرب"، أو يقول مثلا: "الركن الشرقى" و "الركن الشمالى" و "الركن اليمنى" (١).

هذا قبل وصوله إلى المدينة، لما بعد تركه لها فأننا نجده مثلا فى حديثه عن جامع الكوفة يقول: "وهو جامع كبير، فى الجانب القبلى منه خمسة أبواب (أبهاء)، وفى سائر الجوانب بلاطان". وفى الراوية من هذا البلاط القبلى المتصل بأخر البلاط الغربى شبيبه مسجد صغير. "ويتصل بهما فناء متصل بالجدار القبلى من المسجد". وفى الجهة الشرقية من الجامع بيت صغير... وفى جوفى الجامع على بعد منه يسير سقاية كبيرة من ماء الفرات" (٢). فهل يبرك بالجانب "القبلى" هنا الجنوب وب "الجوفى" الشمال؟ لا أظن. ذلك أن الحديث هنا عن مسجد فى الكوفة، وقبلة مساجد الكوفة ليست إلى الجنوب، بل إلى الجنوب الغربى. إننا التجوز فى كلام ابن جبر، فيما يبدو لى، فى إشارته هنا إلى "الشرق" و "الغرب" لأنه إذا كان الجدار القبلى للمسجد هو إلى الجنوب الغربى، والجوفى إلى الشمال الشرقى، فإن الجدارين الآخرين هما إلى الشمال الغربى (لا الغرب) والجنوب الشرقى (لا الشرق). ومثله فى هذا قوله: "ويسكن فى إحدى الزوايا الجوفية من جامعها الحكم (جامع مدينة نصيبين) الشيخ أبو القحطان" (٣).

لما لفظ "القبلى" فى قوله عن نصيبين أيضا: "وعلى النهر المذكور جسر مقود من صم الجحارة يتصل بباب المدينة القبلى" فلا أظنه يبنى إلا "الجنوب"، إذ الكلام عن موقع

١- لفظ على سبيل المثال ص/ ٦٨٦، ٦٨٧. ومن الطريف أن الحديث فى "مستاد الرحلة والاعترايب" قد استخدم اللفظ "قبلى" فى تحديد أحد الجدران بكنة نفسها. ويبدو أنه كان يقصد بذلك الجهة الجنوبية.

٢- ص/ ٦٨٨، ٦٨٧.

٣- ص/ ٦١٥.

ويذكر أحمد عبدالرحمن السامري ، نقلا عن كتب التاريخ ، أن أهل طليطلة ، رغم سقوطها في أيدي الأسيبان في أواخر القرن الحادي عشر ، قد توارثوا (حتى الفسري منهم) بعض العمارات الإسلامية ، كبحر النبطح يوم عيد الأضحي ، والامتناع عن شرب الخمر وأكل لحم الخنزير ... وتحديد حدود الشيء من ناحية الجنوب بالقبة (١) ، وإن عاد فقال إن ما كانت السلطات الأسبانية النصرانية تستل به على أن المسلم الذي عمده الفسورية قسرا كان لغيره إل مسلمان في ظله أن يستقبل المشرق في صلاحه ، أي القبة (٢) . على أية حال ، فالقبة في الأندلس كانت إلى الجنوب الشرقي .

وهناك رواية أوردها كما قرأناها ، دون تطبيق رغم استغرابي لها ، تقول إن اتجاه محراب جامع قرطبة (حتى الآن) نحو الجنوب ، ويقال إن الحكم أراد أن يوجه القبة الاتجاه الصحيح ، ولكن القاضي نصحه بأن يبقها على ماكانت عليه ، حيث صلى إليها خيل الأمة وعلموها منذ موسى بن نصير ، وأن الأفضل الاتجاه لا الابتعاد (٣) .

وفي "معجم المصطلحات الجغرافية" للذكور يوسف تونسي (٤) وجدت في ملحة "قبلى" التي : "قبلى : ١- من القبة . وفي مصر يقصد بها الاتجاه الجوىبرى أو الجوىبرى الشرقى ٢- رياح محلية جنوبية حارة من نوع السيروكو أو الضبابين تهب على ليبيا وشمال إفريقيا .

ولم أجد فيه كلمة "جوفى" ، ولا وجنتها في "معجم المصطلحات الجغرافية" (إصدار مجمع اللغة العربية) (٥) ، الذي لم يورد في ملحة "القبلى" إلا الآتى : "القبلى : ربيع محلية سائلة

١- رحلة مسودة إلى بلاد الأندلس الفودوس المقدود / د. الفكر بدمشق / ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م / ص ١١٩ .

٢- ص / ١٦٥ .

٣- انظر د. عبدالعزيز المولاي / مسجد قرطبة وقصر الحمراء / دار الجنوب للنشر / تونس / ص ٣٨ ، وأحمد عبدالرحمن السامري / رحلة مسودة إلى بلاد الأندلس / ص ٣٨-٣٩ .

٤- مدار الفكر العربى / ١٩٦٤ .

٥- البيعة الملة لشئون المصالح الأثرية / القاهرة / ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .

البكرى (القرن الخامس الهجرى) : " وهي (أى تلمسان) مدينة مسورة - ، ولها خص أبو لب : ثلاثة منها في القبة ... وفي الشرق باب القبّة ، وفي الغرب باب أبي قوة ومدينة أرشقول ... لها من الأبواب باب الفسوح غربى ، وباب الأثير قبلى ، وباب موزة شرقى ... وأفتح جهات جوفها ... ولها ريش من جهة القبة إلى الجوف (١) .

كما استعمل ابن بطوطة أيضا عبارة "من القبة إلى الجوف" بنفس المعنى عند ابن جبير وورد عنده عبارة "الباب الجوفى" ، أى "الشمالى" (٢) .

ويقول لسان الدين بن الخطيب : " ولم يكن إلا كذا ولا حتى تدانى التبا من عود القبة " (٤) : وقد فسّر محقق الكتّالاب (دمختر العبدى) في الهامش كلمة " القبة" ما هكذا : " المقصود بكلمة القبة هو الجنوب ، وتقبلها كلمة الجوف بمعنى الشمال " (٥) وقال ابن الخطيب أيضا عن مقبرة المعتمد بن عبدالمعرب " وهو بالمقبرة القبة " (٦) .

وقد تكرر استخدام تعبير "من القبلة إلى الجوف" في "فتح الطبيب" للمقرئ (٧) .

وفي إهداء حبيش د. السيد عبدالعزيز سالس (وهو أستاذ معمرى تخصص فى التاريخ الأندلسى) عن تصميم المدارس السيّية فى المغرب نسواه يقول : " ونحيط به (أى بصوم المدرسة) من الشمال والشرق غرف صغيرة ضيقة أعدت لإقامة الطلبة . أما الجهة القبلة التي كانت تقع عدّة قبالة المدخل الرئيسى فكانت تشتمل على المصلى " (٨) .

١- أبو عبيد البكرى / كتاب المسالك والمسالك / مكتبة الشئ ببغداد / ٣٧٦-٣٧٨ .

٢- رحلة ابن بطوطة / ص ٣٧٨، ٣٧٩ .

٣- ص / ٩٢ .

٤- ابن الخطيب / فنانة الجواب / تحقيق د. أحمد مختار العبدى / دار الكتيب العربى للطباعة والنشر / ص ٢١٩ .

٥- نفس المرجع السابق والصفحة / ٥٧ .

٦- نفس المرجع / ص ٥٧ .

٧- انظر مثلا ص ٨٧٤ حيث تورد على الترتيب فى نصين لصاحب كتاب " مجموع للمقرئ " ولبن يشكو ال .

٨- من كتيب " مدارس فاس " ، نقلا عن د. حسن الباشا / مدخل إلى الآثار الإسلامية / دار النهضة العربية / القاهرة / ١٣٩٩م / ص ١٦٣ .

التي تسمى جهة الشمال جوفاً^(١).

وفى "المنجد" : "الجنوب - النقطة المقابلة لنقطة الشمال ، وتسمى القبلة" والغريب أنى عثرت فيه على ذلك بالملددة ، إذ لم أجده فى ملدة "قبل" ، بل فى ملدة "جنب"

وفى "المصاح فى اللغة والعلوم" (لنديم وأسلمة موعشلى) وردت "القبلى" (ملدة "قبل") بمعنى : "ريح محلية ساخنة تربة تهب من الجنوب . ويطلب استعمال المصطلح فى ليبيا والشرق العربى" . وواضح أنه تقل هذا التعريف من معجم الجمع اللغوى للمصطلحات الجغرافية . أمسا "الجوفى" (ملدة "جوف") (قد ورد فيه الآتى : "شئ جوفى : واسع الجوف"

ومن بين الكلمات التي تبرز فى الرحلة كلمة "بلاط" . وقيل أن أشرح معناها أسوق للنواهد عليها :

قال فى وصف المسجد الحرام : "والمسجد الحرام يليف به ثلاثة بلاطات على ثلاث سوار من الرخام منظمة كلها بلاط واحد .. ويلين البلاطات فضاه كبير .. وعدد سواريه الرخامية أربعائة سارية وأحدى وسبعون سارية ، حاشا الجعية التي منها فى دار الندوة .. وهى داخلة فى البلاط الأخذ من الغرب إلى الشمال . وفنؤها مسج ينكل من البلاط إليه . ويتصل بجدار هذا البلاط كله مطلب تحت قسي حليا يجلس فيها الناسخون والمقرئون وبعض أهل صنعة الخياطة . والحرم محقق بحفلات المدرسين وأهل العلم . وفى جدار البلاط الذى يقبله أيضا مطلب تحت حليا على تحت الصفة ، وهو البلاط الأخذ من الجنوب إلى الشرق . وسائر البلاطات تحت جدرانها مطلب دون حليا عليها .. وعند باب إبراهيم مدخل آخر من البلاط الأخذ من الغرب إلى الجنوب .. وباب الما يقابل الركن الأسود بالبلاط الذى من الجنوب

١- مع ابن جبير فى رحلته / ص ٢٩٠/ ٢٩١

تربة تهب من الجنوب . يطلب استعمال المصطلح فى ليبيا والشرق العربى .

أمسا فسمى المعالج اللغوية فلم أجد "القبلى والجوفى" بهذا المعنى فى "القاموس المحيط" ولا "معجم مقاييس اللغة" لابن فارس ، ولا فى "جوهرة اللغة" لابن دريد ، ولا فى "المعرب فى ترتيب المعرب" للممازى ، ولا فى "أساس البلاغة" للزمخشري ، ولا فى "المشوف المعلم فى ترتيب الإصاح على حروف المعجم" للمكبرى ، ولا فى "معجم متن اللغة" لأحمد رضا ، ولا فى "الإصاح فى قته اللغة" لموسى والمصيدى ، ولا فى "أقرب الموارد" للشرترنى ، ولا فى "المعجم الوسيط"

وكذلك الحال فى "لسان العرب" . ومع ذلك فقد ورد فيه هذا النص الهام (ملدة "قبل") : "وفى حديث ابن عمر : "ملين المشقوق والمغرب قبلة" أراد به المسافر إذا التبت عليه قبلة . فلما الحاضر فيجب عليه التحرى ولا جهل . وهذا إنما يصح لمن كانت القبلة فى جنوبه أو شماله . ويجوز أن يكون أراد به قبلة أهل المدينة ونواحيها فإن الكعبة جنوبها وأمية هذا النص تكمن فى قراءته فى ضوء الرواية التي أوردتها قبل قليل عن كون قبلة جميع قوطية كانت إلى الجنوب وليس إلى الكعبة بالقبط."

وفى "إضاءة الراموس وإضافة الناموس على إضاءة القاموس" لمحمد بن الطيب بن محمد النفسى : "القبلى منسوبة إلى القبلة .. وهى جهة الصلاة وناحية الكعبة المشرفة" . هذا كل ما هناك .

وفى "محيط المحيط" للستلى : "واللمة تستعمل القبلة لجهة الجنوب - والقبلى نسبة إلى القبلة"

وفى "تكملة المعالج العربية" لربهارت دورى : "جوفى : شمالي . ويكثر الممتنون المغاربة من استعمالها . وريح جوفى : ريح الشمال" . وهو الوحيد ، من بين المعالج التي رجعت إليها ، الذي وجدت فيه هذا . ويتفق عبد القاموس الأنصارى معه فى ذلك ، إذ يقول : "يقصد ابن جبير بالجهة الجوفية الجهة الشمالية . وهذه الصيغة حلاها معه فى رحلته من بلاده .

الموص ٩ كلا . فهل يكون معناها مجاء في " تاج الموص " و " محيط المحيط " من أن " البلاط " هو " الأرض المستوية المساء ، وكل أرض فريشت بالصجارة والأجر " ؟ ولا ذلك أيضا .

لقد وردت هذه الكلمة في رحلة ابن بطوطة (١) وفي " مستفاد الرحلة والاعترا ب " للتجيني السبي (٢) . لكن النصوص التي وردت فيها في مئين الكلبيين لمساعد على فهم المراد منها بالفيط . ولولا أنني عثرت في " نفع الطبيب " للمزى على النص التالي لظلت متحيرة في معناه . وهذا النص هو قوله عن جامع قوطبة إن " عدد أبوابه ... تسعة عشر بابا ، وتسمى الباطات " (٣) .

وقبل وصول ابن جبير (في طريق العودة) إلى الشام ، نراه يستعمل كلمة " فندق " لبيت الذي ينزله المسافرين : " وكان نزولنا بها (بالإسكندرية) بفندق يعرف بفندق الصغار ، بقربة من الصلابة " (٤) . " وكان نزولنا في مصر بفندق أبي الشتاء في زقاق القليل بقربة من جامع عمرو بن العاص ، رضى الله عنه ، في حجرة كبيرة على باب الفندق المذكور " (٥) . " وكان نزولنا فيها (في قوص) بفندق ينسب لابن العجى بالمنية ، وهو رضى كبير خارج المدينة . على باب الفندق المذكور " (٦) . وفيها (لى حجة) فتلحق مينة بالصجارة والطين " (٧) . وقال عن دار الخيزران بمكة : " وينخل إليها على حلق كبير شبه الفندق " (٨) .

- ١- م / ١١٤٩١ / م / ١١٤٩١ .
- ٢- م / ٢٤٢٢٤١١٦٩ / م / ٨٧ .
- ٣- م / ١٢ / م / ١٢ .
- ٤- م / ١٩ / م / ١٩ .
- ٥- م / ١٩ / م / ١٩ .
- ٦- م / ١٩ / م / ١٩ .
- ٧- م / ١٩ / م / ١٩ .
- ٨- م / ١٩ / م / ١٩ .

إلى الشرق . وفي وسط البلاط المغيل للباب ساريتان مقابلتان الركن المذكور " (١) . " وأعلى بلاطات الحرم سلج يطيف بها كلها من الجوانب الأربعة " (٢) .

وفي وصف جامع حران : " والجامع المكرم سقف بجوانب الخشب والحديد . وخشبه على طول لسمعة البلاط . وسعته خمس عشرة خضرة وهو خمسة أبواب " (٣) .

وفي جامع حلب : " وهذا الجامع من أحسن الجوامع وأجملها ، وقد أطاق بصرته الواسع بلا متسع متسع كله أبوابا قهوية الحسن إلى المصحن . والبلاط القبلى لامعة فيه " (٤) .

وفي جامع دمشق : " وبلاطاته المتصلة بالقبلة ثلاثة مستطيلة من الشرق إلى الغرب ، ستة بلاط منها ثمانية عشرة خضرة ... وقد قلمت على ثمانية وستين عمودا . ويستدير بالمصحن بلاط من ثلاث جهاته . سبعة عشر خلا - وفي الجدار المتصل بالمصحن المحيط بالبلاط القبلى عشرون بابا متصلة ببول الجدار . والبلاط المتصل بالمصحن ، المحيط بالبلاط ثلاث جهات ، على أعمدة " (٥) .

وفي الكلام عن " بالرم " : " وفي خروجنا من القصر المذكور سلطنا بلاطا متصلا مشينا في مسافة طويلة ، وهو مسقف ، حتى انتهينا إلى كيسة عظيمة البناء ، فأعلمنا أن ذلك البلاط مشى الملك إلى الكيسة " (٦) .

والآن بعد هذه النصوص ، مألوف " البلاط " عند ابن جبير ؟ يقول د أحمد هيكل الأندلسيين كانوا يطلقون " البلاط " على " البناء المحسن " (٧) ، فهل هذا معناه في هذا

- ١- م / ٦٨-٦٧ / م / ٦٨-٦٧ .
- ٢- م / ٦٧ / م / ٦٧ .
- ٣- م / ٦٧ / م / ٦٧ .
- ٤- م / ٦٧ / م / ٦٧ .
- ٥- م / ٦٧ / م / ٦٧ .
- ٦- م / ٦٧ / م / ٦٧ .
- ٧- د أحمد هيكل / الأندلسيين من اللحن إلى سوط الخلافة / دار المعارف / ط ١٩٨٧ / م / ٤٢ .

وهذه الكلمة "خان" فارسية الأصل (١).

وقد خصص عبدالقدوس الأنصاري في كتابه عن رحلة ابن جبير، للفنادق والخانات في هذه الرحلة فصلاً مستقلاً. والذي يهمنا مما قاله هو قوله إنه قد توصل من دراسة رحلة ابن جبير أن أهل الشام وأهل العراق وديار بكر يسمون ما يعرف لدى أهل مصر والعصجار بالفندق "خانا". وقد اعتدى في ذلك بما جاء في "لسان العرب" و"تاج العروس" (٢).

إن فابن جبير قد جرى في استعمال "الفندق" تارة و"الخان" تارة أخرى على العرف اللغوي في البلاد التي نزل فيها أو مر بها.

ومن الكلمات التي يذكر ابن جبير من استعمالها "الخوانق" و"الزوايا" و"الرباط". وهذا راجع إلى اعتنائه بالأولياء والصالحين والمتطوعين للعبادة في أبنية لهذا الغرض (٣). وقد ذكر ابن جبير نفسه أن الخوانق والرباط شيء واحد. قال وهو في العراق: "فالأين (أي النور الأبيض) يشق خاتمة مبنية للصوفية والغرباء يزاره العين، وهي تسمى الرباط أيضاً" (٤). وقال وهو بالشام: "ولما الرباطات التي يسمونها الخوانق فكثيرة، وهي تسمى الرباط الصوفية" (٥). وما يفهم منه أن "الزوايا" هي الخوانق والرباط قوله عن نور الدين زنكي: "ومن منقلب نور الدين أنه كان عين للمغاربة الغربية المسلمين زاوية المالكية بالمسجد الجامع المبارك أوقافاً كثيرة" (٦). لكن يبدو أن الزوايا كانت جزءاً من المساجد.

١- انظر "معجم المحيط" و"تاج العروس" و"السنجد".

٢- مع ابن جبير في رحلته / ص ١١١.

٣- يمكن العثور على الكلمة الأولى في ص / ٢٤٨٧٤٤٢١٨، وعلى الكلمة الثانية في ص / ٢٢٩١٢١٥.

٤- وعلى الثالثة في ص / ٢٤٨٣١٨١٨٢، على.

٥- ص / ٢١٨.

٦- ص / ٢٥٦.

٧- ص / ٢٥٧.

أما في العراق والشام فكان يقول "الخان" بدلاً من ذلك: "وفي هذه القرية المذكورة (تور الفرائس العراقية) خان كبير يدور به جدار عال له شرفات معمار" (١). "وبنى أيضاً داخل (الموصل) وفي سوقه قيساريه للتجار كلها الخان العظيم" (٢). "وفي محلات الطريق (من الموصل إلى نصيبين) خانك" (٣). "فكان نزولنا بها (أي بنصيبين) في خارجها" (٤). "فإن لها (لحطب) رباطاً كبيراً فيه من الخانات ما لا يحصى عدده - فأن نزولنا بربضه في خان يعرف بخان أبي الشكر" (٥). "ثم نزولنا (بعد تركهم قسرين) مريضاً بموضع يعرف بباقين في خان كبير يسمى بخان التركمان. فخانات هذا الطريق كلها القلاع لمتاعاً وحصانة... ثم رحلنا من هذا الموضع وبتنا بموضع يعرف بقتي في خان وثيق المنة المذكورة" (٦). "نزولنا بربضها (أي "حماة") في أحد خاناته" (٧). "وربضها كبير الخانات والبيار" (٨). "فوصلنا إلى مدينة حمص - فنزلنا بظلمها بخان السيل" (٩). "وبها (أي قرية القارة) خان كبير... فأرحنا بالخان المذكور - وأسرينا الليل كله قوماً إلى خان السلطان مع الصباح، وهو خان بناء صلاح الدين - وفي هذا الخان ماء جار يتسرع إلى سقاية في وسط الخان" (١٠).

١- ص / ١٩١.

٢- ص / ٣١٠.

٣- ص / ٣١٢.

٤- ص / ٣١٥.

٥- ص / ٣٧٨.

٦- ص / ٣٢٩.

٧- ص / ٣٢٩.

٨- ص / ٣٢٠.

٩- ص / ٣٢١.

١٠- ص / ٣٢٢.

وليست مستقلة

وله قد لوحظ أن ابن جبير يقول: "خانقة" (على وزن اسم الفاعل) خالما على الكلمة العربية، أي أنه عرّب الكلمة الفارسية "خانقة"، التي كثيرا ما ترجمت عند غيره كما

في أصلها الأعجمي، بالثاقف جينا، مثل المقدسي، الذي يقول عن نفسه: "وأكلت مع المورس الهرائس ومع الخانقائيين الثراءد" (١)، والثاقم بن يوسف التجيني (٢)، ود حسن البلي الذي يجمعها على "خانقات" (٣)، وبالكاكف جينا آخر (الخوفاك)، كين خلدون (٤)، ورحلة ابن بطوطة وردت على النحورين كليهما: موية (٥)، وبشكلها الفارسي، بالثاقف (٦).

وقد ذكر مترجم "وصف إفريقيا" للحسن بن محمد الوزان، بعد أن شرح معنى "الخانقات" بأنها "زاوية الصوفيين"، أنها "تكتب في أيلنا خطأ على شكل خانقة" (٧)، وهو ملتزم بالنورس الجيبية التي ستمناها آنفا، فهي تدل على أن "خانقة" ليست وليمة أيلنا هذه بل ينهم من كالم المترجم.

وفي أصل هذه الكلمة يقول محمد كرد علي: "الخانقة كلمة فارسية، قيل: أصلها خورنكاه الموضع الذي يأكل فيه الملك، وهي زوايا الصوفية"، ويعني فيذكر تاريخ نشرها في الإسكندرية قائلا إنها "لم تعبد على هذا النمط إلا في القرن السادس. وأول من بنائها من الملوك بمصر

كما قال السيوطي، السلطان صلاح الدين يوسف. ورتب للقرء الواردين أوزافا معلومة. وقال القرينزي: إن الخوفاك حدثت في حدود الأربعمائة من سنى الهجرة" (١).

وفي مجمله المسمى "تقوس الفارسية: فارسي - عربي" يقول د عبد النعيم محمد حسنين:

"خانقاه: ماكان يجتمع فيه الصوفية للذكر والعبادة، الخلية" (٢).

وقد تعرفت هذه الكلمة في العلية المصرية إلى "الخانقة" ولنفس السبب الذي تكرر من أجله فسعى رحطية ابن جبير كلمات "خانقة" و "ريافا" و "زاوية"، وهو امتلحه بزيارة الصالحين والعباد والزائدين، فزى كلمة "المشهد" بتعدد في الكتاب هي وكلمة "قبر" والمقصود بـ "المشهد": البناء الذي يضم قبر الأولياء أو من يعتقد الناس فيهم الأولياء.

يقول في بداية كلامه عن القاهرة: "فأول منبشأ بذكره منها الآثار والمشاهد المباركة التي

بنيها يسكنها الله عز وجل. فمن ذلك المشهد العظيم الشأن... حيث رأس الحسين بن علي ابن أبي طالب، رضي الله عنها. وهو في ثلوث فضاء مدفون تحت الأرض قد بني عليه بيان حيل" (٣). بتنا بالجليلة الموروثة بالوراثة، وهي أيضا إحدى عجائب الدنيا لما تحتوي عليه من مشاهد الأنبياء... وآل البيت - والمجاهدين والتابعين والعلماء والزهاد

والأولياء" (٤).

ويقول عن بلدة "زريقان" العراقية: "ومن فضائل هذه القرية أيضا أن بالشرق منها بمقدار نصف فرسخ مشهد سلمان الفارسي" (٥). وعن البصرة: "وفي الطريق إلى باب البصرة مشهد خيل البيان داخله قبر متسع السنام عليه مكتوب: هذا قبر عون وبمين، من أولاد أمير

١- محمد كرد علي / خطب الشام / ط٢/ بيروت / ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م / ج١/ ص ١٣.

٢- ملحة "خانقة".

٣- الرحلة / ١٩.

٤- ص ٣٠ / وقد تكررت هذه الكلمة كثيرا في ص ٢١-٢٤.

٥- ص ١٩٢ /

وله قد لوحظ أن ابن جبير يقول: "خانقة" (على وزن اسم الفاعل) خالما على الكلمة العربية، أي أنه عرّب الكلمة الفارسية "خانقة"، التي كثيرا ما ترجمت عند غيره كما

في أصلها الأعجمي، بالثاقف جينا، مثل المقدسي، الذي يقول عن نفسه: "وأكلت مع المورس الهرائس ومع الخانقائيين الثراءد" (١)، والثاقم بن يوسف التجيني (٢)، ود حسن البلي الذي يجمعها على "خانقات" (٣)، وبالكاكف جينا آخر (الخوفاك)، كين خلدون (٤)، ورحلة ابن بطوطة وردت على النحورين كليهما: موية (٥)، وبشكلها الفارسي، بالثاقف (٦).

وقد ذكر مترجم "وصف إفريقيا" للحسن بن محمد الوزان، بعد أن شرح معنى "الخانقات" بأنها "زاوية الصوفيين"، أنها "تكتب في أيلنا خطأ على شكل خانقة" (٧)، وهو ملتزم بالنورس الجيبية التي ستمناها آنفا، فهي تدل على أن "خانقة" ليست وليمة أيلنا هذه بل ينهم من كالم المترجم.

وفي أصل هذه الكلمة يقول محمد كرد علي: "الخانقة كلمة فارسية، قيل: أصلها خورنكاه الموضع الذي يأكل فيه الملك، وهي زوايا الصوفية"، ويعني فيذكر تاريخ نشرها في الإسكندرية قائلا إنها "لم تعبد على هذا النمط إلا في القرن السادس. وأول من بنائها من الملوك بمصر

١- كرتينكي فسكي / الأدب الجغرافي العربي / القسم الأول / ص ١٢٢.

٢- انظر "مستند الرحلة والأعراب" / ص ١٢٢، وهو يجمعها على "خانقات" / ص ٤.

٣- مدخل إلى الآثار الإسلامية / ص ١٧٣.

٤- التعريف بعبادة ابن خلدون شرقا وغربا / تحقيق محمد الطنجي / القاهرة / ١٩٥١ م / ص ٣٢٦. وقد شرحتها المحقق الهامشي هكذا: "الخانقات بالكاكف أو الثاقف: سكنى للصوفية المستطيقين للعبادة".

٥- ص ٢٧ من الرحلة.

٦- ص ٥٩.

٧- د عبد الرحمن حبيدة / وصف إفريقيا / ص ٢٠٨ هـ / ١٧٨.

ولم أره استخدم كلمة أخرى لها ، كالمستشفى أو المشفى أو دار الطيب أو دار العلاج مثلا ، مما يمكن استخدامه في هذا الموضع (١).

وفى " قاموس الفارسية " المذكور عبدالنسيم حسيني : " المارستان : مستشفى . وفى " النجد " : " المارستان (بفتح الراء وكسرها) : دار المرضى . فارسية . ويفسّل ملحق " محيط المحيط " القول فى أصل اللفظ ، فيقول (بعد أن يعطى معناها ، وهو " دار المرضى ") إنه معرب " ييلارستان " بالفرسية ، وإن هذه مركبة من " ييلار " أى مريض ، و " ستان " أى موضع ، وإن جمعه " مارستانات " . كما ذكر أيضا أنه قيل إن هذا اللفظ لم يسمع فى الكلام القديم (٢).

والفعل " مال " ، الذى يستخدمه ابن جبير للبحر حين يثور وتفتح أواجهه هو أيضا من الكلمات التى تكررت عدة مرات فى الرحلة . ومن ذلك قوله يصف اقترابهم من سورتيسا وقام عليها نوء مال له البحر " (٣) ، وقوله بعد اجتيازهم لهذه الجزيرة : " وفى يوم الأربعاء بعدما من أولها عصفت علينا ريح مال لها البحر " (٤) . ويقول عن أول مرحلة فى طريق العودة عن طريق البحر المتوسط : " والبحر فى أثناء ذلك هائل ، والريح لاتوافق " (٥) .

ولعله من " الهول " (أى " الإزعاج ") ، إذ ورد فى مثل هذه السياقات قوله : " وأصبح جميع من حضر من رؤساء البحر ... ومن شاهد الأسطر والأحوال فى البحر ... أنهم لم يظنوا قط مثل هذا الهول " (٦) . " وأزلنا بحر فروعون (البحر الأحمر) بعض أحواله

١- انظر مثالا ص/ ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥٤، ١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٥٧، ١٤٥٨، ١٤٥٩، ١٤٦٠، ١٤٦١، ١٤٦٢، ١٤٦٣، ١٤٦٤، ١٤٦٥، ١٤٦٦، ١٤٦٧، ١٤٦٨، ١٤٦٩، ١٤٧٠، ١٤٧١، ١٤٧٢، ١٤٧٣، ١٤٧٤، ١٤٧٥، ١٤٧٦، ١٤٧٧، ١٤٧٨، ١٤٧٩، ١٤٨٠، ١٤٨١، ١٤٨٢، ١٤٨٣، ١٤٨٤، ١٤٨٥، ١٤٨٦، ١٤٨٧، ١٤٨٨، ١٤٨٩، ١٤٩٠، ١٤٩١، ١٤٩٢، ١٤٩٣، ١٤٩٤، ١٤٩٥، ١٤٩٦، ١٤٩٧، ١٤٩٨، ١٤٩٩، ١٥٠٠، ١٥٠١، ١٥٠٢، ١٥٠٣، ١٥٠٤، ١٥٠٥، ١٥٠٦، ١٥٠٧، ١٥٠٨، ١٥٠٩، ١٥١٠، ١٥١١، ١٥١٢، ١٥١٣، ١٥١٤، ١٥١٥، ١٥١٦، ١٥١٧، ١٥١٨، ١٥١٩، ١٥٢٠، ١٥٢١، ١٥٢٢، ١٥٢٣، ١٥٢٤، ١٥٢٥، ١٥٢٦، ١٥٢٧، ١٥٢٨، ١٥٢٩، ١٥٣٠، ١٥٣١، ١٥٣٢، ١٥٣٣، ١٥٣٤، ١٥٣٥، ١٥٣٦، ١٥٣٧، ١٥٣٨، ١٥٣٩، ١٥٤٠، ١٥٤١، ١٥٤٢، ١٥٤٣، ١٥٤٤، ١٥٤٥، ١٥٤٦، ١٥٤٧، ١٥٤٨، ١٥٤٩، ١٥٥٠، ١٥٥١، ١٥٥٢، ١٥٥٣، ١٥٥٤، ١٥٥٥، ١٥٥٦، ١٥٥٧، ١٥٥٨، ١٥٥٩، ١٥٦٠، ١٥٦١، ١٥٦٢، ١٥٦٣، ١٥٦٤، ١٥٦٥، ١٥٦٦، ١٥٦٧، ١٥٦٨، ١٥٦٩، ١٥٧٠، ١٥٧١، ١٥٧٢، ١٥٧٣، ١٥٧٤، ١٥٧٥، ١٥٧٦، ١٥٧٧، ١٥٧٨، ١٥٧٩، ١٥٨٠، ١٥٨١، ١٥٨٢، ١٥٨٣، ١٥٨٤، ١٥٨٥، ١٥٨٦، ١٥٨٧، ١٥٨٨، ١٥٨٩، ١٥٩٠، ١٥٩١، ١٥٩٢، ١٥٩٣، ١٥٩٤، ١٥٩٥، ١٥٩٦، ١٥٩٧، ١٥٩٨، ١٥٩٩، ١٦٠٠، ١٦٠١، ١٦٠٢، ١٦٠٣، ١٦٠٤، ١٦٠٥، ١٦٠٦، ١٦٠٧، ١٦٠٨، ١٦٠٩، ١٦١٠، ١٦١١، ١٦١٢، ١٦١٣، ١٦١٤، ١٦١٥، ١٦١٦، ١٦١٧، ١٦١٨، ١٦١٩، ١٦٢٠، ١٦٢١، ١٦٢٢، ١٦٢٣، ١٦٢٤، ١٦٢٥، ١٦٢٦، ١٦٢٧، ١٦٢٨، ١٦٢٩، ١٦٣٠، ١٦٣١، ١٦٣٢، ١٦٣٣، ١٦٣٤، ١٦٣٥، ١٦٣٦، ١٦٣٧، ١٦٣٨، ١٦٣٩، ١٦٤٠، ١٦٤١، ١٦٤٢، ١٦٤٣، ١٦٤٤، ١٦٤٥، ١٦٤٦، ١٦٤٧، ١٦٤٨، ١٦٤٩، ١٦٥٠، ١٦٥١، ١٦٥٢، ١٦٥٣، ١٦٥٤، ١٦٥٥، ١٦٥٦، ١٦٥٧، ١٦٥٨، ١٦٥٩، ١٦٦٠، ١٦٦١، ١٦٦٢، ١٦٦٣، ١٦٦٤، ١٦٦٥، ١٦٦٦، ١٦٦٧، ١٦٦٨، ١

الموصوفة" (١). "كان نبروتنا بحجة جليلين لله عز وجل وشاكركم على السلامة والنجاة من هوما ما عايناه في تلك الغنية الأيام طول مقاما في البحر، وكنت أهو لا أشتدني" (٢) وقول "وأصبحنا يوم الأحد المذكور والبول نزيدنا بالبحر قد حاجه فالتجعه وبماج ماله" (٣) وقول "ضربت وجهها ريح أكمنا على الأعقاب وتبعنا علينا عولرض وتم حصلنا بها ومن الليل والبحر في ثلاث ظلم، وعاب البحر، تتوالى صدماته، وقطعا هذه الليلة البهمل في ملجمة أوال، ومكبدة، أرجال، ومقلبة أوال" (٤) فكون معنى "مال الجحش" - "أقوع (الساقرين فيه)" من "هال (بول)" بهذا المعنى، أما بتفسير "شلح أقالا الرجل" (في ظ دار صلر ونبروت) لهذه الكلمة بـ "ثار وماج"، فهو من المجرى الرسل، إذ البحر يجرى ويخيف عندما يثرد وجهه ويبيح

وهو يسمى "بيان السفينة" أحيانا بـ "الرئيس" وفي "الرئيس" ولأصح من جحر من رؤسا البحر من الروم ومن شاهد الأسفار والأهوال في البحر من المسلمين فهم لم يعلموا قتل هذا الول (٥) "فزع ريان المركبة ومرو الراس، أن تلك الحال التي أحيانا نأوت جده يومين". "وأصوتا من صغرة مزاء، الرؤسا، والتي أتيه في التعرف بالحيطة (نوع من المراكب) أتياعا أوال أفيحنا" (٦) "ثم هتعت علينا الرياح الغربية من أكمنا فافقه فعدوه

١- ص/٥٠
٢- ص/٥٢
٣- ص/٢٨٩
٤- ص/٢٩١
٥- ص/٥٠
٦- ص/٥٠
٧- ص/٢٨٥

المركب، فأخذ رئيسه ومديره الرومي الجنوبي - يرونها تارة بينما وتارة شمالا" (١). "ورث هؤلاء الأوقات من المسلمين والعشاري البلغرين (أي الحجاج) رئيس المركب، لأنها ستة عندهم في كل من يموت في البحر، ولايسل لوارث البيت إلى ميراثه" (٢). "فلما ... شارفا مدينة مسينة من الجزيرة المذكورة دمتا زعقات البحرين بأن المركب قد ألتاه الرياح بقوتها إلى أحد البرين - فلم رئيسهم بحط الشراع للحين، فلم يحط شراع العاري المعروف بالأردسون - فلما أبلغهم موقه الرأس بالسكين قلما قلما" (٣). "وتلورت الرياح والأمواج صفع المركب حتى تكسرت رجله الواحدة، فالتى الرأس موسى من

مليه" (٤). "و"الرأس" اسم فاعل من "رأس"، وتقلب "الرؤوس" و"الرئيس" هو سيد القوم ولهم (٥). و"ربان السفينة" هو سيد السفينة ومقيم بحارتها، وهم مؤروسوه (٦). أما بحارة السفينة فيسميهم "البحريين" وقد تكرر منه ذلك حين كادته عن المركب الحزينة التي سافر عليها في طريق العودة إلى بلاد الأتاس: "تودحت علينا الرياح الغربية صفعت ثوية (أي المود المستعرض في أعلى) العاري المعروف بالأردسون - فتبلر الحريون إليها - وصيح بالبحريين - فقصموا إلى نصف الضخبة الواقعة في البحر وأخرجوها - وشرع الحريون في إصلاح ثوية أخرى" (٧). "ولم يبق للجهات الأربع نفس

١- ص/٢٨٥
٢- ص/٢٨٧
٣- ص/٢٩٣
٤- ص/٢٩٤
٥- انظر مثلا "محيط المحيط" / مادة "رأس".
٦- وفي موريشونة "الرئيس" (بتشديد الياء وكسرهما)، وفي "تيل" من "رأس" على وزن "سيد" و"طيب".
٧- ص/٢٨٥

الناخداه " . كما ورد عند ابن بطوطة أيضا تسمية رئيس السفينة بـ " الناخداه " (١) . وهذه التسمية لم يستعملها ابن جبير قط .

كما ذكرت لفظة " الوظيفة (ته) " مرات في الرحلة بمعنى " الراتب " أو " الكلفة الشهرية " . قال عما خصمه صلاح الدين الأيوبي لأبناء السبيل المغاربة البارزين بمصر من الغزير يوميا : " ولها كله أوقاف من قبله ... وأتد على التوأمين لذلك متى تقصم من الوظائف المرسومة شيء أن يرجعوا إلى صلب ماله . ولما أمل بلمه ففى نهاية من الترفيه واتساع الأحوال ، ولايزمهم وظيف البيت " (٢) . وعن تسخير أسارى الروم فى بناء القلعة وغيرها : " للسلطان أيضا بمواضع أخر ببناء ، والأعراج (الروم) يخدمونه فيه . ومن يمكن استخدامه من المسلمين فى مثل هذه المنفعة العلية موفى عن ذلك كله . ولاوظيفة فى شيء من ذلك على أحد " (٣) . وعن إزالة صلاح الدين الأيوبي ضريبة الحجاج التى كان الفاطميون قد فرضوها عليهم : " ومن مفاخر هذا السلطان ... إزالته رسم المكس المضروب وظيفه على الحجاج مدة دولة الميسيين " (٤) . وعن نفس الموضوع ، أثناء حديثه عن أصل " عذاب " (على البحر الأحمر) : " لهم على كل حمل طعام ... ضريبة مطرومة خفيفة المثرية ، بالإضافة إلى الوظائف المكروية التى ... ذكرنا رفع صلاح الدين لها " (٥) . وفى نفس الموضوع ، فى أثناء كلامه عن العنت الذى يلقاه الحجاج على أيدي أمير مكة : " رفع (صلاح الدين) ضرائب المكوس عن الحجاج ، وجعل عوض ذلك مالا وطعما يأمر بتوصيلها إلى مكى مكررا لييسر مكملة . ففتتسى أبطأت عنهم تلك الوظيفة المترتبة لهم على هذا

١- ص/ ٣٧٩ .

٢- ص/ ١٦ .

٣- ص/ ٢٥ .

٤- ص/ ٣٠ .

٥- ص/ ٤٥ .

يتتسم . وهذا الهواء الذى يسميه البحريون اللاتنى " (١) . فلما ... شاركنا مدينة مسينة ... ذهبتا زعقات البحرين بأن المركب قد أفلته الريح بقوة إلى أحد البرين " (٢) " والبحريون قد ضموا العشارى (زورق البجاة) لإخراج المم من رجالهم ونسائهم وأسبابهم " (٣) .

وكان قد ذكر هذه الكلمة من قبل حين حديثه عن قصد المسلمين الإسكندرية لولا " أن دفع الله عليهم بمراكب عموت من مصر والإسكندرية دخل فيها الحاجب المعروف بلوا مع أبطر المغاربة البحرين ، فلهذا العدو وهو قد قارب البجاة بنفسه فأخذوا عن آخرهم " (٤) .

وقد ذكر صاحب " محيط المحيط " أن كلمة " بحرى " تطلق عرفا على " الملاح " .

لما فى طريق الذهاب فقلد استخدم كلمة " النوالية " وهو يعنى البحر الأحمر من غير إلى جدة : " وأبصرنا من صنعة هؤلاء الرؤساء والنوالية فى التعرف بالجبلية أثناءها لم ضخما " (٥) . وقد جاء فى " محيط المحيط " : " النوالتى : الملاح ... فى البحر خاصة . والجميع نوالتى ونوالية " . وأما بالنسبة لأصلها فقد قدم احتماليين : إما أنها من " نالت بنوت : تبايل م ضف " ، وإما أنها موروثة عن اليونانية " (٦) .

وهناك تسمية أخرى لـ " ربان السفينة " ، هى " الناخداه " وقد وردت هذه التسمية فى غير أحد كتب الرحلات القديمة ، وهو " عجائب الهند بره ويحوه وجزائره ليزرك بن شهر

١- ص/ ٢٨٦ .

٢- ص/ ٢٩٢ .

٣- ص/ ٢٩٤ .

٤- ص/ ٢٥ .

٥/ ص

٦- انظر " محيط المحيط " / مادة " نوت " .

وفيه : " في الوظيفة التي وظائفها عليهم " (١) ، وكللـك عندك عندك لسان الدين بن الخطيب في الإحاطة " ، وذلك في قوله على لسان بلكين بن بليس بن جوس : لا يلزمها وظيف بوجه ، ولا يكلف منها كلمة " (٢) .

وقد قال شارح الألفاظ الصعبة في الكلب (٣) عند كلمة " وظيف " : " لعله أراد بالوظيف : الوظيفة ، أي ما يقدر لهم من رزق ونحوه " . وهو ما يفيد أنه لم يجد كلمة " وظيف " في المعاجم التي رجع إليها ، فاعتمد على التخمين .

وجه في " مستند الرحلة والانتسراب " للتجيني السبتي عن أبي الفتح لاجين (من الممالك) : " وأمر بإسقاط ما كان يؤخذ منهم (أي الحجاج) في جميع بلاده من الوظائف والعرائب " (٤) .

ومثل كلمة " وظيفـة " تكرر في الرحلة كلها " إجراء " و " جارية " ، اللتان تقابلانها في المعنى . فـ " الوظيفة " يفرضها الحاكم على الناس ، أما " الجارية " فإنه يفرضها لهم : " ومن يتلقب هذا البلد . (الإسكندرية) - المدارس والمارس (المساكن المجتلية) الموضوع في أهل الطلب والتعب . فيبقى كل واحد منهم مسكناً يأوي إليه ، ومدرسا يطعمه الفن الذي يريد تعلمه وإجراء يقوم به في جميع أحواله " (٥) . وعن تزيين بعض المتقربين لمصالح الدين أن يلغى منحة الخبز المقررة للحجاج : " ذكر أن أكثر هؤلاء يأخذون جارية الخبز ولا حاجة لهم بها " (٦) .

١- الأذهاني / المجموع الميث في غريب القرآن والصحيث / تحقيق عبد الكريم الزبدي / منشورات جامعة أم القرى - سبيل البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي / ط ١/ ١٩٨٨ م / ص ٤٢٣ .
٢- الإحاطة في أخبار غرناطة / تحقيق محمد عبدالله عثمان / مجلد ١/ ٢٤١ / الخافجي / القاهرة / ١٩٣٢ .

٣- ص ١٦/ ٣٠ .
٤- ص ٧/ ٨٠ .
٥- ص ١٥ .
٦- ص ١٦ .

الأخير إلى توزيع الحجاج " (١) . وفي نفس الموضوع أيضا عند ذكره دماء الحجاج لمصالح الدين في الحرم : " وحق ذلك عليهم لما رفعه من وظائف المكوس عنهم " (٢) . وعن تكليف كل سفينة مابطة في النيل بأن تحصل بعض الحجارة من سور " أمستا " (مدينة في صعيد مصر) : " وكان لها سور عتيق هدمه صلاح الدين ، وجعل على كل مركب منحدر في النيل وظيفة من حمل مخزونه إلى القاهرة ، فنقل بأسره إليها " (٣) . وعن مأثرة جمال الدين وزير صاحب الموصل في جلب الماء إلى عوفات : " وكان من أشرف أفعاله أن جلب الماء إلى عوفات وقاطع عليه العرب - بوظيفة من المال كبيرة على ألا يطعوا الماء عن الحاج " (٤) .

وجه في " الصحاح " أن " الوظيفة : ما يقدر للإنسان في كل يوم من طعام أو رزق " ، وهو قريب مما جاء في " محيط المحيط " . ولم يرد فيها " الوظيف " إلا بمعنى " مستند الدراع والسان من الخيل والإبل ونحوهما " .

لما في " تاج المروس " فلكلمة " الوظيف " عدة معان من بينها (وهو معنى " الوظيفة " أيضا) : " ما يقدر لك في اليوم وكذا في السنة والزمان المعين - من طعام أو رزق ونحوه . كشراب أو علف للداية . يقال : له وظيفة من رزق ، وعليه كل يوم وظيفة من عمل " . ثم ذكر عن أحمد بن أن في أصلها خلافا ، وأن الأظهر أنها مؤنثة .

وأما مجسم " Additions aux dictionnaires arabes " للمستشرق فليان (Fagnan) فقد

فسر " الوظيف " بـ " taxe arbitraire " ، أي " الضريبة الاعتسافية " ، وهو معنى قريب ما استخدمها فيه ابن جيسر .

وقد قابلتي كلمة " الوظيف " بنفس هذا المعنى في عهد كبة الرسول عليه السلام لبعضهم

١- ص ٥٤ .
٢- ص ٧٣ .
٣- ص ٣٣ .
٤- ص ١٢ .

”وللمسيان أيضا (الذين يتعلمون فيه القرآن) على قرأتهم جوالية معلومة“ (١).

ورافض أن ”الإجراء“ والجرية ”مُخَوَّنَتان من الفعل ”أجرى“ في مثل قولنا ”أجرى فلان على فلان مائة جنيه في الشهر“، أي خصمها له لإنفاق منها. وقد كان الأزهر يوزع على طلبته جولية ”من الخير. وقد صورده طه حسين ذلك تصويرا حيا أسرا في الجزء الثاني مسنن الأديام“. بل إني أعرف أنه منذ وقت غير بعيد كان الأزهر يوزع على طلبته كل يوم وجبة طعام بسمة من الجبن والبيض والحلوة الطحينية والفواكه. وربما لاتزال هذه الوجبة توزع على طلبته حتى الآن. وفي ”الصحيح“: ”الجرية: الجارى من الوطائف“. وقد ضمنت فيه بكسر الجيم، وهو نفس ما عرفتُها به ”محيط المحيط“ و”المنجد“ وإن كنا قد ضبطا الجيم بالفتح كالهما (٢).

هذا وقد استخدم ابن جبير الفعل ”أجرى“ في سياق آخر غير سياق المال والطعام. ومن ذلك قوله في الدعاية التي بثها الصليبيون في الشام عن عزيمتهم قصد المدينة المشرفة وإخراجه صلى الله عليه وسلم من قبره إنهم ”أشاعوا ذلك وأجروا ذكره على المستهم“ (٣).

وبسبب من شعور ابن جبير اللبني بجهده يكاد يرى في كل شيء آية من الآيات الإلهية، ومن ثم تكثر منه الكلمة في الرحلة:

يقول ابن جيوط مؤامرة الصليبين لبش قبر الرسول عليه السلام وسرقه جته الشريفة، وإتهامها بوقوعهم في أيدى الأسطول المصري: ”وكلت آية من آيات العنايات

١-ص/٢٤٥.

٢-أورد فانيان (Fagnan) في ملدة ”جرى“، في معجمه ”Additions aux dictionnaire arabes“ تغييراً يصل بهذه الكلمة، هو ”ماحب الجارى“ وفتوبه ”payer“ و”trésorier“ أي ”أمين الصندوق“.

٣-ص/٢٥.

ولكن صلاح الدين رأى ”أيقظوا عن العلة التي أجريتها لهم“ (١). وعن مشاهد الأديام والمجلبة والتابعين في قوافة مصر: ”قد وُكِّلَ بها قوَّة يسكنون فيها ويحفظونها، ومنظرا منظر عجيب والجرديات متصلة لثوبها في كل شهر“ (٢). وعن مشاهد أهل البيت والمالعين في القاهرة: ”وُكِّلَ بها قوَّة يسكنون فيها ويحفظونها... والجرديات متصلة لثوبها في كل شهر“ (٣). وعن المشاهد المروجة بالقوافة (في القاهرة أيضا): ”والإجراء على كل موضع منها متصل من قبل السلاطن في كل شهر... وحقق عندنا أن الإجراء على ذلك كله نيف على ألف دينار مصرية في الشهر“ (٤). وعن صلاح الدين وأبنائه القراء والإيتام خلصة ونجوى عليهم السلام كل شهر“ (٥). وعن متأثر صلاح الدين أيضا أنه ”أمر بعمارة محاضر (مدارس) ألزبها معلمين لكاتب الله عز وجل، يعلمون أبناء القراء والإيتام خلصة ونجوى عليهم السلام الكافية لهم“ (٦). وعن المكافأة المخصصة لمن يقرأون في جامع دمشق بعد العصر من سورة ”الكروثر“ إلى آخر القرآن: ”وللمجتمعين على ذلك إجراء كل يوم يعيش منه أزيد من خمسة إنسان“ (٧). وعن نفس المسجد: ”والمالكيسة زاوية للتدريس في الجانب الغربي، يجتمع فيها طلبة المغاربة، ولهم إجراء معلوم“ (٨). وعنه أيضا

١-ص/١٧.

٢-ص/٣٠.

٣-ص/٣٢.

٤-ص/٣٤.

٥-ص/٣٦.

٦-ص/٣٧.

٧-ص/٣٤٤.

٨-ص/٣٤٥.

الحجبة - ومظهر آياته على أيدي من يشاء من خلقه^(١).

وعن تعظيم الموج لما كان النصارى في سفينة العودة قد ألقوه في البحر لتخفيف حملها :
 " فأصبح في اليوم الثاني وقد جعلته الأوراج جناحا ، ودمت به إلى البر أفذاذا ، فعلم عبدة
 للظلمين وآية للمتوسمين^(٢).

وقد تكرر استخدام ابن جبر لـ "مجسج" و "مجتمع" بمعنى "حشد من الناس" أو
 "احتشادهم" :

" ثم يكرنا منها (من قرية "برما")^(٣) يوم الثلاثاء وهو يوم عيد النحر من سنة ثمان
 وسبعين وخمسائة المؤرخة ، فنامنا العلاء بموضع يعرف بطنانة (أي طنطا) ... فأبصرنا بها
 مجما خيلا ، وخطب الخطيب بخطبة بليغة جليلة^(٤).

" وذلك أنا لما جئنا الإسكندرية في الشهر المؤرخ أول عاينا مجتمعا من الناس عظيم
 برزوا لمطية أسرى من الروم أدخلوا البلد راكبين على الجمال ووجههم إلى أنيابها وحوالم
 الطبول والأبراق^(٥).

" والعمرة في هذا الشهر كله (شهر رجب) متصلة ليلا ونهارا ، رجالا ونساء ، لكن المجتمع كله
 إنما كان في الليلة الأولى ، وهي ليلة الموسم عندهم^(٦).

" وفي هذا الجامع المبارك (جامع دمشق) مجتمع عظيم كل يوم إثر صلاة الصبح لقراءة سبع من
 القرآن دائما ، ومثله إثر صلاة العصر ... ويحضر في هذا المجتمع ... كل من لا يجيد حفظ

١- ص/ ٣٦٦.

٢- ص/ ٣٩٥.

٣- ص/ ٨٨.

٤- الرحلة / ٣٤.

٥- ص/ ١١٣.

الجزارية^(١).

وعن عدم ضيق الحرم بالمشهود الحظيعة : " ومن آياته أن يلبه الكريم يفتح فسي الأسياح
 المملوكة المنكسورة ، والحرم قد غص بالخلق ، فدخله الجميع ولا يفتق عنهم بقدرة الله عز
 وجل ... والله الآيات اليسيات والبرهين المعجزات ، سبحانه وتعالى^(٢).

ويعد وصف خسوف القمر في مكة يعقب قائلا : " والله يلهما الاعتبار بآياته^(٣).

وعن جمرة العقبة وكيف أنها رغم مليركم فيها من حصى الرمي على توالى الأمور قد ظلمت
 كما هي لم تتحول إلى جبل من الجبال : " ولولا آيات الله اليسيات فيها لكانت كالجبال
 الرواسي لما يجتمع فيها على تعاقب الأمور وتوالى الأزمنة^(٤).

وعن تعجبه من اتساع مكة لأعداد الحجاج الهائلة : " فمن الآيات اليسيات أن يسع هذا الحرم
 العظيم هذا البب الأيمن الذى هو بطن واد سعة غلوة أو دونها ... وبما هذه البلة المكرمة في
 تختص به من الآيات اليسيات فى اتساعها لهذا البشر المعجز إحصاؤه إلا كما شبتها العلماء
 حقيقة بأنها تسع لوفودها اتساع الرحم لمولدها^(٥).

وعن اللون الأحمر فى جبل قلسيون بدمشق وأنه أقر دم هليل : " وهى من آيات الله تعالى
 وآياته لاتحصى^(٦).

وعن صنعة الفن فى عمارة مسجد دمشق : " فسبحان مسن ألهم عباده إلى هذه الصنائع

١- ص/ ٣٥.

٢- ص/ ٧٦.

٣- ص/ ١١٦.

٤- ص/ ١٣٦.

٥- ص/ ١٤٨.

٦- ص/ ٣٤٧.

بين هذين التورين الشريفين المباركين (١)

ويقول عن لاسم مدينة " رأس العين " العرقية : " هذا الاسم لها من أصلق الصفات ، وموضوعها به أشرف الموضوعات . وذلك أن الله تعالى فخر أرضها عيزنا وأجرها ماء حينا - (٢)

وعن حلب يقول : " ولما البلسد فوموعه ضخام جدا ، حفيل التركيب ، ببيع الحسن ، واسع الأسواق كيرها " (٣)

وعن حماة : " وموضوع هذه المدينة في ومة من الأرض عريضة مستطيلة كأنها خندق عميق " (٤) وفي حمص : " وتجد في هذه البلدة غنسد إيطارلك عليها من بقف ، في بسيطها ومنظرها وهيئة موموعها ، بعض شبه بمدينة إيشية من بلاد الأندلس " (٥)

وفي دمشق : " حلت من موموع الحسن بالمكان المكين ، وترتبت في منصفها أجسل

ترتين " (٦)

ومن الألفاظ التي تكررت في الرحلة على نحو لاقت كلمة " تبلر " (أو " بلور " أو " لتمر ") : " وتبلر الناس إلىسى الحجر فوقوا تحت اليزاب المبارك متجودين عن ثيابهم " (٧) . " وكنوا يرون بالحراب إلى الهواء ويلحدون إليها لقا بلببهم وهي قد تعويت لستها على رؤوسهم " (٨) . فلما - لم يبق حول البيت المبارك أحد من الرجال

١- ص/ ١٩٢

٢- ص/ ٣١٧

٣- ص/ ٣١٦

٤- ص/ ٣٢٠

٥- ص/ ٣٢٢

٦- ص/ ٣٢٤

٧- ص/ ٩٥

٨- ص/ ١٠٩

القرآن . وللمجتمعتين على ذلك إجراء كل يوم " (١)

" وعند فراغ المجتمع المنجس (لقراءة القرآن إثر المسبح والعصر في جامع دمشق) لقراءة صباحا يستند كل إنسان منهم إلى سارية ، ويجلس أمامه صبي يلقنه القرآن " (٢)

" ومع ذلك فقد استخدم ابن جسر كلمة " مجتمع " بمعنى " مكان الاجتماع " في النظم التالية :

" والقصص إلى عذاب من قوس على طريقتين - ومجتمع هاتين الطريقتين على مقربة من دناقش المذكور . ولهما مجتمع آخر على ماء يعرف بشاغيب " (٣)

" وكفى بهذا المجتمع الكريم والمتنظم الشريف " (٤)

" ولم يكن من المتاجر إلا أن الموسم ، ففيه مجتمع أهل المشرق والمغرب " (٥)

" منى في تلك الأيام الثلاثة سوق من أعظم الأسواق - ، لأنها مجتمع أهل الأقالق " (٦)

" ويسمون هذه السوق المجتمع إليها من الجهات البارز " (٧)

ونشارة كلمة أخرى لها معنى قريب من ذلك تكررت بضع مرات في الرحلة ، هي كلمة " الموموع " التي يستعملها ابن جسر بدلا من " موضع " أحيانا :

يقول ابن جسر عن قرية زريـر ان العراقية : " وحسبك من شرف موموعها أن حجلة تسمر شرقيا ، والفراوات يسقى غربيا ، وهي كالوروس بينهما ، والبساط والقوى والمزارع من

١- ص/ ٢٤٤

٢- ص/ ٢٤٥

٣- ص/ ٤٢

٤- ص/ ٩٦

٥- ص/ ٩٧

٦- ص/ ١٥٧

٧- ص/ ٢١٧

عجلا" (١). " فيلارد الناس للعلاحة يهينين الموضعين المباركين " (٢). " فلذا عصى الحاج فيه (أى فى الخبز) اخطفنه من أيديهم وتبلدون لأكله تتركاً بأكل الحاج له " (٣). " وتبلدنا إلى النزول فى الزوارق ، والأموح لشتها لايمكنها الوصول إلى المركب " (٤).

تبلد النساء إلى الصوم " (١). " فعند انسياب الماء عنه كان كثير من الرجال ولا تبلدون إليه تتركاً بفعل أرواحهم وأيديهم فيه " (٢). " وهذه الليلة المباركة . أنسى النصف من شعبان . عند أهل مكة محطة للأثر الكريم الولد فيها . فهم يبلدون فيها إلى البر من العمرة والطواف والملاحة " (٣). " فأسرع فسى الفراغ من الطواف وتلزمه " (٤). " وحضر القراء بين يديه (بين يدى خليب المسجد الحرام) - وفى فصول الخطبة يتدرون القراءة فيسكت خلال إكمالهم الآية التى لتزعموها من القرآن يعود إلى خطبته " (٥). " فابتدروا القراءة بنفسات عجيبة وتلاحين مطربة مشجعة " وبلدوا للحين بحاليهم من مرافق الأثم يبعونها من الحاج " (٦). " وتلحز التالين سقراطاً على يـــــــده ووقوعاً " (٨). " أخذ هذا الإهم الغريب الشأن فى إيراد خطبته " مبتدراً " (٩). " وفى أثناء مجلسه ذلك يتدرون المسائل ، وتظهر إليه الوقائع " (١٠). " وتالون بالرسال المسموع " (١١). " خفاف الإفحام فابتدر القلم ، ونزل عن المنبر "

١-ص/١١٦

٢-ص/١١٦

٣-ص/١١٩

٤-ص/١٢٥

٥-ص/١٢٩

٦-ص/١٢٨

٧-ص/١٨٥

٨-ص/١٩٥-١٩٦

٩-ص/١٩٧

١٠-ص/١٩٨

١١-ص/١٩٨

١-ص/١٩٩

٢-ص/٢٤٨

٣-ص/٢٥٩

٤-ص/٢٩٥

صبيح المفردات

فلذا انتقلنا إلى صبيح المفردات في لغة الرحلة لفت انتباهنا ميل ابن جبير إلى استخدام عد غير قليل من الصبيح غير المألوفة : مثلا الفعل "وقد - يقد" (بمعنى "يُغني") من الصبيح غير المتألفة ، إذ الشئح استعمال "أوقد" (البنى للمجهول) في هذه الحالة . ولكن ابن جبير لم في عدد من المواضع استعمال مجرد الثلاثي اللازم على مزيده المتعدى البنى للمجهول :

يقول عن الطريقة التي كانت متبعة في المسجد الحرام لإعلام أهل مكة أن وقت المحرور إبراز ساريا : "وقد نغبت في أعلى الصومعة (التي في الركن الشرقي من المسجد الحرام) حنية طويلة في رأسها عود كالذراع وفي طرفيه بكرتان صغيرتان يرفع عليهما قنديلان من الزجاج كبيران لايزال يقدان مدة التسخير" (١).

وفي نفس الموضع : "وفي ديار مكة كلها سطوح مرتفعة ، فمن لم يسمع نداء التسخير من بعد مسكنه من المسجد يصر القنديلين يقدان في أعلى الصومعة . فلذا لم يصرها علم أن الوقت قد انقطع" (٢).

ويقول عن مغسلة في جبل قلسيون (بدمشق) : "والسروج من الشئح والقائل تقيد في المغارة" (٣).

وعن نفس المغارة يقول : "وعلى هذه المغارة أيضا مسجد مبنى ، وأبصرنا فيه السروج تقيد نهرا" (٤).

وقد استخدم ابن جبير كلمة "وقيد" (الشئح الموقدة) المشتقة من هذا الفعل الثلاثي . قال

١-ص/١٣٣.
٢-ص/٣٤٥.
٣-ص/٣٤٧.
٤-ص/٣٤٨.

”كلّوا“).

ويقول عن أحد مساجد الإسكندرية: ”وشاهدنا من شأن مبناه عجايبا لا يستوفيه وصف وأصف“ (١)

(بدلا من ”يوقيه“).

ويقول عن عدل صلاح الدين: ”ومن عدل هذا السلطان وتأييده للسبيل أن الناس في بلاده لا يخلعون لباس الليل تصرفا فيما بينهم، ولا يستشعرون لسواده هيبة تبتتهم. على مثل ذلك شاهدنا أحوالهم بعصر والإسكندرية“ (٢) (بدلا من ”يشعرون“).

وعن شعور الحاج حول الكعبة: ”فكأنت عشية غليظة استشعرت النفوس فيها الفوز بالرحمة بقة بفعله (بفضل الله) وكرمه“ (٣).

ويقول عمن قمع منقوط وجودته: ”فالتجار يصعدون في الراكب لاستيجاليه“ (٤) (بدلا

من ”جله“). ”واستجلبت مها إلى المسجد حقلين من النخاع للمصقة“ (٥)

ويقول عن عطية النفوس والتصاوير الفرعونية في أحد المباني: ”يحسب الناظر استعظامها له أن عمر الزمان لو شغل بترويقه وترصيعه وتزيينه لفلان عنه“ (٦) (بدلا ”إعظاما له“).

ويقول في التقييب الشديد الذي يقوم به رجال الجمارك بالإسكندرية في أمتعة التلاميذ على البناء: ”وهذا أفتح ملبوثر في الأحديث الملمة. وقد نهى الله عن التجسس، فكيف عن الكشف لما يُرجى ستر الصوت دونه من حال لأريد صاحبها أن يتلخ عليها، إما استحضارا أو استغلا دون بخل بواجب يلزمها“ (٧) (بدل ”احتضارا“).

١- ص/ ١٥

٢- ص/ ٣٦

٣- ص/ ٩٥

٤- ص/ ٣٥

٥- ص/ ١٧٧

٦- ص/ ٧٨

٧- ص/ ٣٩

عن بالرم عامسة صقلية ومن بها من المسلمين: ”ولهم بها قاض يرتعون إليه في أحلكهم وطمع يجتمعون للملاحة فيه ويحتفلون في وقته في هذا الشهر المبارك“ (١).

وليس معنى هذا أنه لم يستعمل ”أوقد“، فقد استعملها مورا، لكنى قصدت أن من ميله تنكب المألوف لجرءه إلى ”وقد يقد“ في عدة مواضع.

وفي ”المصاحح“: ”وقدت النار بقِد وقودا (بالضم) ووقدا وقْدَة وقْدانا، أي توقدت وفي ”تاج العروس“: ”وقدت النار وقودا مثل: قبلت الشئ قبولا“، وكذلك ”وقدت النار وقودا، ك (وعد) وفيه أيضا: ”كل ما أوقعت به فهو وقود ووقد (بالكسر) ووقد“، وقد أن عبيد ابن عمر قرأ: ”وقيما الناس والحجارة“.

وفي ”المنجد“: ”وقد يقْد ... تاللا. ووقدت النار: اشتعلت - والوقْد والوقْد والوقْد مألوفة به النار“.

وقد وجدت في ”فنج الطيب“ من كلام الفتح بن خاقان: ”ونلر ما تقد“ (٢). كما صلاقتي في ”الوقيد“ في نص لإدريسي يقول فيه إنه كان بمسجد قرطبة على بين المحراب مخزن تم فيه العدد والفاصول والحساء الخاص بـ ”وقيد الشموع“ في كل ليلة - إلخ (٣).

ومن خروج ابن جبير أحيانا عن المألوف إكراهه من استعمال صيغة ”استعمل“ حيث تستعمل عادة صيغة أخرى.

يقول عما حسنت له في مكس الإسكندرية: ”واستنزل أحمد بن حسان منا لیسأل عن المغرب وسلع المركب“ (٤) (بدل ”أنزل“).

ويقول عن نفس الموضوع: ”ثم استحلوا بعد ذلك هل عنهم غير ما وجوهم لهم أم لا“ (٥) (بدلا

١- ص/ ٣٥

٢- فنج الطيب / مجلد ٥/ ٣٤٤

٣- انظر د أحمد رمضان أحمد / الرحلة والرحالة المسلمون / دار البيان العربي / جدة / ص ١٧٨

٤- ص/ ١٣

٥- ص/ ١٢

ومن خطيب شحات يوقف الخطبة حتى يصبح رجاله الأموال من المصلين وهو فوق المنبر :
" والخطيب جالس على المنبر يلحظ مواء المجتدين المستمعين على الناس " (١) (بدلا
" الساعين ") .

وعن سير الحجاج بعد تركهم مدينة " الحلة " المرفقة : " لا يروج للمستجبل على التفتن ،
ولا المقدم على التأخر " (٢) (بدل " المستجبل " ، التي تنشئ صيتها مع صيغ الصفات
الأخرى في النص) . " كاد يلتقي طرफا مخوقا ومستجالا " (٣) . " بداراً للرجل
واستجالا للقيام " (٤) .

وعن بغداد : " لأحسن فيها يستوقف البصر ويستدعى من المستوفى النقة (التوقف) والنظر
إلا جلتها " (٥) (بدلا من " المتوفى ") .

وعن أسواق حلب : " فكل سوق منها يقيد الأبطال حسنا ، وتستوقف المستوفى نجبا " (٦) (بدلا
" المتوفى ") .

وعن أهل بغداد وتغنيهم لمدينتهم على كل مدينة أخرى : " لا يستكثرون في مصور البسطة
شوى غير مشاهم " (٧) (بدل " يكتون ") .

وعنهم أيضا ومعلمتهم للفریب : " لا يجد (الغرب) من أهلها إلا من يعلمه بفاق ، أو يهش
إليه مشاقفة انتفاع واسترفاق " (٨) (بدل " ارتفاق ") .

- ١- ص / ٨٠ .
- ٢- ص / ٨٠ .
- ٣- ص / ١٣٣ .
- ٤- ص / ٨٠ .
- ٥- ص / ١٩٣ .
- ٦- ص / ٣٣٧ .
- ٧- ص / ١٩٤ .
- ٨- ص / ١٩٤ .

ويقول عن " الشقاقيف " ، التي توضع على الإبل ويركب فيها اثنان متقابلين : " ومن ش
من يستجيز اللعب بالمشطرنج ، أن يلاعب عليه تفكها وإجملها للنفس لآعبه " (١) (بدلا
من " يجوز " أو " يجيز ") .

ويقول عن زعيم قبائل البجاة الذين كانوا يسكنون عيذاب : " ومستلبه مع الولي
البلد " (٢) (يقصد مكان نيلته ، أي إقليمه . وذلك بدلا من " منبه ") .

وعن شدة الإضاءة في المسجد الحرام : " فاستلر العظيم كله حتى لاح فسى الهواء كالأ
العظيم من النور " (٣) (بدلا من " أُلر ") .

" فجاءت الحال غريبة في الاختصار ، خارجة عن محض الحفاظم والاستكبار ، داخلة من
التواضع والاستغفار " (٤) (بدلا من " التكبر " و " الصغار ") .

وعن تجار الكوفة الذين يتطرون الحجاج : " وبها يلتقى الحجاج كثير من أهل الكوفة
مستجلون إليهم البقي ، والخبز والنمر والأدم والنواكه " (بدل " جالبون ") .

ويقول عن الطرق الوصلة إلى بغداد وتكليف الجند بحراستها : " وعلى أكثرها خيل
رجال محترسون للطريق ، انتهاء من الخليفة بسيل الحاج دون اعتراض منهم لاستتفاع بك
أو سولها " (٥) (بدل " انتفاع ") .

وعن أحد سنة الكعبة : " صودر ... بخمسائة دينار مكية استقرضا ودفها " (٦) (بدلا
" اقترضها ") .

- ١- ص / ٤٣ .
- ٢- ص / ٤٨ .
- ٣- ص / ١٣٩ .
- ٤- ص / ١٨٦ .
- ٥- ص / ١٩١ .
- ٦- ص / ١٤٤-١٤٥ .

ومن نذر نذره نور الدين زنكي: "وقد كان نور الدين رحمه الله، نذر في موضة إصابته تفريق التي عشر ألف دينار في فداء أسرى من المغاربة. فلما استبل من موضة أرسل في فداءهم" (١)

(بيل "أبل")

وعن محاولة قياس الماء في زمزم: "استمحب الدلو وأدلاه" (٧) (بيل "اصطحب").

وعن أحد التجار في مكة: "وكان قد استمحب الخيف الخيس الضخيم مسج نفسه إلى البر" (٢).

"وأصبح الناس بها مقيمين - إزواء الإبل واستمحب الماء" (٤). "فيلروا الابتاع

لذلك يشق الخاتم التي يستمحبونها لشراة الأعراب لأنهم لا يبيعونهم إلا بها" (٥).

وعن شلب اسمه عبدالمسيح قلبوه في صقلية، فلما انفرد بهم صارحهم بأنه مسلم: "ولستهدى

منا بعض ما استمحبناه من الكرف الباركة من مكة والمدينة. فقسما الله" (٦).

"والناس... يروجون القنون في مقصد هذا الأسطول الذي يحاول منه العلافية (وليم، ملك

اصقلية) تغييره... ويستمحب معه نحو مائة سفينة" (٧).

وعن طسول مجلس الملك بخاصرة صقلية: "والجلس قد أخذ استمالة تلك السلطنة كلها، فجئنا من طوله وإشراف مناظرة، فأعلمنا أنه موضح غذاء الملك مع أصحابه" (٨) (بيل

١-ص/٣٨٠.

٢-ص/١١٩.

٣-ص/١٤٨.

٤-ص/١٦٣.

٥-ص/١٨٢.

٦-ص/٢٩٩.

٧-ص/٣١٠.

٨-ص/٣٠٤.

وعن الخليفة العباسي: "وهو ميون النقية عنهم (عند العلة)، قد استمعلوا بيلمه وخطا

وعلا وطيب عيش" (١) (بيل "سعلوا"). وعن سلجوق، زوجة نور الدين بن قرا أرسلان، ملك آمد

"ومن شرف خاتون هذه، واسمها سلجوق، أن صلاح الدين استفتح آمد بلك زوجها نور الدين -

فترك البلد لها كرامة لأبيها، وأعطاهما المفتاح" (٧) (بيل "فتح").

وعن أهل قسرين لما فتحت الأندلس: "يذكر أن أهل قسرين عند استفتح الأندلس نزلوا

جيان تلمسا بشبه الوطن وتعللا به" (٢).

وعن قلاج أرسلان وقروحاته: "استفتح من بلاد الروم نحو الخمسة وعشرين بلدا" (٤).

وعن مدينة "بزاعة" السورية: "ولها أحد ملوك الروم فقلته باستمعليها" (٥) (بيل

من "صعوبها" أو "تصعبها").

وعن جامع دمشق: "أكره الحريق مرتين - فليستحال رونقه" (٦) (بيل "حال").

وعن بلاد الشام: "وشأن هذه البلاد أعجب من أن يستوفى في الحديث عنه" (٧) (بيل

"يوفي").

وعن دمشق: "وجملة الأمر أن منظرها والوقوف على هيئة وضعها وعظيم الاستنار فيها - من أغرب ما يحدث به من عجائب الدنيا" (٨) (بيل "الاقتدار").

١-ص/٣٠٣.

٢-ص/٣٠٧.

٣-ص/٣٧٨.

٤-ص/٣٠٧.

٥-ص/٣٢٤.

٦-ص/٣٤١.

٧-ص/٣٦١.

٨-ص/٣٦٧.

من "طول"

ومن أثير من أمراء البيزنطيين وفد على صليبة متكرا : " فاستخبر عن أمر الملك المعلى غيلام ... واستنطقوا استخفهم " (١) (بديل "أخبر") .

وعن رجل مسلم بصليبة طلب من الحجاج المارتن بذلك البلد أن يثروا بينهم على من يتروج ابنته ويأخذها بعيدا عن أرض الكفر . فلما وجد الرجل المطلوب : " أعناه على استغنم هذه الفرصة المؤدية إلى خير الدنيا والآخرة " (٢) (بديل "اقتنم") .

وهناك أفعال أتي بها ابن جيسر على صيغ أخرى غير "استغفل" ، والمادة أيرلحا على غير الصيغة التي استخدمها أو استعمال كلمة أخرى مكانها .

من ذلك الفعل "تأخر" (واشتتتالسه) . السدى تكرر في الرحلة بضع مرات . والمعاد استخدام "احتسب" مكانه :

"وما شاهدها أيضا من مغامر هذا السلطان (يقصد صلاح الدين) المرستان الذي بمدينة القاهـرة . وهو قصر من القصور الرائعة حسنا ولصامتا أيرزه لهذه الغنيمة تأجرا واحتسابا " (٣) . وكثير من الناس المتأخرين (المتأخرين الأجر والثواب) من بينه على ماله بسيله " (٤) . وكان بعض الحجاج المتأخرين المشفقين يبل ثوبه بذلك الماء المبارك ويخرج إليهم ويصوه في أيدي البعض منهم ، فيلقينه شربسا ومسحا على الوجه ، والأبنان " (٥) . ومن الأمور المحظورة في هذا الحرم الشريف ... أن النعمة فيه منوعة لا يحد المتأخر من ذوى اليسار إليها سيلا في تجديد بله أو إقلمة حلهم أو غير ذلك مما يخص

بالحرم المبارك " (١) . والنساء المشيات المتأخرات كثير يسابقن الرجال في تلك السيل البركة " (٢) . ألقى في يوم من الأيام - رجلا أسود مريضا مطروحا بموضمه - فتأخر فيه والتزم تربيضه وخدمته " (٣) . وللقراء - وقف وضمه بعض المتأخرين الموقنين برسهم " (٤) . ولما قبله (أي وليهم ملك صليبة) - فهم مسلمون ، منهم إلا من يسوم الأشهر تطوعا وتأجرا " (٥) . فتأخر هذا الرجل المرغوب إليه (الرجل الذي قبل تزوج الفتاة المعاليمة المسلمة) ، التي مَر ذكرها قبل قليل (يقول ذلك وأمناه على استغنم هذه الفرصة " (٦) .

هذا وقد عثرت على صيغة أخرى غير شائعة من نفس المادة يقصد بها المعنى ذاته ، وهي صيغة "التجور" . وذلك في قول محمد بن عبدالله النيري الطائفي في زينب أخت الحجاج وبعض النسوة التي خرجن معها حاجلات على أقلامهن :

أسمان الذي فوق المسسولات عرشه - مرواشي بالبطحاء مؤتجرات وعلى نفس صيغة "تأخر" جاء عند ابن جبير ، الفعل "تأسس" ببدلا من "استأسس" :

"يذكر أن أهل قسرين عند استنحاح الأندلس نزولوا جيان تأسسا بشبه الرمل وتعللا به " (٧) . وهناك صيغة "التعل" ، التي تكرر استعمال ابن جبير لها في موضوع "فعل" : "ويرتقونها

- ١-ص/٣٤.
- ٢-ص/١١٠.
- ٣-ص/٣٦٢.
- ٤-ص/٣٦٤.
- ٥-ص/٣٩٩.
- ٦-ص/٣٦٦.
- ٧-ص/٣٧٨.

- ١-ص/٣٧٨.
- ٢-ص/٣٦٦.
- ٣-ص/٣٦٦.
- ٤-ص/٨٩.
- ٥-ص/٩٥.

وزنقه . وكسرت الغشبة التي تربط الشرع فيها " (١) (بدلا من " ترتبط " الثاني البني للجهول) . " فأنغم الله باجر لهم عليه " (٢) (بدلا من " جرتهم ") . " عطف عدة المركب واختلاها ولفصلها مرة بعد المرة " (٣) (بدل " انغمها " ، بل بدلا من " لكسارها ") . " وجلوه سببا إلى استلاب الأروال " (٤) (بدل " سلب ") . " فلما فرغ من السعي استلكت السيوف لأمه " (٥) (بدلا من " سكت " ، واليعتين بالبناء للجهول) . " ثم بعد ذلك ليلة ثلاث وعشرين . وكان المختم (أي السعي الذي ختم القرآن) فيها أحد أبناء المكين ذوي اليسر " (٦) " فكان الاختتم فيها الأمام الحنفى " (٧) . " وطائفة التزمت الحنجر المبارك للملأة على أنوار " (٨) (بدلا من " لسزمت ") . " وكسل من وقفه الله - يلتزم - ضيعة من الضياع - ويلتزم الإملاء " (٩) . " لهم في ذلك طريقة مباركة مثمرة " (١٠) " وفي هذه الأيام يتفتح اليت الكريم كل يوم للأعاجم الرائقين والخراشيق " (١١) (بدل " يتفتح ") . " وحصل المسلمون منها على غنائم يفيق العصر عنها ، إلى ما اكتفت (أخذ) من الأئمة والخلافة " (١٢)

- ١-ص/٣٠
٢-ص/٣٥
٣-ص/٥٢
٤-ص/٥٥
٥-ص/١٠٩
٦-ص/١٣٧
٧-ص/١٣٩
٨-ص/١٣٠
٩-ص/٢٥٩
١٠-ص/١٩٥
١١-ص/١٥٨
١٢-ص/٢٣٢

ارتقاب المسألة " (١) (بدلا من " يرتقب ") : " يرتقب ذلك اليوم لارتقاب يوم المسألة " (٢) " فنزلنا مرتين لانتشار الفزع " (٣) " فحسب المشتب فيه - ملكوه هذا الفن الفانح " (٤) (بدل " انقلب ") . " أمنا ترتقب المباح " (٥) . " وسيرة هذا الأثير (طمستين ، أثير الحج) بالرفق بالحاج والأحياء عليهم لبقمتهم وسائقهم وضم نشر مستهم ويسرتهم سيرة محمودة " (٦) (بدل " الحراسة ") . " وارتجنا مع المباح فوجة تخفف عنا بعض ملازل بنا " (٧) (بدل " رجسونا ") . " أطلقنا عليه أيدي الاتهاب " (٨) (بدلا من " النهب ") . " والذي انهب له أكثر " (٩) . " ولولا ذلك لانهب جميع مافي المركب لتهابا " (١٠) (بدلا من " نهب نهب ") . " دلوه التي لبثنا " (١١) (بدلا " بناها ") . " لفي عيون الاحراس عليه خوفا من اغتيال يلحقه " (١٢) . " وزك البحر احتياجا " (١٣) (بدلا من " مباحا أو ميحانا " - مصدر الثلاثي المجرد) . " فلجىء إلى استعمال الشرع المغار فأخذت الريح أحما

- ١-ص/٥٧
٢-ص/٥٧
٣-ص/٥٨
٤-ص/٩٤
٥-ص/٢٩٤
٦-ص/١٩١
٧-ص/١٠
٨-ص/١٣٣
٩-ص/١٤٨
١٠-ص/٢٩٥
١١-ص/١٤٨
١٢-ص/٣١١
١٣-ص/١٠

رئسا لم يتخلص (يتخلص أى يمكن) للمائتين بسببه طواف ولا للمسلمين صلاة لعلو تلك الأمور ولشغال الأسباع والأزمان بها " (١) : "فسأنا له من الله عز وجل التخلص مما هو فيه " (٧) . فإن رضىها تزوجها ، وإن لم يرضها تزوجها من رضى لها من أهل بلده ، ويخرجها مع نفسه راضية بغراق أبيها وإخوتها طمعا فى التخلص من هذه الفتنة ورغبة فى الحصول فى بلاد المسلمين . فطالب الأب والإخوة نفقا لذلك لهم يحذرون السيل للتخلص إلى بلاد المسلمين بأنفسهم " (٣) .

"وعلى ساحل البحر أعران يتوكلون بهم ويختل جميع ما أكرزله إلى اللبون " (٤) .
 "وكان أكرهم متفحصين لأداء الفريضة لم يستصحبوا سوى زاد لطريقهم " (٥) .
 "يبدسونه (أى قشر جوز الهند) إلى أن يتحيطا ويقتلون منه لم يسا يخطمون بهـ
 الراكب " (٦) . أى يسمح خيوطا .

"قد وقع القطع من كل من تطوف على الأفان - أنها أليب لحم يؤكل فى الدنيا " (٧) .
 "وكنسوا يرمون بالحرايب إلى الهواء ويلدرون إليها لفتا بأيديهم وهى قد تصوبت أستها على رؤوسهم وهم فى زحام لايمكن فيه الحال " (٨) . أى لتجبت من " صوبه فتصوب "

أص/ ١١٨ .
 ٢-ص/ ٣١٤ .
 ٣-ص/ ٢١٥-٢١٦ . أما فى النص الطالى مثلا فقد استخدم صيغة مجرد الثلاثى : "خلص أحننا فسى ذلك الزحام على صوبه " ص/ ١١٨ كما أنه فى النص التالى قد استخدم "تخلص" بمعنى "خلص" ، بالتحديد : "وتخلصوا من أسرى المسلمين عددا كبيرا" ص/ ٣٧٢ .

١-ص/ ١٣ .
 ٢-ص/ ١٣ .
 ٣-ص/ ٤٧ .
 ٤-ص/ ٩٨ .
 ٥-ص/ ١٠٩ .

" فاحتازت كل يد ملحوت " (١) (بدل " حازت ") . " مؤذة يفتكهم أملوهم وجبر لهم " (٢) (بدلا من " يفتكهم ") .

ولسست أقعد أن ابن جبر قد أخطأ ، بل أقول إنه تكبب الصيغة الأشيع . ومع ذلك فقد يكون هناك غرض بلاغى أو أسلوبى قصده من وراء صيغته هذا .

وعلى وزن " انفل " جاءت الأفعال " انجل " و " انحشد " و " اندفع " : الأول بدلا من " جل / أنجل " (بمعنى " نفر أو فر مسرعا ") ، والثانى بدلا من " انحشد " ، والثالث بدلا من " دفع " (بالبناء للمجهول) : " انجل بين يديه " (٣) . " فانجل الجميع إليها " (٤) . " خرج إلى العرة فى احتفال لم يسمح مثله انحشد له أهل مكة على بكرة أبيهم " (٥) . " وحضر الإمام المفل فسلمى الترابيع وختم ، وقد انحشد أهل المسجد الحرام إليه رجالا ونساء " (٦) . فلما ختموا القرآن دعوا له وانصرفوا واندفع لكل واحد منهم رطل من الخبز " (٧) .

ويتكرر عنده استخدام صيغة المطاوعة " تقفل " حيث تستخدم صيغة أخرى ، كما يتضح من النصوص التالية :

" ويسر الله علينا فى التخلص (أى الخلاص) من بحرها " (٨) . " فكتنا لتخلص (نتخلص) أى ننفل " (إلا بين هو لاجهن وبين قوائم الإبل الكثيرة الزحام " (٩) . فكان مرأى هكلا مسوعا

١-ص/ ٣٧٢ .
 ٢-ص/ ٧٨٠ .
 ٣-ص/ ١٠٩ .
 ٤-ص/ ١١٤ .
 ٥-ص/ ١٠٨ .
 ٦-ص/ ١٢٨ .
 ٧-ص/ ٣٦٣ .
 ٨-ص/ ١٠ .
 ٩-ص/ ١٠٨ .

ومن ذلك كلمة "حلق": "ومو (أى مسجد بن طولون) من الجوامع التيئة الأتية الصنة

الواسعة البينان . وجعله السلطان مأوى للفرسان من المغاربة : يسكنونه ويحفظون فيه " (١)

(بدلا من "يحفظون" ، أى يشكلون حافات للتدريس) "وإن طال طريقه بهذا التحلىق فيرون لما يلقى بعذاب ونحوها" (٢) (بدلا من "الطواف" فى رحلة طويلة ") . "وقد ساء عليهم نبيلات الطريق الفاسدة إلى بلادهم ، ولم يبق لهم إلا طريق عن الحصن يأخذ على الصحراء ويعد مياه

عليهم يحلىق يخترض فيه " (٣) (بدلا من "السير فى طريق طويل دائرى") .

ومنه "جتح تجيعسا": "فجميع جوامع البلدة المجمع فيها أحد عشر" (٤) . "وللمدينة (التوقيل) جلمسان .. ويجمع فى هذين الجلمسين .. ويجمع أيضا فى جامع الترض" (٥)

"والجامع الآخر (فى مدينة "رأس المن" المراتية) داخل البلد . وفيه يجمع أهله" (٦)

ومنه "خجر": "وهذا الموضع الذى لم يحجر عليه مو الذى تركت قريش من البيت" (٧) (أى

لم تن عليه سورا أو حاجزا)

ومنه "التريق والتشجير والتغيب": "وبازائها رختان متصلمان بجدار الحجر ..

أحدث المانع فيها من التريق الرقيق والتشجير والتغيب مالا يحشه الصقح البينين فى الكاغد قلما بالجلتين" (٨) (والقصور: رسم الأشجار وأوراقها وقضائياها)

- ١-ص/٣٩
- ٢-ص/٤٨
- ٣-ص/٣٣٣
- ٤-ص/٣٤
- ٥-ص/٣١١
- ٦-ص/٣١٤
- ٧-ص/٣١٣
- ٨-ص/٣١٤

"أخذ فى الرجوع وقد ترتب المسكر أن بين يديه" (١)

"وبالجملة فالشهر المبارك كله معمر بأفراح المبادلات من المسمرة وسواها . ويخص

أوله ونصفه من ذلك بحظ متين" (٢)

"تشرشت المغارب ، وتوقفت شجرة من الحالب ، فأبصروا خيالا غثره هلالا" (٣)

"وغلر الكل متسما على نفسه متحجا" (٤)

"ولهذه المدارس أوقاف عظيمة وعقارات محبة تتغير إلى القهاء المترسين بها" (٥)

"وهم يعرفون به (أى بلقب "الملحيب") كل محتشم متعين عنهم من غير الجند" (٦)

"من "عنه فتعين"

ومن الصيغ المتشرة فى الرحلة والمستعملة فى موضع صيغة أو عبارة أخرى عللة صيغة

"نقل / تنقيلا"

من ذلك "لثم" (بدلا من "لثم": "لثموا أله زكاة ذلك دون أن يسأل أحال عليه الحول لم

لا" (٧)

ومن ذلك كلمة "موقب" (بدلا من "مواقب محروس": " : فطيف به موقبا على السلطان أوتوا ثم

على القاضى" (٨)

- ١-ص/٣٩
- ٢-ص/١١٣
- ٣-ص/١٤٦
- ٤-ص/٣٠٠
- ٥-ص/٣٠٥
- ٦-ص/٣٧٥
- ٧-ص/١٣
- ٨-ص/١٣

ومنه "التعليب" : "والترع صلبة" (١)، أى مركبة على شكل صليب.

ومنه "التنين" : "وهذا المقياس (مقياس النيل) عمود رخام أبيض مثنى" (٢)، أى ذو ثمانية أركان.

ومنه "الركن والطليح والتشريف" : "ورؤوسها (رؤوس أعمدة الهيكل اللرعوى) فى نهاية من النظم والإتقان ، قد نجحت نجاحا غريبا ، فجاءت مركبة بديعة الشكل" (٣) (أى لها أركان) . "ومو (أى سطح الحرم) كلمه مشرف بشرفات مبنولة مركبة" (٤) . "كأن الشرفات المذكورة بنيت شقة واحدة ، ثم أحدثت فيها هذه التتاليح والتراكن ، فجاءت عجبية المنظر والشكل" (٥) . "وللمواضع أيضا أشكال بديعة .. مركبة من الأريمة جوارب بحجارة رائعة المنظر عجيبة الوضع" (٦) . "فيها تخليد فى الحصن مستطيلة الشكل كأنها محاريب" (٧) . "الخليد الوضع" (٨) . "وظالموها .. تتاليح فى الحصن" (٩) .

ومنه "الترخيم" : "وفى جوفى الروضة المقسمة (بمسجد المدينة حوض صغير موحى) (١٠)، أى مكسو بالرخام . "وقد قلت (البيانات المتعلقة بقناة جليح دمشق) على ثمانية وستين عمودا ،

- ١- ص/ ٣٩٠
- ٢- ص/ ٣٩٠
- ٣- ص/ ٣٦٠
- ٤- ص/ ٣٦٠
- ٥- ص/ ٣٦٠
- ٦- ص/ ٣٦٠
- ٧- ص/ ٣٦٠
- ٨- ص/ ٣٦٠
- ٩- ص/ ٣٦٠
- ١٠- ص/ ٣٦٠

ومنه "التنعين" : "ويتصل بينهما رخام أبيض صلقى اللون . قد أحدث الله عز وجل فى أصل خلقه أشكالا غريبة مائلة إلى الزرقة مشجرة مصفنة" (١) (أى على شكل أشجار وأغصان) . "أعد له ثريا متنوعة من الشمع مصفنة" (٢) . "وأوقعت الثريا المنصنة ذات النواكه" (٣) . "أحضر .. من ثريات الشمع أربعا مختلفات الصنعة : منها مشجرة مصفنة مشرة بلوائح النواكه .. ومنها غير مصفنة" (٤) .

هذا وقد استعملت الكلمة مطلقا أيضا فى الأندلس . قال د إسمان عباس فى أثناء حديثه عن أصل تسمية "الموشح" : "وقد يوضح هذه التسمية اصطلاح آخر اخترعه أحد النقاد الأندلسيين وهو يتحدث عن نوع من النثر ، وذلك هو اصطلاح "المصن" ، الذى يستعمله ابن عبد الفور فى كتاب "إحكام صنعة الكلام" .. ، وقد سماه كذلك لأنه ذو فروع وتولد ومثاله .. : "وقد يكون من النعم والإحسان ما يمد من النعم والالمان ، ومن النعماء والمعروف ما ليس بالأسماء والحروف" . فالتنعين فى رأيه هو المقابلة بين "النعم (و) النعم / الإحسان (و) اللسان / النعماء (و) الأسماء / المعروف (و) الحروف" . وهو ترتيب تقريعى كما ترى ذو شبه بالتوشيح ، أى هو تجزئة فى وحدتين أو ثلاث أو أكثر ، ومقابلة هذه الوحدات بأخرى شبيهة بها . فالوشح فى الشعر ذو أعضان ، والمنعنى فى النثر ذو فروع وأغصان كذلك" (٥) .

- ١- ص/ ٣٧٠
- ٢- ص/ ٣٧٧
- ٣- ص/ ٣٧٨
- ٤- ص/ ٣٧٩، ويتعمد بهذا الاستعمال قوله عن الطريق بين الصلة وبعدها : "ويبقى منه البساط أغصان من ملة اللوات" / ص ٣٧٠، وكذلك قوله عن حوض فى وسطه أبريق يدفع الله بقوة : "وحوله ألييب سطر ترمى الله إلى عل ، فيخرج منها كعبان اللجين ، ككأبها أغصان تلك المروحة الملكية" / ص ٣٧٤ .
- ٥- ص/ د إسمان عباس / تاريخ الأديب الأندلسى / عصر الطوائف والبربر / دلو الثقافة / بيروت / ط ١٩٨١م / ص ٣٢٠-٣٢١ .

بوكه وفطه ، والله أعلم بذلك " (١) ، أرى إعلاناً عن ذلك .

و " التمسيس " : " أُنكى عيون الاحتراس عليه خوفاً من اغتيال يلحقه بتسميس من ابن عمه ايعاز عليه " (٢) (بدلاً من " التمس ")

و " التفريز " ، أرى قطع المغارة ، وهي الصحراء المهلكة : " يفئزون بصحراء عياليب " (٣)

فأورزنا سحر يوم الجمعة - وسوزنا في الصحراء حيث جن علينا الليل " (٤)

ومنه " التسيويل والتسويد " ، أي منلأة الآخرين بـ " يلمو لوى " و " يلسيلى " : " ومخطلية

أهل هذه الجهات (دمشق) قاطبة بعضهم لبعض بالتسيويل والتسيويد " (٥)

و " التوزيع " : " واعترضنا في نصف الطريق شجرة بلوط عظيمة الحزم تسمية التوزيع " (٦)

و " التعيف " ، بمعنى " الاعتقال " : " قلم ابن عم له في الملك وقتل الروح المذكورة وثقف

الابن المذكور ثم ابنا للثغر المذكور علقته الرحم على الابن المحتفل فاطلق سسله " (٧)

و " التنييت والتكيب " : " وربما فسد بها التنييت والتكيب " (٨) (بدلاً من " الإبعات "

و " الكيب ")

و " التيسل " : " وهذا الجبل ... فلما يطو من التيسل والزملاء " (٩) ، (بدلاً من

٥٢/ص

٣١١/ص

٤١/ص

٤٢/ص

٣٧٨/ص

٣٧٣/ص

٣١١/ص

١٥٩/ص

٣٦٠/ص

منها ... انتتان مورخة (كذا) - وأربع أرجل مورخة أبيع ترخيم " (١)

وبالمناسبة ، فقد ورد هذا الفعل ، فيما صلفت ، في قول أبي إسحاق الألبيري ، يحترض على اليهود الذين طغوا وبلغوا في إحدى قرى التاريخ الأندلسي :

ورخّصم قودهمو دلامهم وأجوى إليها نير العيون

وفي " الاعتبار " لأسملة بن منقذ عن أسير شلب من المسلمين كان قد ناقض ببدخوله الإسلام

ورقى مظلوماً به سنيين طويلة : " وتعلم الترخيم من مورخم كان يورخم دار والدى " (٢)

ومنه " التاريخ " بدل " الأريخ " (٣)

ومنه " التخشيع " : " ودعاهم كبير التخشيع في النفوس " (٤) ، أرى يؤثر فيها تأثيراً شديداً

فتخشيع لله . " فلتنع - (رفيق ابن جبر في الرحلة ، أحمد بن حسان) من اللانم لستلما

بحسن ذلك المسروع ومافيه من التثويق والتخشيع " (٥) . " قلم الخليل فسدع بضبة تحرك

لها أكثر النفوس من جهة الترجيع لا من جهة التذكير والتخشيع " (٦) . " فستما يمل إلى فصل

من تذكير أو تخشيع يرفعون أمواتهم يارب يارب " (٧) . " فضلب خطبة بليّة وإلى فيها

الاستفغار ووعظ الناس وذكرهم وخشعهم وحضهم على التوبة والإذابة لله عز وجل " (٨)

ومنه " التشهير " : " فبنى ذلك البنى عليه (على منزل حواء لم البشر عند جدة) تشهيراً

٣٣٧/ص

١٢-الأخبار/ص١٢-١٢١

٣٧/ص

١١٣/ص

١٢٠/ص

١٢٨/ص

١٢٩/ص

١٢٨/ص

تمكينا غير مستقيم^(١) . " قال لنا ...: تصفوا بما عندكم بالحجاج من المال الممكسين .

ثلاثا يقولوا عليكم . ومن أن عندنا تجارة تصفى التمكيس^(٢) .

ويدخل في المبيع غير المألوفة لاستعمال لبن جبير " بوقلت " جمعا لـ " بوق " . وفيه أمانة

على ما تقول :

جاء في كلامه عن ثبوت الهلال في مكة : " وعند ثبوت رؤية الهلال عند الأمير أمر بغرب الطبول

والبليل والبولقت ، إشعارا بأنها ليلة الموسم^(٣) .

وفي الإشارة إلى الإعلان عمن خلفه خلفها أخو صلاح الدين على أمير مكة : " وفي ضحوة يوم

الخميس بعده كما أيضا بالحجر الكريم ، فلذا بأصوات طبول ومبلبل وبوقلت قد قرعت الأذان

وارتجت لها نواحي الحرم الشريف^(٤) .

وفي الإشارة إلى الإعلان عن ركوب الخيل ونزولها في قافلة الحجاج المائتين : " ولها

الريالت والطبول والبولقت تغرب عند ركوبها وعند نزولها^(٥) .

وقال في وصف عرس صليبي صور : " وأصطفا سباطين عند باب العروس المهداة ،

والبولقت تغرب والمزمار وجنيح الآلات اللهوية^(٦) .

وعن احتفال المسلمين في أمر ابنش بمغنية بالعيد : " وخرج أهل البلد إلى مصانهم مع

صاحب أحكامه وأعزوا بالطبول والبولقت^(٧) .

لقد أخذ نقاد المتى عليه جمع كلمة " بوق " على " بوقلت " ، وقالوا إنه كان المفروض أن

١-ص/٣٧٤ .

٢-ص/٣٤٤ .

٣-ص/٣٨٨ .

٤-ص/٣٦٧ .

٥-ص/٢٠٧-٢٠٨ .

٦-ص/٣٧٨ .

٧-ص/٣٦٠ .

٨٧

" التبل "

و " التحلية والتسمية " ، بمعنى " الرصف " : " ويقول الملوي - : " أبقى الله الملكة

خاتون ، ابنة الملك الذي من أمره كما لو من شأنه كذا " ، ويحيط بهلده ، إعادنا بأسما

بأندها لكل وأصل للعزاء من محتشى البلدة وأعيانهم ويحلونهم بخلطهم الهائلة (أي ألقاب

الشرف التي لهم)^(١) . وفيه المدينة ، مبنية ، رأس جزيرة صقلية . وهي كبيرة المدن

والعسكر والضياع ، وتستجيبها تطول^(٢) .

و " التزيم " : " فلزمو أذناه زكاة ذلك " (٤) (بدل " الزمو ا ") .

و " التعشير " : " وكل من سولهم (من سوى الموحدين) من الملوك في هذا الأوان ... يعشرون

تجار المسلمين ، كأنهم أهل فمة لديهم " (٥) . أي يفرضون عليهم العشر .

و " التبريج والتشريف " (لـ بروج وشرفات) : " وهي حصن كبير مبرج مشرف " (٦) .

و " التزجية " (بدلا من " الإزجاء ") : " وسرنا ذلك اليوم كله بربح ترجى للراكب تزجية

حيية^(٧) .

و " التمكيس " (بمعنى " فرض المكوس ") ، وقد تكرر ، وفيه أمانة عليها : " ولتنبينا إلى

حصن كبير من حصون الإفرنج يعرف بتنين ، وهو موضع تمكيس القوافل " (٨) . ومكس الناس

١-ص/١٦٤ .

٢-ص/٣٦٧ .

٣-ص/٣٩٦ .

٤-ص/١٣٠ .

٥-ص/٥٦٠ .

٦-ص/١٨٢ .

٧-ص/٣٦٧ .

٨-ص/٣٧٤ .

٨٦

” ووقع الاحتفال في المسجد الحرام لهذا الشهر المبارك . وحق ذلك من تعجيد العصر وتكثير الشعاع والمشاعيل وغير ذلك من الآلات حتى تملأ الحرم نورا وسطع ضياءه “ (١) . ” وربطت في أعلاه عيدان نزلت منها قنديل وأسرجت في أعلامها مصابيح ومشاعيل “ (٢) . ” وجعل ذلك كله سُرُجًا ومشاعيل وشما “ (٣) . ” وأصعقت بالحرم المشاعيل “ (٤) . ” وأبعد المشعر الحرام تلك اليلة كلها مشاعيل من الشعاع المشرح “ (٥) . ” وأسراؤها بالليل بمشاعيل موقدة يسكبها الرجال بأيديهم ، فلاجبر قشرة من اللشارات إلا وألها مشعل “ (٦) . ” والمأروف أن تُجمع ” مشعل “ على ” مشاعيل “ ، بغير ياء . وقد جمعا ابن جبير ، مرة على الأقل ، هكذا فعلا : ” جرى الرسم في إيقاع مشاعله (أي المسجود الحرام) وثريقته ورشمه على الرسم المذكور ليلة سبع وعشرين من رمضان المعظم “ (٧) .

ومنه " الفخلاق " : " وهي (قيساريات دمشق) مرتفعات كأنها الفخاريات ، متفقة كما يليق

”فنديني“ فالمفروض أنها جمع ”فنداق“ ، وهي صيغة (الحساب) (٩) . وقد جمع ابن جبير

157/30-1

579/10-1

100505

154-100-1

عبد القوس النصارى / مع رحلة ابن خيثر / ص ١١١-١١٢، يحتاج العرويس، والمجنحة / مادة "فتيق" .

يجمعها جمع تكسير على "أفعال" مثلا أو غيرها. وقد رد المتنّي على هذا الاعتقاد بقوله إن هذه الكلمة مولدة ولم يسمع لها جمع إلا بالألف واللام. والذي يرجع إلى "الرسالة بين المتنّي وضرمه" مثلا يجد أن الجدل الذي أثارته هذه المبيعة الجمعية قد استغرق ثلاث صفحات (١) وقد عدت هذه المبيعة الجمعية في كتابي عن "لغة المتنّي" عادة من العلامات الدالة على ميل المتنّي في كثير من الأحيان إلى التكيب عن المألوف في الألفاظ والصيغ، رغبة منه في إدهاش السامعين ولفت انتباههم لميقول (٢). وأعسا هنا أيضا من الدلائل على هذا الميل عند ابن جبر. إن المتنّي إذا كان قد استعمل هذه المبيعة مرة واحدة فقد استعملها ابن جبر عدة مرات. وإذا كان المتنّي حين استعمالها لم يكن يدري أنها ستثير اعتراض النقاد وتجهّم عليه فلا بد أن ابن جبر كان يعرف هذا، ومع ذلك فقد استعملها. إنني لم أخطئه المتنّي، ولا أخطئه ابن جبر أيضا، فليس في الأمر خطأ كما بينت في كتابي المذكور. إنما أنا مجرد مستبط.

وثمة صيغة جميعية أخرى يكرر ابن جبر استعمالها في رحلته ويخرج فيها عن اللألف ، وهي صيغة "مفاعيل" ومايجوزى مفعولها.

- الرسالة بين المتتبي وخضرمه / يتحقق وشريح محمد أبو الفضل إبراهيم وعلى محمد الجبازي / عيسى البليبي

٦- أنظر د. إبراهيم عوض / لغة اللمتني / مطبعة الشباب الحر ومكتبها / القاهرة / ١٩٨٧م / ص ٤١-٤٣.

5-8/35

ابن جبر عن مدينة " مسية " المعالية : " مستسمة إلى جبال قد لتطمت حضيها وخلقتها " (١). ولكنها في طيبة بيروت : " خلقتها " (٢).

والآن هل أضل ابن جبر في زيادة " الباء " في هذه المدينة الجمعية ؟ لقد سبق أن كرت أن المألوف ألا تكون ثمة بلاء . وهو ملبس أن زيلتها ليست خطأ . وإن جاءت على خلاف المألوف وأفسد بالمألوف رأى البمرين ، الذي كبت له السيلة في النحو العربي . أما الكوفيين فلهـمـ يجوزون زيادة هذه الياء (٢) . ابن جبر إن يجرى في هذه الجوع على منسوب الكوفيين .

وقد قال الشاعر :

تغنى بياها الحصى في كل ملجوة نقى اللوليم تننأ الصياريف
جاءها " درهم " و " صيرف " (أو " صيرفي ") على " درهم " و " صياريف " بزيادة بياء ، بلاء مسن " درهم " و " صيارف " (أو " صيارفة ") ، وإن كان قد قيل في " درهم " إنها جمع " درهم " (٤) . وقد وجدت أيضا محمد السنوسي في رحلته الحجازية يجمع " باعث " على " برايعث " ، بالإضافة يه إلى " براعت " (٥) .

وهذان بعد مجرد مثالين .

وهناك صيغة جمعية أخرى تتكرر على نحو بارز عند ابن جبر وهي صيغة " أفعلة " من ذلك " أزودة " (جمع " زل ") : " وكان أكثرهم متفحصين لأداء الفريضة لم يستحقوا

١-رحلة ابن جبر / ط / ص ٣٠٦.

٢-رحلة ابن جبر / ط بيروت / ص ٣٩٦.

٣-انظر في هذا محمد عبد الويز الجبل / جبال السالك إلى أوجح السالك / خ ٤/ص ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥٤، ١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٥٧، ١٤٥٨، ١٤٥٩، ١٤٦٠، ١٤٦١، ١٤٦٢، ١٤٦٣، ١٤٦٤، ١٤٦٥، ١٤٦٦، ١٤٦٧، ١٤٦٨، ١٤٦٩، ١٤٧٠، ١٤٧١، ١٤٧٢، ١٤٧٣، ١٤٧٤، ١٤٧٥، ١٤٧٦، ١٤٧٧، ١٤٧٨، ١٤٧٩، ١٤٨٠، ١٤٨١، ١٤٨٢، ١٤٨٣، ١٤٨٤، ١٤٨٥، ١٤٨٦، ١٤٨٧، ١٤٨٨، ١٤٨٩، ١٤٩٠، ١٤٩١، ١٤٩٢، ١٤٩٣، ١٤٩٤، ١٤٩٥، ١٤٩٦، ١٤٩٧، ١٤٩٨، ١٤٩٩، ١٥٠٠، ١٥٠١، ١٥٠٢، ١٥٠٣، ١٥٠٤، ١٥٠٥، ١٥٠٦، ١٥٠٧، ١٥٠٨، ١٥٠٩، ١٥١٠، ١٥١١، ١٥١٢، ١٥١٣، ١٥١٤، ١٥١٥، ١٥١٦، ١٥١٧، ١٥١٨، ١٥١٩، ١٥٢٠، ١٥٢١، ١٥٢٢، ١٥٢٣، ١٥٢٤، ١٥٢٥، ١٥٢٦، ١٥٢٧، ١٥٢٨، ١٥٢٩، ١٥٣٠، ١٥٣١، ١٥٣٢، ١٥٣٣، ١٥٣٤، ١٥٣٥، ١٥٣٦، ١٥٣

تطبيق عليها لتزول القراء أبناء السبيل الذين يعصف أحصم عن تلقية الأكرية" (١).

ومنه "الأنية" (جمع "بناء") : "وقد شاع الخير بتزول سيف الإسلام الزاهر ، وضرب أبنية فيه ، ومقمته من المعسكر قد وصلت إلى الحرم" (٢).

ومنه "أبلطة" (جمع "بلاط") : "في الجانب القلي منه خمسة أبلطة" (٣). "وهو خمسة

أبلطة" (٤). ومع ذلك ، فالغالب جمعه "بلاط" على "بلاطات"

ومن ذلك "أسورة" (جمع "سور") : تحنها سوتيريات (سوار صغيرة) مقولات قتل الأسورة ،

كلها مخروطة" (٥).

ومنه "أكسية" (جمع "كساء") : "والبروة المباركة أوفاف كبيرة ... فيها ... مامو معين

للأكسية برسم الأعطية بالليل" (٦).

ومنه "أزمة" (جمع "زمام") : "دله قومة" (مشرفون قائمون عليه. والكلام عن ملستان)

بأيديهم الأزمة (المجالات) المحترية على أسماء المرضى وعلى النفقات التي يحتاجون إليها

في الأودية والأغنية وغير ذلك" (٧).

هذا ما استطعت جمعه. وإذا كان بعض هذه الجروع لاثير أي تعليق فإن بعضها الآخر يستحق

ذلك. إن المعتك هو إفراد "كراء" في مثل السياق الذي وردت فيه عند ابن جبير ، لاجمها.

كما أن جمع "زك" و "صيح" و "نعل" القيلسي هو على الترتيب : "أزوك" و "أصباع"

١-ص/ ١٠٣.

٢-ص/ ١٢٤.

٣-ص/ ٨٨-٨٧.

٤-ص/ ٢٢٧.

٥-ص/ ٢٤١.

٦-ص/ ٢٥٠.

٧-ص/ ٢٥٥.

سوى زك لطريقهم - وأمر المسلمون بتزول أسبائهم ومفضل من أزوتهم" (١). "ولفظون

منه أعمال من البر كثيرة في طريق الحاج : منها سقى الماء للسبيل. عينت لذلك نحو الفاتحين

نافحة - ومنها للزاد. واستجابت لما تختص به من الكسوة والأزودة نحو الملك

بعير" (٢). "ولم بها موارف يتركون أزوتهم عنهم" (٣).

وممن ذللك "أصبغة" (جمع "صبيغ") : "وقد استطعت جميعه التمازير البديعة والأصبغة

العربية" (٤). "قد زينا برسم يتضمن ألوانا من الأصبغة" (٥). "وخلطت بها ألوان من الأصبغة

العربية" (٦).

وممنه "الأصبغة" (جمع "نصيب" ، وهو المقص) : "في أيديهم المسال الطوال خوزلت

الأصبغة" (٧).

ومنه "أسطه" (جمع "نعل") : "تقاروا الأقدام وتحتها بأعقابها ألوان" (٨).

ومنه كذلك "أسطه" (جمع "سطح" ، أي المائدة) : "يتصل منها أسطه بين الصفا

والبروة" (٩).

ومنه أيضا "الأكرية" (جمع "كراء") : "وإبتى (جمال الدين ، وزير صاحب الوصل) -

١-ص/ ١٢.

٢-ص/ ١٦٢.

٣-ص/ ٨٨٢.

٤-ص/ ٣٦.

٥-ص/ ١٧٢.

٦-ص/ ٢٣٥.

٧-ص/ ٣٩.

٨-ص/ ٩٠.

٩-ص/ ٩٨.

ومنه "حَزَمَة": "له في ذلك تدبير عجيب من تدبير الملوك الحزومة" (١).

ومنه "عَظَمَة" (بدلاً "غاللون") : "والله اتخذ على أيدي هؤلاء العظامة" (٢).

ومنه "حَنَمَة": "ويبين يدي ذلك القيم خدمة يتكفلون بتقيد أحوال المرضى بكرة

وعشية" (٣). "وبين يديه في درجات المنبر طائفة من الخدمة يسكنون أنوار الشمس

بأليهم" (٤). "وأمر هذا الرجل عجيب في قلمه وأبيه - وكثرة عيشة وحفنة" (٥).

"ولتبر الجميع مودة من الخدمة يخترقون الصفوف ويتخلون الرقاب" (٦). "أعلمنا به أحد حنمته المتخفين به" (٧).

وقد صاغت هذه الكلمة في "الرحلة الحجازية" لخدم السنوسي عدة مرات (٨).

و "السترة": "ولهذا الرجل - من أكثر السنية - التي لم يسبقه إليها الأكبر الأجواد

وسرارة الأجلد - ملبوت الإحصاء" (٩).

ومنه "قِرَاءَة" (بدل "قراءة") : فترتج المسجد لأصوات القُرَاءَة من كل ناحية" (١٠). "فتمسك الضاحية بالقراءة كل جمعة" (١١).

ومس الكلب القمام الذين كثيرا يستعملون هذه اللفظة كثيرا ابن جرير الطبري . وذلك في

٣٧/ص-١

٣٩/ص-٢

٣٦/ص-٣

١٣٩/ص-٤

١٧٩/ص-٥

١٣٩/ص-٦ وقد استخدم في نفس الصفحة كلمة "حَنَم" أيضا.

١٣٩/ص-٧ وقد ورد هذا الجمع في "مستطاب الرحلة والاعتراب" / ص ٣٢.

١٣٩/ص-٨ محمد السنوسي / الرحلة الحجازية / ح / ص ٢٤٢، ٢٥٥.

١٣٢/ص-٩

١٣٢/ص-١٠

١٣٢/ص-١١ وقد استخدم في نفس الصفحة كلمة "قِرَاءَة" أيضا ، وكذلك في ص / ٢٩٤، ٢٧٨، ٢٧٨، ٢٧٨ على سبيل المثال.

"نعال" هل تقول إن "أرودة" هي جمع غير قبلي لـ "زاد". ولكن لما ترك القبلي ؟ وهل تقول إن "أصبغة" جمع "صباغ" ؟ فلماذا ترك "صباغ" ، وبنى "صباغ" ؟ ثم هل تقول إن "أعلاة" هي جمع الجمع ؟ ولكن لماذا جمع الجمع ؟ لأجواب إلا أنه ترك المألوف إلى غيره . لما "بلاط" فالذي تحتاج إليه الأذن هو "بلاطات" ، التي استخدمها في مصطلح الأحياء فعلا . ومع ذلك فقد قال : "أبلطة" أيضا .

ومس صباغ الجمع أيضا التي تالت الانتباه بكرة ذكرها في الرحلة صيفة "فَعَلَة" (بفتح الفاء والعين) ، التي تكرر استخدمه لها جمعا لـ "فاعل" بدلا من صيغة الجمع السالم في بعض الأحيان أو صيغة جمع تكسير أخرى أكثر شيوعا .

من ذلك "قَوِّمة" (بدل "قائمون" . أي المشرفون) : "قد وكل بها قَوِّمة يسكنون فيها ويعملون بها" (١). "وذكر لنا أن لجمع عمرو بن العاص بمصر من الفلك نحو الثلاثين ديناراً مصرية في كل يوم تنفق في مصلحته ومربلت قَوِّمة وسفنته وأقمته والقراءة فيه" (٢). "يتلهى رويدا بين رليتين سوداويين يسكنهما رجلا من قومة المودنين . وبين يديه ساعيا أحد القَوِّمة" (٣). "وأجوى على قَوِّمة تلك الشقاق والمنازل مليقوم بجمعيتهم" (٤). "وبين أيديهم قَوِّمة يتناولون طبخ الأديوية والأغذية" (٥).

١-ص / ٣٢٠. وقد استخدم "قَوِّم" في صفحة ٣٠: "والجوابات شملة لقوامها في كل شهر".

٢-ص / ٣٤. وقد جاء في "نزوة المشتاق" لإدريسي (الجغرافي العربي المسلم المشهور) عن مصحف عثمان ، الذي كان موجودا في جامع قونية : "وهذا المصحف يخرج في صيغة كل يوم جمعة ، ويتروى لإخراج رجلا من قومة المسجدة" ، يتلا من كتاب "الشريف الإدريسي" لبيد الله كرون / مكتبة المدرسة ودور الكلب اللباني / بيروت / ص ٤٠٤ و ٤٠٥ في ص ١١ من "مستطاب الرحلة والاعتراب" للجنسي السبي ، عن جامع السيدة نيسة بصر : "وله أيضا قوام قومة".

٣-ص / ٣٢

٤-ص / ١٣٢ - ١٣٤

٥-ص / ٢٠١

الشرقي" (١) وهي (وهذه متصلة بمثلث الأتية والمالعين خارج دمشق) لا تخلو من الماء حتى علت قوارة له" (٢). "ومن أعجب ما حدثنا به خديمه المنكسور (خديم ملك صقلية، وهو مسلم) أن الإفرنجية من النصرانيات تقع في قفوه فتورده سلمية: تبعها الجوارى المنكورات سلمية" (٣).

ومما يلحق بخروج ابن خنير في أسلبيه عن الأطراف أحياناً أنه يستخدم بعض الألفاظ التي ألف تأليفها، بصيغة التذكير، والمكسر بالمكسر.

مثال ذلك "نملة" (بدل "نمل") : "فقد صعدوه في أول درجة قلعه المؤذن المذكور السيف ثم ضرب بنملة سيفه فيها ضربة لسمع بها الحاضرين - (٤). مع أنه سبق أن استخدمها بصيغة التذكير، في وصف موقف ممثّل : "وعند صعوده النبر يفرب بنمل سيفه النبر في أول ارتباطه ضربة يسمح بها الحاضرين كلها ليندان بالانصابت" (٥).

و "قورصة" (بدل "قورص") : "والمتحفظ لا يفتر من الموقف حتى يتمكن سقوط القورصة من الشمس" (٦). "لأن ملعب ملك رضى الله عنه، يقضى ألا يفتر حتى يتمكن سقوط القورصة من الشمس ويحين وقت الغرب" (٧). ورغم ذلك فقد استعملها أيضاً بدون التأني في نفس الصفحة وفي موضع آخر بعد ذلك : "فلزال الناس على تلك الحالة والشمس تلتفح وجوههم إلى أن سقط

١-ص/٣٢٨-٣٢٩.

٢-ص/٣٤٧.

٣-ص/٣٤٩.

٤-ص/٣٧٢.

٥-ص/٣٥٠.

٦-ص/٣٥١.

٧-ص/٣٥٢.

تفسيره المشهور عند كلامه عن التوراة المختلفة.

ومن ذلك أيضاً "نملة" (بدل "نملون") : "فمن شاء التآخ من نملة مغربنا فليرحل إلى هذه البلاد" (١).

وعلى هذه الصيغة الجمعية وردت في "مستطك الرحلة والأغتراب" للنجيبي السبتي "حجبة"، جمع "حاجب (القصر)" (٢)، و "ورقة"، جمع "وراع" (٣).

ومن هذا الباب أيضاً استخدامه للفعل "عد" أحياناً في معنى "صسل" و "أعد" في معنى "صير". ولا أقول إن هذا خطأ، فإنه أحد معاني هذا الفعل، ولكن ذلك خلاف المشهور الشائع. وهذه بعض أمثلة :

"ولقد المشعوذ الحرام تلك الليلة كلها مشاعيل من الشمع النترج. ولما مسجده المذكور فعد كله نورا، فيخيل للناظر إليه أن كواكب السماء كلها نزلت به" (٤). "وعلى هذه الصفة (صفة الإضاءة السلطنة) عد الحرم بهم مدة مثلهم فيه" (٥). "فتورده جمرة اللقية في هذين اليومين أخيرة، وهي يوم البحر أولى متوردة" (٦). "وفي أيام الموسم كلها عد المسجد الحرام ... سوقاً عطية يباع فيه من الدقيق إلى العقيق، ومن البر إلى اللب، إلى غير ذلك من السلع" (٧). "وكانت مفسسورة المحلبة أولاً في نصف الصفة الإسلامي من الكنيسة ... فلما أعييت الكنيسة كلها مسجدا صارت مقصورة للمحلبة طرفاً في الجانب

١-ص/٣٥٨.

٢-مستطك الرحلة والأغتراب / ص٣٦٤، ٤٤٥، ٣٧٩.

٣-ص/٣٥٨.

٤-ص/٣٥٥.

٥-ص/٣٥٥.

٦-ص/٣٥٦.

٧-ص/٣٦٠.

من يتصف تلك المجلة على قيمه فيضل ويهلك عطشا" (١).

ومنه "صنّح" (في موضع "صفحة" أحيانا بمعنى "الجانب" و"الوجه") : "الارتفاع (أى البيت الحرام) فى الهواء من المنّح (أى الجانب) الذى يقابل باب الصفا ... إلى الركن اليمنى تسع وعشرون ذراعا" (٢). "فأعد الأعمدة ... يقابل نصف المنّح الذى يحف به الركن الشمالى . وبينه وبين المنّح مقدار ثلاث خلا . والعمود ... يقابل المنّح الذى يحف به الركن الوراقى والشلهسى" (٣). "وفى المغنين الكبيرين منها ثمانية عشر (سترا) وفى المغنين الصغيرين ستة عشر" (٤) - إلخ .
ومنه قوله : "ومشينا فى بسيطة من الأرض يحسّس الطرف دون أدناها ولا يبلغ مداها" (٥).

بدلا من "بسيط" ، التى يغلب استعماله بإيها .

ومنه "مَحَلَّة" (بدل "مَحَل") (أى مكان النزول والإقامة) فى كثير من الأحيان (: "وكانت محلة الأمير الوراقى جيلة المنظر" (٦) . "سبقت كسرة الكمية المقسمة من محلة الأمير الوراقى إلى مكة" (٧) . وفى عشى يوم الأحد ... كان مسيرنا إلى محلة الأمير الوراقى" (٨) .
"وبهذه المحلة الوراقية ... جمع لا يحصى عدده" (٩) - إلخ .

- ١-ص/ ٤٦
- ٢-ص/ ٥٩
- ٣-ص/ ٦٠
- ٤-ص/ ٦١
- ٥-ص/ ١٨١
- ٦-ص/ ١٥١
- ٧-ص/ ١٥٧
- ٨-ص/ ١٦٠
- ٩-ص/ ١٦٣

قروها وتمكّن وقت المغرب" (١) . "فأدبر اللون واثنين دامين متفرعين إلى أن يستقر قروم الشمس" (٢) . ولعل القارىء قد لاحظ أن العبارة واحدة فى كل هذه المواضع ، وهى "تستقر قروم(ة) الشمس"

ومنه كلمة "فلك" (بدل "قائمة") : "ولافلك للسلطان بذا البك سوى الأوقاف العجيبة المنيّة من قلة لهذه الوجوه" (٣) "إن له من ذلك قلعا كبيرا" (٤) .

و "مطبخة" (بدل "مطبخ") : "التأمل فى مطبخه رجل من المسلمين" (٥) . وقد قبلت هذه الكلمة فى "مستقل الرحلة والاختراب" للتجسّس السبى : "ورأيت مطبخه (أى ابن طولون) كل يوم ألف دينار" (٦) .

و "الاستطاع" (فى مكان "الاستغاة") : وأحكم ذلك إحكاما يدل على قدرة الاستماع وقوة الاستطاع" (٧) . وقد علق شارح الألفاظ الرحلة فى الهامس قائلا : "لعلها الاستطاع ، لأن لوجود للفظ (الاستطاع) فى اللغة" . ولكن ما قوله فى استعمال ابن جبير لها مرة ثانية على الأقل ، وذلك فى قوله : "تدل على عظم الاستطاع والقدرة" (٨) .

ومنه "مَجْهَلَة" (بدل "مَجْهَل" ، أى المفازة التى لا يَتَمَكَّنُ بها) : "وربما كان من الصّحاح

- ١-ص/ ١٥٢
- ٢-ص/ ٢٦٤
- ٣-ص/ ١٦
- ٤-ص/ ٨٩
- ٥-ص/ ٢٩٨
- ٦-مستقل الرحلة والاختراب / ص ٦
- ٧-ص/ ١٨٤
- ٨-ص/ ١٨٩

ملا كلها تجزيع ، وهي أشبه الأشياء بالكتب التي تبقى في اليد من حل الذهب فيه " (١)

و "رَقَّ" بدلا من "ارتحل" ، و "وضَّح" بدل "وسط الطريق وحجته الواضحة" : " فإذا كان في عشية نفرا وأسرورا إليهم " (٢) وفي ظهر يوم الثلاثاء - كان زفنا من مجاج

سالكين على الوضع " (٣)

و "تأكل" بدل "أنتك" : " تأكلوا بها البيلار والرباع " (٤)

و "الناش" بدل "تعد الذهب والفضة" : " ورسَل كل واحد عما لديه من سلع أو ناقل ليؤدي زكاة ذلك كله " (٥) . " قتم نفيس ذخائره وناش ماله " (٦)

و "الإشقى" بدل "المخزَّر" : " ومعليه مغزَّر إشقى ولا أيرة إلا وفيه صورة أو نقش " (٧)

و "الأزراع" بدل "أرباع" : " العتائم والأرباع والأزراع " (٨)

و "الأزراع" هي الفرق من الناس والجماعات ، ولا واحد لها من لفظها . وقد تصلف أن فتحت ولما أكتب هذه القترات كتب الأديب السعودي المرحوم أحمد السيلعي " أياي " (٩) ، فلذا به في الصفحة السادسة عشرة يقول : " وكنا (يقصد تالفة الكلاب) في نظر قفيه الكلاب أوزاعا ،

١-ص/٦٥

٢-ص/٥٧ وفي " مستط الرحلة والترحال " للشم الجيني السبتي نجد الفل " وفسنا من (المكان القلبي) " قد تكرر عددا من المثلث . ص/٢٤٢-٢٤٣ مثلا .

٣-ص/٥٤

٤-ص/٤٥-٤٦

٥-ص/١٢

٦-ص/١٤٨

٧-ص/٣٧

٨-ص/٧٤

٩-ط١/سلسلة " الكلب العربي السعودي " رقم ٧٨/جدة / ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

إلى أخرى قليلة الحفظ من الأتس والشروع

مثلا نراه يقول " الجَلَسَلان " بدلا من " القس " : " وبزائها رخلطان متصلان بجدار الحجر المتأيل للميزاب أحدث الصانع فيهما من التوريق الرقيق والتشجير والتعقيب ما لا يحسنه الصنع اليبين في الكافد قلما بالجلتين " (١) " فليقرن نواصيه بين يديه فيستمر جلين ويجزها ناصية ناصية " (٢)

وهذه الكلمة مأخوذة من " جَلَم " ، أي قطع . وسمى القس " جلين " ، لأن " الجَلَم " هو أحد شقيه . وهو في هذا يشبه كلمات "trousers" و "shoes" الإنجليزية :

وهناك بيت لفترة العيسى ، الشاعر الجاهلي المشهور ، وردت فيه هذه الكلمة ، وهو :

خَرَقَ الجناح ، كان لَحِيْن رأسه جَلَمَان ، بالأخضر مش مولع

مما يدل على أن هذه التسمية لـ " القس " قديمة .

ويقول " قَصَافَة " ، بدل " نَخَافَة " : " ثم يعالج لإخلاق سائر جسمه ، فمنهم من يتلصق له بحسب قَصَافَة بيده " (٣)

و " اللز " بـسـدل " الضفط " : " وحفت به أعمدة الرصاص الملمعة إليه يلاغا في قوة لذه

ورصه " (٤) . " زلدا إلى ما يكابه به من اللز في ذلك الميثيق " (٥) . فكلبد من لز الزحام عتا ومثقة " (٦)

و " نَكَسْت " بدل " نَقَط " : " وكتلها غريبة المنظر فيها نكت تنتج عن لونها إلى العمرة

١-ص/٦٤

٢-ص/١٧٨

٣-ص/٩٤

٤-ص/٦١

٥-ص/٩٤

٦-ص/١١٨

الوحى كركة" (١). وبالجملة فحاله لتوصيف كركة واتساعا، والذي انشعب له أكثر " (٢).

و "يطلع" بدل "يسرع" و "المروان" بدل "الذين نكح منهم الزنا" : " فيطلع إليه

المروان من الزنا والماء يغربهم وألبريقهم فيملأونها" (٣).

و "العتلة" بدل "التوقف" : "فلا حسن فيها يستوقف الممر ويستلمى من المستوفز العتلة

والنظر إلا دجلها" (٤).

ووصل أمر من ملك صقلية بعتلة الراكب بجميع السواحل بحزيرته ... فليس لمركب سيل

للسفر" (٥).

و "أسك" بدل "أسرع في السير" : "فوقنا منهية، ورحلتنا وأسلفنا إلى الصباح" (٦).

و "الغضة" بدل "الحروض" : "وفسى أملاها غضة رخام مشبة يخرج عليها أنوب من الماء

خروج لزواج وشدة" (٧).

و "الأثبسه" بدل "الأحسن" : "على أن القفر المحمود لم يسبب لنا إلا محجة الأثب

منهم" (٨).

و "الملاك" بدل "الزواج" : "فخلف بهمهم فلا يخضر ملاكها" (٩).

و "أشفت" بدل "أكثر" و "سراة" بدل "أطيب" : "بينه وبين القدس مسيرة يوم أو أشفت

١-ص/ ١٤٨.

٢-ص/ ١٤٨.

٣-ص/ ١١٤.

٤-ص/ ١٨٢.

٥-ص/ ٣٦.

٦-ص/ ٢٠٨.

٧-ص/ ٢١١.

٨-ص/ ٢١٢.

٩-ص/ ٢٢٥.

تنوع حقائقنا بتنوع أقياما الاجتماعية ، مستخدما "الأوزاع" في معناها كما نص عليه

المعجم، ولم يتجاوز فيه كما فعل ابن جبير.

و "الطرايسر" بدل "المصحف" : "والعقيد (أى الكاتب) يسود طرايسره بالعقيد" (١).

و "الرجبة" بدل "المنطة" : "فلم ابن حسان مذكورا ... مترددا في حياة الرجل أو موبنة

لشدة تلك الرجبة" (٢).

و "الأسبوع" بدل "السبعة" : "فإذا فرغ من الأسبوع ورخ عاك لإقامة تراويح أخضر" (٣).

"فإذا فرغوا من تسليمين عادوا للوواف أسبوع" (٤). وقد لاحظت أن محمد رشيد رضا في رده

إلى الحجاز يستخدم هذه اللفظة عند الكلام عن الوواف إفرادا وجمعا (أسبوع - أسابيع) (٥)

ويبدو لى أنه متأثر في ذلك بلبن جبير ، كما فى كلمة "بسيط" ، التى مرت . ذلك أنه أكثر فى

هذه الرحلة النقل عن ابن جبير . كما وجدتها فى "مستفاد الرحلة والاعتراب" للنجيبى

السبتي (٦). وبالمنااسبة فإن هذا الوواف كان يملحظ معه رحلة ابن جبير فى سفرته هذه إلى

الحجاز ، وعلق عليها فى أكثر من موضع فى كتابه.

و "السليط" بدل "الزيت" : "وقد وضعت يد كل منهم كركة من الخرق المبيضة سليطا

فوضوها متقدة فى رؤوس الشرفات" (٧).

و "الأحوال" بدل "الثروات" : "وركب البحر فى جلاب كبرى مشحونة بأحوال عظيمة وأحوال

١-ص/ ١٠٥.

٢-ص/ ١٢١.

٣-ص/ ١٢٢-١٢٣.

٤-ص/ ١٢٢.

٥-النظر "رحلات الإمام محمد رشيد رضا" / ص ١٢٣.

٦-مستفاد الرحلة / ص ٢٢٧.

٧-ص/ ١٢١.

السافرين) ، وهي فارسية كما مر.

وقد قلنا من هذا النوع من الألفاظ كلمة "بَيْتَهُ" ، أي عَمَهُ ، بمعنى رش عليه الماء عند تنوره أو تنعيمه : " فنزال الشيطان يستويه ويغويه إلى أن يبدد دين الإسلام فكفر وتعمر مدته فلما بصور ، فلنصرفنا إلى مكة وأعلمنا بغيره ، وهو بها قد بئس ورؤس" (١) .

" التروس " ، وهو الكونت : " التروس اللين صاحب طرابلس وطيرة" (٢) .
و " البلبرون " ، أي الحجاج (حجاج بيت المقدس) " صعدنا إلى المركب ... وصعد من الفلاري الموروفين بالبلبرين ، وهم حجاج بيت المقدس " (٣) . " وورث هؤلاء الأموات من المسلمين والفلاري البلبرين رؤس المركب " (٤) . " وبهذا الموضع نزل كثير من البلبرين -- وكل من نزل من البلبرين باع فضلة زلده " (٥) .
و " القنبية " ، وهي مسا لا أدري معناه : " وأمرنا محارث ومزارع لم نر مثل تربتها طيبا وكريها واتساعا ، ففعلناها بقنبية قرطية" (٦) .

وهذه لك كلمة أخرى مصرية سماها وهو في السفينة عائدا إلى بلاده ، وهي سفينة جنوية ، ولا أدري من أية لغة . ولها لاجينية أو من إحدى اللغات المتصلة بها ، وهي كلمة " الفليني " ، أي البراء الساكن : " ولم يبق للجهات الأربع نفس يتسم ، فبينا لاجين على صفحة ماء ... وهذا البراء الذي يسميه البحريون الفليني " (٧) . ولا أفطن أن هناك كلمات أخرى من هذا النوع .

- ٣٨٨/ص ١
- ٣٨٢/ص ٢
- ٣٨٢/ص ٢
- ٣٨٧/ص ٤
- ٣٩٢/ص ٥
- ٣٠٧/ص ١
- ٣٨٦/ص ٧

قليل ، وهو سورة أرض فلسطين (١) .

و " دَرَسَر " بدل " غضب وهاج " : " ونحن نجرى بريح شمالية شرقية فلنرت وعصفت فقلل لها المركب يحتاج شراعه " (٢) .

و " الصعاة " بسدل " العقل " : " واستمال نفوسنا بشرف منزعه ، وضوئية شمالكه ، وزلته حصاته " (٣) ... وهذه ليست إلا أمثلة .

بعد هذا نجد أن من الصعب موافقة الدكتور شوقي ضيف فيما يعنف به رحلة ابن جبر من أنها " مكتوبة بلغة سهلة بسيطة ملائمة تملأ لموضوعها " (٤) ، فإن ابن جبر كثيرا ما يكتب الشائع المألوس من الألفاظ والصيغ إلى المهجور أو على الأقل مألوف شيرعا . ثم إنه لم يستخدم أسلوبا متريًا طول الوقت ، بل لجأ إلى السجع في مواطن كثيرة على مأسلين فيما بعد . وإن لم يكن سجعه من النوع الثقيل الذي يحتم فوق صدر العبارة ويحمل القراءة عملية مرهقة ، كما هو الحال في أسجاع لسان الدين بن الخطيب مثلا . ومع هذا ، فإن جبرية أسلوبه وتواضع نفسه ورغبته في أن يشترك القارئ معه في كل ملاحظته ويجرب ، كل ذلك يعنى على هذا السمة في أسلوبه ، ويحصل لكلامه علاقة في النفس ، وبخاصة أنه في تنكبه للشائع المألوف أحيانا لا يفعل ذلك ، فيما هو ظاهر ، تقاصحا ، بل يوئى قلعه هذا النوع من الألفاظ على نحو طبيعي . ونظرة إلى ما بلغنا من نثره الآخر (غير الرحلة) توفقنا على صدق هذه الملاحظة ، فإن التكلف بلا عليه .

وما لوحظ على لغة ابن جبر تكرر ليراده بضع كلمات أصبحت إسبانية (غير الأخرى التي من غير الإسبانية كـ " البراء " (القبرة) ، وهي كلمة مصرية قديمة (٥) ، و " اللخان ") بيت

- ٣٦٠/ص ١
- ٣٨٨/ص ٢
- ٣١٤/ص ٢
- ٣-د شوقي ضيف / الرحلات / ص ٧١
- ٣٦٠/ص ٥

- (١) "استهل هلاله (أي شهر ذي الحجة) ليلة الخميس بواقعة الخامس عشر من مارس".
- "هلاله على الكمال من ليلة الاثنين: بواقعة الرابع عشر من مايو" (٢)
- "واقعا بها يوم الأحد المذكور ويوم الاثنين بعده، وهو الثاني ليوليه" (٣)
- "استهل هلاله (شهر رجب) ليلة الثلاثاء بواقعة التسع لشهر أكتوبر" (٤)
- "ليلة التسع عشر لرجب المذكور، والسابع والعشرين لأكتوبر" (٥)

بل إنه في بعض الأحيان كان يورخ بالأفريقي فقط (٦)

قلت إنني لم أجد أبدا، فيما قرأت للكتاب العرب القدماء، نظيرا لأبسن جبر في التاريخ بالشهور الإفريقية إلى جانب الشهور العربية. فلبن بطوطة مثلا (وهو مثله من المغرب الإسلامي) لا يستخدم إلا التاريخ الهجري اللهم إلا مرة واحدة، وذلك عند كلامه عن زينة ليلة. فقد أوجع لذلك بشهر حزيران، وأعقب ذلك قائلا: "وهو يولييه" (٧). فلبن بطوطة لم يلجأ إلى الشهر الفسي إلا عند كلامه عن زينة النيل، وهي ظاهرة مرتبطة بالشهور الشمسية الثانية مع النول. لا القومية البتة. وقد ذكر الاسم السرياني للشهر أولا، ثم أعقبه بالاسم الإفريقي.

وعند البستاني تقابلا أسماه بعض الشهور الطبيعية، وذلك عند تأريخه للتاريخ في

- ١- ص/٤٤٧.
- ٢- ص/٣٩.
- ٣- ص/٣٣٢.
- ٤- ص/٣٨٤.
- ٥- ص/٧٨٥.
- ٦- مثلا ص/٣٢٣٩.
- ٧- رحلة لبن بطوطة / ص٤٤.

لقد كان ابن جبر أندلسيا، وفي الأندلس كانت تتعشش العربية النحوية الفصحى وعليتها مع اللاتينية والرومانية. وكان كثير من المسلمين، وبخاصة رجال الدولة وعلمائها، يعرفون العلمية الإسبانية (الرومانية) عن طريق المساهمة والاحتكاك العربي والروسي بأهل اللغة من نصارى الأندلس. ومنهما، اللذين كانوا يتكلمون في بيوتهم وبين أهلهم وفي الشوارع أحيانا بلغتهم (١). فمن الطبيعي أن تتلاق بينهما، ولعلك بعض الكلمات الإسبانية.

وموروث أن كثيرا من خرجات الموشحات الأندلسية كانت تضم كلمات رومانية. ومع هذا فالكلمات الأعجمية التي من هذا النوع، كما ترى، كلمات جد قليلة لتتفرغ قول عبد القوس الأنصاري إنه كان يسترسل في استعمالها (٢).

أما الشيء المتعلق بالألفاظ الأعجمية والذي لم أجد فيه ابن جبر، فيما قرأت للكتاب العرب القدماء، نظيرا فهو تأريخه لعواصم رحلته في مسلم الأحيان بالتاريخ الإفريقي (أو الأعجمي كما يسميه) مع التاريخ الهجري. وماهي ذي بعض أمثلة على ما أقول:

"أول ساعة من يوم الخميس الثامن لشوال المذكور (سنة ثمان وسبعين وخمسائة هجرية)، وبواقعة اليوم الثالث لشور فبراير الأعجمي" (٣)

"يوم الاثنين الخامس والعشرين لربيع الأول المذكور، وهو الثامن عشر من يولييه" (٤)

"استرسل هلاله (هلال جمادى الآخرة) ليلة الأربعاء وهو الحادى والعشرون من شهر شتير

الحصى ونحن بالحرم المقدس" (٥)

- ١- انظر في هذا النقطه وأحد يمكن / الأيب الأندلسى من التهج إلى سقوط الخلافة / دلو الماروف / القاهرة / ١٩٧٩م / ص٤٧-٤٨.
- ٢- انظر "مع ابن جبر في رحلته" / ٣٤٨.
- ٣- ص/٧.
- ٤- ص/٤٩.
- ٥- ص/١٠١.

التاريخ البحري وحده (١)

لما التأم بين محمد الحجوي السبي فقد أرخ بالمغربى والإفريقى مودة (٧). كما أنه فى كتابه كلامه عن مواعيد فيضان النيل قد استعمل أسماء الشهور الإفريقية ، وهى : "يونيه وأغشت وأكتوبر" (٣).

ومع ذلك فقد استعمل ابن جبير كلمة "نيسان" مودة (مودة واحدة) لتسمية شهر إبريل (٤). وثمة ملاحظة ثانية ، وهى أن طريقة كتابة أسماء هذه الشهور ونطقها مختلفة فى كثير من الأحيان عن طريقنا اليوم. وهامى ذى كما وجعناها عنه :

"نير" (٥)، "و" "فبرير" (٦)، و"ميرس" (٧)، و"أبريسل" (٨)، و"مايسه" (٩)، و"يونيه" (١٠)، و"يوليه" (١١)، و"أغشت" (١٢)، و"شتير" (١٣)، و"أكتوبر" (١٤).

١- انظر زيفيرس موندك / شمس العرب تسطع على العرب / ترجمة فاروق بيضون وكمال نسوى / المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر / ط ١/١٩٦٤ / ص ٤-٤١.

٢- مستند الرحلة والأغرب / ص ٢٢٥.

٣- مستند الرحلة والأغرب / ١٦٥.

٤- ص ٢١٩ قبل نهاية الرحلة بقليل.

٥- يناير / ص ٣٩١٢٣ مثلاً.

٦- فبراير / ص ١٣٨١٣٥٧ مثلاً.

٧- مارس / ص ١٢١٢٨ مثلاً.

٨- ص ١٦٠٣٣٨١٧ مثلاً.

٩- مايو / ص ٦١٩٣٨١٣٤٤٠٣٣ مثلاً.

١٠- ص ٢١٩٣٠٤٤٦٤١ مثلاً.

١١- ص ٢٣٤٢٣١٤٩ مثلاً.

١٢- أغسطس / ٣٥٤٥٨٥٧٢٩ مثلاً.

١٣- سبتمبر / ٢٧٧٢٧١١٩٥٠ مثلاً.

١٤- ص ٢٨٥٧٨٤٢٨٣٠٦ مثلاً.

مصر (١). وهذا مفهوم ، فمن الواضح أن عملية التفرخ فى مصر كان يفرخ لها بهذه الشهور ، بل إن الفلاحين المصريين حتى الآن ملأوا بياضهم بالزراعة بها وفى "أحسن التباسم" للمقدسى لتجد أسماء شهور إفريقية ، ولكنه وهو فى مصر ذكر شهور السنة القبطية (٧).

وفى "تعاظ الحنفا" ، وهو كتاب تاريخ خولسى للدولة الفاطمية ، لتجد المقرئى يفرخ بشهر الشهر الهجرية ، اللهم إلا عند تأريخه لولادة الحاكم بأمر الله (دون الخلفاء الفاطميين الآخرين جميعاً) ، فإنه أرخ له بالهجري والسرياني ، وذلك فذكر السلطة ومنزل الشمس والقمر وزحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد والرأس (٢) ، وكذلك عند تأريخه لفتح خليج النيل ووفاته ، إذ ذكر الشهر القبطي (٤).

كما التزم غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري فى كتابه "زبدة كشف الممالك وبينان العروق والممالك" التأريخ بالشهور الهجرية ، حتى وهو يتحدث عن المعارك التى دارت بين المسلمين والبارصة فى قبرص النصرانية ذاتها (٥).

بل إن مصطفى روجر الثانى ملك صقلية (النورمانى) الذى صنع له عمله العورى عبدالله نساخ الذهب ، ليتزوج فيه ملكاً إثر ضمه جنوبى إيطاليا إلى صقلية ، كان عليه تلخيص منه

١- انظر نسا البغدادى ورد فيه أسماء الشهور "أشهر ورومات ورمودة" فى "الرحلة والرحالة المسلمون" للكثير أحمد رمضان أحمد / دار البيان العربى / جدة / ص ٢٩٦.

٢- انظر "أحسن التباسم فى مودة الأقاليم" / ط ٢ / ١٩٠٩ / ص ٢١١-٢١٢.

٣- تعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الحنفا / حقه تحقيق د محمد حلى / المجلس الأعلى للثقافة الإسلامية / القاهرة / ١٣٩٠ هـ - ١٩٦٩ م / ص ٣.

٤- نفس المرجع السابق / ص ٨٩٧٦٧٤.

٥- انظر ص ٢٤٢ من كتابه المذكور.

ويكثر عند ابن جبير استعمال المصدر المبني ولسم الزمان والمكان. وهذه أمثلة :

"وتركا المركب المذكور في موضع إرسائه ، بسبب مغيب أمواجه في البلد" (١)

"ومتى دور الجزيرة - إلى أريد من خمسمائة ميل" (٢)

"والأيس بلغ منا مبلغه" (٣)

"وأما داخله فمروى هائل ، اتساع ملاحج ومداخل وكثرة مساكن" (٤)

"ومن مناقب هذا البلد وماخذه - المدارس والمحارس الموضوعة فيه لأهل الطب والتب

هدن من الأقطار الآتية فلقى كل واحد منهم مسكنا يأوى إليه" (٥)

"ولا محرس من المحارس ولا مدرسة من المدارس إلا وفصل السلطان يعم من يأوى إليها" (٦)

"اعتسوا منهن الجاهل" (٧) وربما كان من الحجاج من يتصنف تلك المجلة على قديمه

وبهاك عظما" (٨)

"والسيط كله محروث يعمه النيل بفضه" (٩) ، وبلادهم - خصبة - واسعة المحروث والقوة

الغلات" (١٠) ولها (للتبصر العرائية) المحروث الواسع" (١١) ، ولكن قرأها (أي قنشرين)

١- رحلة ابن جبير / ص ١٠

٢- ص ١٠

٣- ص ١٠

٤- ص ١٥

٥- ص ١٥ والمحارس : جمع "محرس" ، وهو مأوى للدواب والرواد والمساكين والقوافل.

٦- ص ٣٧

٧- ص ١٧ ، ويحاطل : جمع "مجهلة" ، وهي الصحراء التي لا علامة فيها يفتقد بها .

٨- ص ٤٦

٩- ص ٨٨ ، والمحروث : الأرض التي تصلح للحروث والزرعة .

١٠- ص ٣١١

١١- ص ٣١٦

و "نوبير" (١) ، و "دجنبر" (٢)

وقد تختلف وأما بعد هذه الدراسة عن ابن جبير ، أن قبلت كلمة "ينير" (بهذا الشكل) عند

ابن جيان المؤرخ الأندلسي المشهور (٣) ، وكذلك عند الإدريسي ، الجغرافي المسلم الشهير

الذي كان يعيش في بادط ملك صقلية وكنهه (٤) .

وعند كتّيب مغربي حديث قرأته وأما بصعد الاشتغال في هذا البحث أيضا ، وهو د. براهيم

السولامي ، فابنتي الشهور الآتية (وأرجو أن يلاحظ القارئ مدى توافق بعضها واختلاف

بعضها الآخر مع أسماء الشهور عند ابن جبير ، وكلاهما من المغرب الإسلامي ، وإن كان أحدهما

يتتبع إلى القرن السادس الهجري وأوائل السليج والثاني إلى العصر الحديث)

وهي : "ينايو" (٥) ، و "فيرليو" (٦) ، و "مسارس" (٧) ، و "مسلي" (٨) .

و "يونيه" (٩) ، و "يوليوز" (١٠) ، و "شتبر" (١١) ، و "نوفمبر" (١٢) ، و "ديجنبر" (١٣) .

١- نوفمبر / ص ٢٩٨٨٢٨٦٨٧٧ م. مثلا .

٢- ديسمبر / ص ٢٩٨٦٨٦٨٧٧ م. مثلا .

٣- أنظر النص الذي ورد فيه اسم الشهر في "تراجم إيلانية" لمحمد عبدالله عنان / ط١/ الثاني / ص ٣٧٠-٣٧١ م.

٤- أنظر كراتشوفسكي / تاريخ الأديب الجغرافي العربي / القسم الأول / ٢٨١ .

٥- د. إبراهيم السولامي / تأملات في الأدب المعاصر / دار الثقافة / الدار البيضاء / ١٣٧٩ م/ ص ١٦٥ .

٦- المرجع السابق / ص ٣٩٢٧ .

٧- ص ١٨٥١٨٢٢٤ م.

٨- ص ٢٤/ وإن كان قد كتب في موضع آخر : " مايو " / ص ١٩٢ .

٩- ص ٢٨٣٧٢٦ م.

١٠- ص ١٦٥١٦١٨٥٥ م.

١١- ص ٣٢٣٦ م.

١٢- ص ١٦٣١٦١٨٥٣٨٥ م.

١٣- ص ٢٥ .

” فأخذ ذلك مسلكاً في كل وقت “ (١)

” ويتصل بالموضوعين المذكورين موضع آخر متسع للفناء ، فيه مقامير عليها شيائك الحديد

انخفضت مجالس للمحليين “ (٢)

” وله (لعمرو بن العاص) أيضاً بالإسكندرية جامع آخر هو صلى الجمعة للملاكين “ (٣)

” فلما كان صبحتها .. ليس الناس أثواب عيهم ولبسوا لأخذ مصافهم لصلاة العيد بالمسجد

الحرالم . لأن الستة جرت بالصلاة فيه دون صلى يخرج الناس إليه “ (٤) . ويزاره محرابها

لجهة اليمن صلى أبي الرداء “ (٥) . ويزارها بيت يقال إنه صلى الخضر “ (٦)

” وجهه إلى الإفرام ، وظهره إلى القبلة مهيأ النيل “ (٧) . وكذا (أي مكة) أنها منشأ

النبي . صلى الله عليه وسلم ، ... وأول مهيأ الروح الأئين “ (٨) . فقامت (الخائون) في

الورضع الذي يقال إنه كان مهيأ جبريل عليه السلام “ (٩) . والمهيأ إليها على أدراج

كيرة “ (١٠)

” وبما فيه منوز إشفعى (١١) ولا يليق مرة إلا وفيه صورة أو نقش أو خط بالمسند

١- ص/ ٣٧

٢- ص/ ٣٦

٣- ص/ ٣٩

٤- ص/ ٣٤

٥- ص/ ٣٨

٦- ص/ ٣٤

٧- ص/ ٣٩

٨- ص/ ٩١

٩- ص/ ١٧٧

١٠- ص/ ٣٨٤

١١- الإشفعى : المقعب أو المخورز

” علمرة مستقلة ، لأنها على محرث عظيم مذ البحر “ (١) . بها مله جيسل ومحرث متسع “ (٢)

” وأبصرنا محارث ومزارع لم نر مثل تربتها طيباً وكريماً ولتساعاً “ (٣)

” وبمساحة الجمل فمألفن في الوجود كله - مرأى من البناء أعجب ولا أبداع “ (٤) . ودخل

هذا الهيكل من المجالس والزوايا والمنازل والمخارج والمصاعد والممارج والمسارب

والمواليح مانعل فيه الجماعات من الناس .. وبالجملة فشان هذا الهيكل عظيم ومراء إحدى

عجائب الدنيا “ (٥)

” فيالك مرأى لا يتخيله المتخيل ، ولا يتوهمه التوهم “ (٦)

” وتشاهد الأسماح من ذلك مرأى ومستمتعا تخضع له النفوس خشية ورقة “ (٧) . والبول قد عظم

مرأى ومستمتعا “ (٨) . فتشاهدنا .. مرأى عجيباً “ (٩) . لا يتشوق الجالس فيها مرأى سورها

ولو كان من المرائى الرياضية “ (١٠)

” ووضعت في مقامير ذلك التصور أسرة يتخذها الرضى متابع كلمة المكس “ (١١)

١- ص/ ٣٧٨

٢- ص/ ٣٣٣

٣- ص/ ٣٠٧

٤- ص/ ٣٠

٥- ص/ ٣٧

٦- ص/ ١١٠

٧- ص/ ١١٢

٨- ص/ ١٢٥

٩- ص/ ٣٣٧

١٠- ص/ ٣٣٧

١١- ص/ ٣٦

لا يفهم (١)

" فكان مقفنا في الليل ثلثية عشر يوما " (٧) . شامنا منهم مدة مقفنا أو لما قد وطر على هذه الصفة " (٢) . طال مقفه في تلك الولاية " (٤) " مدة مقامهم به " (٥) . فكان مقفنا بها يومين " (٦) . فكان مقفنا في هذه البلدة أربعة أيام " (٧) . فكفر وتصور مدة مقفنا بعور " (٨) . فكان مقفنا بهذه المدينة سبعة أيام " (٩) .

" (قوس) مخطر للجبيص ، ومخطر للرجال ، ومخطر الرفاق ، وملقى الصجاج " (١٠) . وهو (دنيصر العراقية) مخطر لأهل بلاد الشام وديار بكر وآل وبلاد الرودم التي تلى طاعة الأوير مسعود ومليها " (١١) .

" والمغاص فيها قريب القعر ليس ببعيد " (١٢) .

" ومستلبه مع الوالى في البلد " (١٣) .

- ١- ص/ ٣٧.
- ٢- ص/ ٤٠.
- ٣- ص/ ٤٧.
- ٤- ص/ ١٤٨.
- ٥- ص/ ١٥٥.
- ٦- ص/ ٣٧٧.
- ٧- ص/ ٧٧٢.
- ٨- ص/ ٧٨١.
- ٩- ص/ ٣٠٧.
- ١٠- ص/ ٤١١.
- ١١- ص/ ٣١٦.
- ١٢- ص/ ٤٦٧.
- ١٣- ص/ ٤٨٨.

١٢- ص/ ٤٨٨ والمستلب . مكان اللبنة ، إلى محال الإقامة .

" فلقنا يومنا ذلك بالموسى لركود البحر ومغيب التولية " (١) .

" فتلقى سيرنا في البحر بريح فلكرة الهيب " (٢) .

" وبقى الحوض المذكور مهيأ لاء البيت إذا غسل " (٣) .

" وله خمسة مضاريء - - - وضع كل ركن مضراً " (٤) .

" ومجتمع هاتين الطريقين على مقربة من ماء دغلقش المذكور . ولهما مجتمع آخر على ماء يرف يشلف " (٥) " لكن المجتمع كله إنما كان في الليلة الأولى " (٦) " متى مجتمع أهل إفاق " (٧) " ومن مجتمع ماء هاتين العينين منشأ نهر الخبور " (٨) " وفي هذا المجتمع ليبارك مجتمع عظيم كل يوم إثر صلاة الصبح لولاية سنج من القرآن دافنا " (٩) . وعند فراغ المجتمع السعي - يستند كل إنسان منهم إلى سارية " (١٠) .

وقد أحسنت في المكان مظاهر ومقايمة للمتمرين " (١١) . " هو رباط يشتغل على بيوت كثيرة بمقابر ومظاهر ومقايمة " (١٢) . " وتغنى منه جدول إلى مظهرها

- ١- ص/ ٤٩.
- ٢- ص/ ٥٠.
- ٣- ص/ ٧٢.
- ٤- ص/ ٦١.
- ٥- ص/ ٤٣.
- ٦- ص/ ١١٣.
- ٧- ص/ ١٥٧.
- ٨- ص/ ٢١٨.
- ٩- ص/ ٣٤٤.
- ١٠- ص/ ٣٤٥.
- ١١- ص/ ٨٩.
- ١٢- ص/ ٢١١.

١١- ص/ ٨٩ والسالمو : جميع " مظهر " وهو مكان المظهر .

جعلها مستطاً أظهر الأجسام ومولك خير الأنام" (١). "وسحنا الخدود في ذلك الموضع المقدس

الذي هو مستطاً لأكرم مولك على الأرض ومستمناً لأطهر سبلالة وأشرافها" (٢).

"وفي الزقاق... مصطبة فيها منكاً" (٣).

"والحقائق حولها، والمنحدر في كل موضع من منى، لأن منى كلها منحدر" (٤).

"وصل الزوار فضاءً بهم التسع" (٥).

"وفيه مقعد في الأرض غريق شبيه الحفرة... وقد خرج عليه من الجدار حجر مسطوط كأنه يظل

المقعد المذكور" (٦).

"ويألي الله المشتكى" (٧).

"فيها مقعد النبي، صلى الله عليه وسلم، والصخرة التي كان إليها مستتمه" (٨).

"وعشرة الأولى مجتمع الأمم وموسم الحج الأعظم... وملئى وفود الله" (٩). "وملتأها

(دجلة والفرات) مابين ولسط والبحرة" (١٠). "هو ملئى آخر البلاد الشمالي مع أول البلاد

الغربي" (١١).

١- ص/٩٣.

٢- ص/٩٤.

٣- ص/٩٣.

٤- ص/١٣٦.

٥- ص/١٤٣.

٦- ص/١٤٢.

٧- ص/١٤٥.

٨- ص/١٤٥.

٩- ص/١٤٧.

١٠- ص/١٩٣.

١١- ص/٣٤١.

وموافقها" (١). "ويأحد شطيه مظاهر مستطمة بيوتاً عدة" (٢). "ولها مظهر يجري الماء في

بيوتها... ولها مظاهر على الصفة المذكورة" (٣). "وخلف ذلك مظاهر يجري الماء في كل بيت

منها" (٤). "وفيه سفلية ماء رائحة الحسن، ومطورة لها عشرة أبواب" (٥).

"تتمكن له الصعود إلى ذلك المرتقى الصعب" (٦).

"حرم الله العظيم، ومبدأ الخليل إبراهيم" (٧).

"وهذا الموضع (أى القرنين) هو منزل الحاج ومعدن رجالهم" (٨).

"ولا يظلم... ففى الحصرم إلا لمستهل هلال آخر" (٩). "عند مستهل كل شهر من شهور العام

يتضافحون وينهين بعضهم بعضاً ويتعلمون ويدعو بعضهم لبعض، كقائلهم فى الأعياد" (١٠).

"ومن مشاهدتها الكريمة أيضاً مولد (مكان ولادة) النبي، صلى الله عليه وسلم" (١١).

"وهى... مستطاً رؤوس جماعة من الصحابة المهاجرين" (١٢). "فيها تربة شرفها الله بأن

١- ص/٣٨٨.

٢- ص/٣٢٠.

٣- ص/٣٤٤.

٤- ص/٣٤٨.

٥- ص/٣٤٩.

٦- ص/١٥٠.

٧- ص/٥٨.

٨- ص/٥٨.

٩- ص/٣٥.

١٠- ص/١٠١-١٠٢.

١١- ص/٩١.

١٢- ص/٩١.

١٢١ "والا" (١) "وهي من منازل الطريق المشهورة" (١) "وهي آخر منازل الطريق" (٢)

"وفي الزاوية من آخر هذه البلاد القلي - موضع مزار التور" (٢)

"وفي ظهيرة بيت آخر يقال إنه كان متجداً لدريس" (٤)

"ويتمثل بهذا قضاء متعل بالحدار القلي من المسجد يقال إنه منشأ السفينة" (٥)

"ويشأ إلى الأحد متسلخ محرم بمقربة من العطة (مدينة عريقة)" (٦)

"قالين في هذه الطريق مسرح انشراح" (٧)

"ومو قلما يظهر للملحمة اشتعالا بملو بسيله من أمور تلك الديار وحواستها، والتكفل

بها وتقوما ليل ونهار" (٨)

"ونزلنا - بمقربة مسن حصن يعرف بالمعشوق. ويقال إنه كان متوجهاً لزبيدة ابنة عم

أبيد وزوجه، رحمه الله" (٩)

"وكان ميلا مكركا" (١٠) "ولا تجد فيه ميلا، ولا تنفس منه إلا نفسا ثقيلًا" (١١) "هلموا

٨٤/ص

٨٥/ص

٨٦/ص

٨٨/ص

٨٨/ص

٨٩/ص

٨٩/ص

٩٠/ص

٩٠/ص

٩٠/ص

٩١/ص

١٢٠ "ومحروهما من الشمال إلى الجنوب" (١) "وخالفنا الحجري المعبود اليمون" (٢)

"لو كان محشراً للخلائق لرسمهم" (٣)

"وقد فقد منهم في ذلك المرحوم الشديد من دنا أجله" (٤)

"نتجحت جلود من طبخا في ميق ذلك المعترك - والله يرفع الصحيح بمحققه وحسن مقصده

بعوته" (٥)

"فكان ميع الميق بدار النيرة" (٦)

"وفي وسطه مبرك الناقة بالني، صلى الله عليه وسلم" (٧)

"وسمي ذلك التل عرفت لأنه كان موقف النبي، صلى الله عليه وسلم، يوم عرفة، ومنه رؤيت

له الأرض فأبصر الناس بعرفت" (٨)

"للإخلة مدخل السمعة والشهرة" (٩)

"وبقي... من النامسل ثلاثة : ، وثالث منهل من ماء الثرات - وبين هذه النامسل

مياه موجودة ولكنها لا تنعم - وفي هذا المنهل الذي للنعمة شامنا - لمرأ

١-ص/٩٩٣

٢-ص/٩٨٩

٣-ص/١٠١

٤-ص/١٠٩

٥-ص/١٥٩

٦-ص/١٦٠

٧-ص/١٧٥

٨-ص/١٧٥

٩-ص/١٧٧

وطالهم (١)

"وكان متزها لأحد الملوك" (٢)

"المهبط إليه والمطالع عنه عقبتان كزودان" (٣)

"لا منجى ولا مجال لسالك عن يد الطالب فيه" (٤). "ونجونا إلى البر منجى أبى نصر عن"

"هد" (٥)

"وهـ هذه الربعة المباركة رأس بسلتين البلد ومقسم مائه يتقسم فيها الماء على سبعة"

"أهل" (٦)

"وربما انفس الجسور من سباح الميخان أو الرجال من أعلى البروة في النهر ، ولنفخ"

تحت الماء حتى يشق مسوره تحت البروة ويخرج أسفها . وهي مخاطرة كبيرة" (٧)

"صحننا - من مرقى في الجانب الغربي من بلاط الصحن" (٨)

"كانه الخنق المحقق الهوى" (٩)

"وصولها مطرب للتواقيس" (١٠)

"فقد أعدما (أى صور) الإفريج مزجرا لصلابة زمانهم ، وجعلها شابة لأمانهم ... وأهلها"

علموا إلى محترس للخصن ، ومقتل (١)

"والبساتين حولها ، فهي مدرسة ومأمنة" (٢)

"فلما كان عند الغيب - رحلتا منها رغبة في الإسلام وبرد الليل" (٣)

"لا يخرقه السيم بسمه" (٤)

"ولها (للسقاية) منافس ينصب منها الماء إلى سقاية صغيرة مستترة" (٥). "وأعلمنا أن"

خروجها (أى النزل) من منافس في الجبلين المذكورين يصعد منها نفس ناري" (٦)

"ومن منافس هذا البلد ومفاخره ... المدارس والمجارس ... وما شاهدها من مفاخر"

هذا السلطان المرستان" (٨). "وهذا من مفاخر هذا الجامع المكرم" (٩). "وهذا من المفاخر"

الإسلامية" (١٠). "وهذه المارستانات مفاخر عظيم من مفاخر الإسلام" (١١)

"وهذا الجبل مشهور بالبركة في القديم لأنه مصعد الأحياء ، صلوات الله عليهم ،"

١-ص/ ٣٣٤

٢-ص/ ٣١٦

٣-ص/ ٣١٩

٤-ص/ ٣٣٣

٥-ص/ ٣٠١

٦-ص/ ١٥٠

للرباط بها" / ص ١٣٤ من "الرحلة والرحالة المسلمون" للدكتور أحمد رمضان أحمد.

٧-ص/ ٣٦

٨-ص/ ١٠٢

٩-ص/ ٣٤٤

١٠-ص/ ٣٤٥

١١-ص/ ٣٥٦

العبارات

على أن يلتصق به أى أسلوب لا يقتصر على المفردات ومبنيها ، بل يدخل فيه كذلك العبارات المركبة والمور وطريقة الوصف وغير ذلك .

ولنبينا بالعبارات وقد لاحظت أن هناك طائفة من العبارات قد ترد كل منها فى الكتاب على وقت الالتقاء .

من ذلك قبوله : " صلوة ووردة (بنفس اللفظ أو بلفظ قريب منه) : " وهذه المدينة (من) - كثيرة الخلق ، لكثرة الصلوة والورد من الصلحاح والتجمل " (١) . ومنها (من) أيضا (يوزون بمحله عذاب ، وإليها إلتفاتهم فى صدورهم من الصلحاح " (٢) . والقوافل (من) والعبادة صلوة ووردة " (٣) . وربما فى هذه الطريق إحصاء القوافل الواردة لخدمة فما تمكن لنا " (٤) . وهى (عذاب) من أحفل مولى الدنيا ، بسبب أن مواكب الهنت (من) تحصا فيها وتطالع مناصبنا ، زلفنا إلى مواكب الصلحاح البليدة والوردة " (٥) . المردون من الصلحاح ينزلون به (أى بالقرين) أيضا " (٦) . فالطريق إليها (إلى مكة) من الصلحاح والورد من بلته الدعوة المباركة " (٧) . ويرد الصلحاح والورد فى ظلم (أى

الذين فى الكفر طابع ، وأجرى إلى ترغيب المسلمين شمل ومتابع " (١) .

" وهو صاحب المعجى ، وإليه ترتفع الأموال " (٢) .

" هذه المدينة (مدينة) موسم تجار الكفار ، ومقد جوارى البحر من جميع الأقطار " (٣) .

" وهى (أى جزيرة مالطة) مقصد العدو " (٤) .

" فأعلمنا أن ذلك البلاد مسمى الملك إلى هذه الكنية " (٥) .

" فماشت بها من جمال مخير ومنظر ، ومولد عيش يلغ أخضر " (٦) .

" فكلهم أن الهمة الملوكية منته من المخل مدخل السوق " (٧) . أى من المخل كالسوق .

وتكتفى فى رحلة ابن جسر الأرقام ككرة مبهمة ، فمن حديث عن النفقات : النفقات الفردية أو نفقات الليرة ونفقات الجيوش ، إلى ذكر للمسافات بين البلاد والأمن ، إلى تسجيل لأطوال المبني وعروضها وأرتفاعاتها .. وهكذا .

٤٠/ص
٤١/ص
٤٢/ص
٤٣/ص
٤٤/ص
٤٥/ص
٥٧/ص
٩٧/ص

١-ص/٣٧٧
٢-ص/٣٨٢
٣-ص/٣٩٦
٤-ص/٣٩٨
٥-ص/٣٩٤
٦-ص/٣٩٥
٧-ص/٣٩١

وفي صحيحة الليلة المذكورة وفي الأمير مكر بلطاعه وأشياعه ، على العدة المسألة المذكورة في الشهور الأول ، وعلى ذلك الرسم بعينه " (١) " فمارعنا إلا الأمير مكر طالما بقيت - تبركا بذلك اليوم وجربا فيه على الرسم " (٢) . وفي صحيحة بكر الأمير مكر على ليلة في ذلك رأس كل شهر مع أخيه وبنيه ومن جرى الرسم باستمجاله من القواد والأشياع " (٣) . " وحضر القراء بين يديه على الرسم الأول " (٤) . " جرى الإمام إثره على الرسم " (٥) . " وحضر الإمام لمن حضر من أعيان المكان " (٥) . " ورسم طواقم إثر كل تسليتين باق على " (٦) . " جرى الرسم ففى إبقاء مشاعله وثريقه وشمعه على الرسم المذكور ليلة سبع عشر من رمضان المعظم " (٧) . " وهنالك الخنزيران ... لهما أخبار برسمها " (٨) . " وسألنا هذه الأشياخ بهذه الليلة : هل فيها مارستان على رسم مدن هذه الجهات ؟ " (٩) : " وأما " (١٠) . " فلم يزل حتى " (١١) . " وهذه البلاد " (١٢) . " فلبتباع الدار المذكورة ... ، وبناها خاتمة ، الشرقية كلها على هذا الرسم " (١٣) . " فلبتباع الدار المذكورة ... ، وبناها خاتمة ،

في ظل جمال الدين ، وزير صاحب الموصل (عيشا هيا " (١) . " والمصدر من عرفت إلى متى أرا
مايلقى الجمرة الأولى ثم الوسطى ثم حمرة العقبة " (٢) " فأرسل الله من سبحانه رجلا
أثرعها ماء معصا صدر الحاج " (٣) " فالتم أهل صلوة ووردة بيفائعهما " (٤) . " وسرنا في
طريق كلها السور عقلة وكثرة صلوة وورد " (٥)

ومن العبارات التي تكررت في الرحلة كبيراً أقوله: "برسم الـ... (أى "مخصص لـ... أو لأجل...") أو "جوى الرسم بـ..." (أى "الترتيب والنظام أو الأمر والوضع... إلخ") وما إلى ذلك: "وقد رُتب فيه أقوام برسم الزيارة للمرضى الذين ينتهزون عن الوصول للمارستان المذكور من الغرباء خاصة" (٦) "وأكد على التوليد لذلك متى نقفهم من الوفاة المرسومة شيء أن يرجعوا إلى صلب ماله" (٧) "وبصر مارستان آخر على مثل ذلك الرسم ببنيته" (٨) "ومن مفاخر هذا السلطان... إزالته رسم المكس المضروب وطيفة على الحجج" (٩). "لأن الرسم المذكور كان باسم ميرة مكة والمدينة" (١٠) "كل ذلك برسم الزكاة دون مراعاة لحملها أو مايليك النصاب منها" (١١). "فإن ورد الساء والطعام اللذان برسمه (برسم أمير مكة) من قبل صلاح الدين، وإلا فهو لا يترك ماله قبل الحاج" (١٢)

كما تكررت عند ابن جبير عبارة "آية للتوسمين" ، أي المختبرين المتكبرين في خلق الله قال عن منار الإسكندرية : " ومن أعظم مشاهدناه من عجائب المنار الذي قد وضعه الله عز وجل على يدي من سخر لذلك آية للتوسمين وهداية للمسافرين " (١) . وعن الصجاج الذين يزلهم البجاة عبر الصحراء المهلكة والأخطار الرومية التي تترى بهم : " ومن يسلم منهم يزل إلى عذاب كنه مشر من كفن . شاهدنا منهم مدة مقلنا أو لما قد وصلوا على هذه الصفة في مناظرهم المستحيلة وهياكلهم المتغيرة ، آية للتوسمين " (٢) . وعما فعله النصارى ، حين ارتكبت المركب أن تغرق بهم عند صقلية في طريق العودة ، من إلقاءهم متاعهم في البحر بنية الخفيف من حمل السفينة : " فأصبح في اليوم الثاني وقد جعلته الأوجاج جلاذا ، ورمت به إلى البحر فأفادا ، فمك عبرة للناظرين " (٣) .

وقد فسّر شرح الألفاظ المعية في الكلب لفظ "التوسمين" بأنه "لله من : توسم فيسه الخير ، أي طلب فيه أثره" (٤) . وهذا التفسير إنما يصلح للفعل "يتوسم" في قول ابن جبير إن لعناء الصجاج زيادة بئر زمزم كل ليلة ومحاولة أحدهم أن يتأكد من ذلك : " فجعل يقصد إلى التوسم فيه بعض عقل ونظر .. فيماله عن ذلك " (٥) . أما "التوسمين" في الشواهد الثلاثة الذين يذكرون في خلق الله ويستخرجون منه الصلة ويرون فيه قدرة البيع . وقد ورد هذا التعبير في القرآن الكريم . قال تعالى : " إن في ذلك آيات للتوسمين " (٦) ، فأخفا ابن

للصوفية .. وحملها برسم الصوفية " (١) " وبقيت هذه الرسوم الشريفة مخطئة مع الأيام : يقع الله بها رسمها " (٢) . " وللقراء وقف وضعه بعض المسافرين الموقنين برسمهم " (٣) " وقد قلنا في هذا التعبير عند الفزويني في " آثار البلاد وأخبار العباد " : " برسم الخليفة أي خاص به (٤) . وفي رحلة ابن بطوطة عدة مرات ، منها : " قصدت مدينة بلس .. برسم روك الحبيث المسلسل " (٥) " كان سفري من مصر على طريق الصعيد برسم الحجاج الشريف " (٦) " أمر (الملك الناصر) بعمل منبر .. برسم المسجد الحرام " (٧) .

وفي " أعيان الحفا " للقرنيزي " خرج (الحاكم بامر الله) .. فطاف ليته كلها على رسمه (أي على عائلته ونظامه) " (٨) . " وجروا على رسمهم " (٩) . " فلما استعناك على الرسم لغيره ونام قمم كنكك تهريق ماء " (١٠) . " قد جعل هؤلاء القوم .. برسمك (أي من أجلك) ، إكراما لك وتوحيها بك " (١١) .

وفي " مستند الرحلة والأغراب " للتيجي السبتي : " أنذر أن أدفع برسم ترتيبها (أي قبيها) قنطارا من الشح " (١٢) .

١- ص / ٣٦٢

٢- ص / ٣٦٤

٣- ص / ٣٦٤

٤- نقل عن د أحمد رمضان أحمد / الرحلة والرحالة المسلمون / ص ٣٩٩

٥- رحلة ابن بطوطة / ص ١٧

٦- رحلة ابن بطوطة / ص ٤٧

٧- رحلة ابن بطوطة / ص ٥٠

٨- أعيان الحفا / ح ٢ / ص ١١٩

٩- أعيان الحفا / ح ٢ / ص ١٣٢

١٠- أعيان الحفا / ح ٢ / ص ١٣٠

١١- أعيان الحفا / ح ٢ / ص ١٣٧

١٢- مستند الرحلة والأغراب / ١١

رحلة ابن جبير / ص ٤٧

ص / ٤٧

ص / ٣٩٥

ص / ٣٩٥

ص / ١١٨

الخير / ٧٥

يك منها حيث جن علينا الليل" (١) " فلما جن الليل أرسينا على مقربة من جنة" (٢) . فلما
الليل انتد تلامه، ومكت الأذن مما غمه" (٣) . " أفتنا إلى أول المضيئ والليل فسـ

(٤) " .

ونهبنا عسكرة " هذه من الليل " : " وفي ليلة الأربعاء ... خصف القمر خسوفاً كلياً من
الليل . وتعلو إلى هذه منه " (٥) : " فلما قضينا العمرة وطننا وجئنا للمسعى بين الصفا
والبروة ، وقد مضى هذه من الليل ، أسرناه (الحوم) كله سرّجاً ونزواتاً وقد غصّ بالسماعين
، الساعيات " (٦) . " فتأخرو وصوله إلى هذه من الليل " (٧) . " نزلناهمسا وقد مضى هذه من
الليل " (٨) .

وعبرة " المشاء الأخرى " أو " صلاة التمتع " (بنفس المعنى) : فلما " كان إثر صلاة المشاء
الأخرى رفعا منه إلى ما يعرف بالحاجز فتنا به " (٩) . " فلما كان المشاء الأخرى - لمح برق
من جهة البر " (١٠) . " فنامنا ليلة السبت - احتفالا عطيا في الحرم المقدس إثر صلاة
الشفة " (١١) . " وهذه الفرقة (السوط) - يغرب بها ثلاث ضربات عند الفراغ من أذان

- ١- ص/ ٤٢.
- ٢- ص/ ٥١.
- ٣- ص/ ٣٨٩.
- ٤- ص/ ٣٩٣.
- ٥- ص/ ٤١.
- ٦- ص/ ١٠٨.
- ٧- ص/ ١٧٧.
- ٨- ص/ ٣٠٧.
- ٩- ص/ ٤١.
- ١٠- ص/ ٥٠.
- ١١- ص/ ١١٩.

جير ووضح " لية " مكان " ليلت "

ومن ذلك " استهل هلاله " ، وهي كثيرة ، إذ لا أظنه شاهد طلوع هلال شهر جديد إلا وسجله في

العالم بهذه العبارة ، وذلك مثل : " استهل هلاله (محرم ٩٩ هجرية) ليلة الثلاثاء " (١)
استهل هلاله (صفر التالي له) ليلة الأربعاء " (٢) . " استهل هلاله (ربيع الأول ، التالي له)
ليلة الجمعة " (٣) . " استهل هلاله (جمادى الآخرة ، من نفس العام) ليلة الأربعاء " (٤)
" استهل هلاله (رجب التالي) ليلة الخميس " (٥) . " استهل هلاله (شعبان) ليلة السبت " (٦)
" استهل هلاله (رمضان) ليلة الاثنين " (٧) . " استهل هلاله (شوال) ليلة الثلاثاء " (٨) . " استهل
هلاله (ذى القعدة) ليلة الأربعاء " (٩) . " استهل هلاله (ذى الحجة) ليلة الخميس " (١٠)
وعلى ذلك فقس بقية الرحلة .

ومنها " جن الليل " : فلما جن الليل فترت الحال بعض فتر " (١١) . " وسرنا في الصحراء

- ١- ص/ ٣٢.
- ٢- ص/ ٤١.
- ٣- ص/ ٤٤.
- ٤- ص/ ٥١.
- ٥- ص/ ١٠١.
- ٦- ص/ ١٠٦.
- ٧- ص/ ١١٧.
- ٨- ص/ ١٢٢.
- ٩- ص/ ١٣٢.
- ١٠- ص/ ١٤٠.
- ١١- ص/ ١٤٦.
- ١٢- ص/ ١٠.

ليته " (١) " ست عليهم بنيت الطريق القاصدة إلى بلادهم " (٢) " هي (مكة) عروس ليالى النمر ، وكبر بنيت النمر " (٣) .

و " بنيت الطريق " : هي الطريق المعتدل التي تشعب من الجبلدة (٤) . ومنه : " دمع بنيت الطريق " ، أي عليك بمعلم الأمر ودع الروعان (٥) .

و " بنيت النمر " : حوائده ومروفه . وقد جاء مفردا في بيت المتنبي الشير الذي يخاطب به الصبي ، ولكن مكبرا لاممورا :

أبت النمر ، عندي كل بنيت فكيف وصلت أبت من الزحام ؟

وكذلك هذا التعبير الذي لا أنكر أني قبلته قبل ذلك ، وهو " ماكان إلا كاد ولا " .

وبمنته : " على الفور " : " وقع في نفس أحمد بن حسان - أنه سيفشى عليه ، فما كان بين

الستراض هذا الخاطر بنفسه وبين وقوع الرجل مضييا عليه من المصلحة إلى الأرض إلا كاد

ولا " (٦) . " لم يكن بين استئصال الورايل بأوقارها ورحالها وركبها إلا كاد ولا " (٧) . فما كان

إلا كاد ولا حتى ضربت في وجوها ربيع لكمتنا على الأعقاب " (٨) . فلم يكن إلا كاد ولا حتى

لكننا (الرييح) إلى أول المنيق " (٩) .

١-ص/ ٣٣٤

٢-ص/ ٣٣٣

٣-ص/ ٥٨

٤-ص/ ٥٨

٥-ص/ ٥٨

٦-ص/ ١١١

٧-ص/ ١١٤

٨-ص/ ٣٩١

٩-ص/ ٣٩٣

المغرب ، ومثلا عند الفراغ من أدان العشاء الآخرة " (١) . " وتقدم القاضي فضلى فريضة العشاء الآخرة " (٢) . " وصلوا امودلة مع العشاء الآخرة ، فجمعوا بها بين العشاين " (٣) .

" وفي ليلة الخميس . إثر صلاة العتمة نصب منبر الوعظ أمام المقام " (٤) . " فبعد إثر صلاة العتمة شيخ أبيش السبال " (٥) . " وتلوي سيرا إلى العشاء الآخرة " (٦) . " وكان نزولنا

بالصغراء إثر صلاة العشاء الآخرة " (٧) . " وتسلو بنسبا السير إلى إثر صلاة العشاء الآخرة " (٨) . " يرحل وينزل مع العشاء الآخرة " (٩) . " ونزلنا بالبياء مع العشاء الآخرة

" (١٠) . " لايزالون على هذه الحال ... إلى انقضاء العشاء الآخرة " (١١) .

وتكرر عبارة " العشاء الآخرة " ، فيما ذكر في " أيام " طه حسين . كما تكرر في الحديث

الشريف تسمية صلاة العشاء بـ " صلاة العتمة "

و " بنيت الطريق / النمر " : " لأنهم على جادة واضحة لابنيت لها " (١٢) . " معلقاتهم

صحيحة ، وأحوالهم مستقيمة ، وجلتهم الواضحة في دينهم من اعتراض بنيت الطريق

١-ص/ ١٢٣

٢-ص/ ١٢١

٣-ص/ ١٥٥

٤-ص/ ١٥٩

٥-ص/ ١٥٩

٦-ص/ ١٦٥

٧-ص/ ١٦٦

٨-ص/ ١٦٧

٩-ص/ ١٨١

١٠-ص/ ١٨٤

١١-ص/ ٢٣٩

١٢-ص/ ٥٥

الوارد مالا يوصى كثره " (١) " وبها جلب - تقوت الإحصاء كثره " (٢) " وعلمنا نحن جملة كثره لا يأخذها الإحصاء " (٣) " وحلم الحرم لا يوصى كثره " (٤) " لنلق فيها أمورا لا يوصى كثره " (٥) " ولهذا الرجل - من الآثار السنية - ما يوت الإحصاء " (٦) " لم نستلج تقييد عنها عجزا عن الإحصاء " (٧) " فاجتمع منهم عدد لا يوصى كثره " (٨) " هذا البشر المجتر إحصاءه " (٩) " ووصفها يبول ، والأخبار عنها لا تنحصر " (١٠) " ومشاهد هذا البقيع أكثر من أن يوصى كثره " (١١) " ولما البرك والقورات فالانحصار " (١٢) " وكثرت المصانع حتى لا تكاد اكتسب تحصرها ولا تعظمها " (١٣) " ولما عيادهم وزمادهم ... فأكثر من أن يقيدهم الإحصاء " (١٤) " وموافق الغرباء بهذه البلية أكثر من أن يأخذها الإحصاء " (١٥) " ولما

ومن عجائب المصادفات أن هذا التعبير الذي لا أذكر أنه مؤلف من قبل قد قبلني في عدد من الكتب التي قرأتها وأنا أعتد هذه الدراسة . صلفنسي مثلا في " طرق الصلوة " لابن حزم (١) وفي " نفاضة الجواب " للسان الدين بن الخطيب : " ولئن يكن إلا كلا ولا حتى تدلني اللبائس عربان اللبلة " (٢) وفي " تاريخ دمشق " لابن الفلاسسي ، في حوادث سنة ٥٤١هـ : " وأصدق بهم (بالمليين في الروما) المسلمون من جهاته ، وشروا في القتب عليهم . (و) ما كان إلا بقدر كاد ولا حتى تعرق البرج وأنهم ابن جوسلين " (٣) . ومن نفس الكتاب ، في التاريخ لحوادث ٥٥٢هـ : " فسمعت ترحل الملك نور الدين وترجلت معه الأبطال ، وأرقوهم بالسهم وخرصوا الرماح فما كان إلا كلا ولا حتى تزلزلت بهم الأقدام ، ودهمهم اليوار والحمام " (٤) .

ومن عجالات ابن جبير التي تكررت بصورة لافتة للانتباه قوله : " تقوت الإحصاء كثره " أو " لا يوصى كثره " ونحو ذلك :

" وماثر هذا السلطان ... لا يوصى كثره " (٥) " إلى غير ذلك مما يبول ذكره من المآثر التي يفيق عنها العصر " (٦) " والقرى فيه بيضا وشمالا لا يوصى كثره " (٧) " والمشاهد الكريمة بها أكثر من أن ... تتحصل بالإحصاء " (٨) " وعددهم لا يوصى كثره " (٩) " فيلقى بها من مآثر

١- ص/٢١١ من الجزء الأول من " رسائل ابن حزم الأندلسي " / تحقيق د إحسان عباس / المؤسسة العربية للدراسات والنشر / بيروت .

٢- نفاضة الجواب / ح/ص/٢٣٩ .

٣- تنقلا عن د سبيل زكار / العروب الصليبة / دار حسان للطباعة والنشر / ط١/٤١٤هـ - ١٩٨٤م / ح/ص/١٢١ .

٤- تنقلا عن " العروب الصليبة " للذكر سبيل زكار / ح/ص/٢٥٣ .

٥- ص/١٧ .

٦- ص/١٧ .

٧- ص/٨٨ .

٨- ص/٢٤ .

٩- ص/٢٥ .

بأنهيك من هذا الاعتدال في السليمة^(١).

ويكرر في الرحلة هذا التعبير: "ومن عجيب..."، "ومن أعظم..."، "وأشبهما: "ومن أحب في وصفه (أي بلد الإسكندرية) أن بناه تحت الأرض كتبته فوقها" (٧). "ومن أعظم بهنائه من عجائبها (أي الإسكندرية) الممر" (٨). "ومن أشرف هذه المقامد أيضا أن السلطان عتيق أبناء السيل من المغاربة خزين لكل إنسان" (٩). "ومن أعجب ما اتفق الغريب أن بعض من يريد القرب بالمصالح إلى السلطان ذكر أن أكثر هؤلاء يأخذ جارية لغزو ولا حاجة لهم بها" (٥). "ومن الغريب أيضا في أحوال هذا البلد تعرف الناس فيه بالليل كصوتهم بالنهار في جميع أحوالهم" (٦). "ومن أعجب مشاهداته في دخولنا إلى هذا المسجد (مسجد الحسين) المبارك حجر موضوع في الجدار الذي يستقبله الداخل شديد السواد المبيض يصف الأشخاص كلها كأنه المرأة الهندية الصبيحة العقل" (٧). "ومن العجب أن لزيارة المذكورة كلها مساجد مبنية ومشاهد معمورة يأوى إليها الغريب والعلماء والمصلحاء والقراء" (٨). "ومن أعظمها حلقة تسد السامع شناعة وبشاعة. وذلك أنهم (أي المسلمين) كانوا يلزمون على دخول مدينة الرسول، صلى الله عليه وسلم، وإخراجه من المريح

٣٧٣/ص
١٤/ص
١٤/ص
١٦/ص
١٦/ص
١٧/ص
٣٠/ص
٢٤/ص

المساجد فكثرة لا تحصى" (١). "ونقلت أمرا لها كلها. وهي ما لا يأخذها الإحصاء" (٢).

كذلك تكرر عند ابن جبير هذا التعبير: "ناهيك من..."، وهو تعبير يترك به المدح أو التنجيب عموما. يقال: هذا رجل ناهيك من رجل، أو ناهيك به رجلا، أي أنه من بلوغه الغاية ينهيك عن أن تبحث عن غيره، ففيه الكفاية لما تقتلب، وإليك شواهد هذا التعبير.

"يجالس الناس فيها معتبرين بشرف ذلك الوضع... لأن الحجو الأسود لملك واللب

الكرام مع البيت قبالتك والمقام عن بيتك وباب المصا عن يسارك ويترك زمزم وراء ظهرك

وناهيك بهذا" (٣). "وبإزاء الحرم الشريف ديار كثيرة لها أبواب يخرج منها إليه

وناهيك بهذا الجوار الكريم" (٤). "صعدنا إلى جبل أبي قيس... وصلينا في المسجد

المبارك، وفيه موضع موقف النبي صلى الله عليه وسلم عند اشتقاق القمر بقرة الله عز وجل

وناهيك بهذه الفضيلة والبركة" (٥). "فبتلآن من ظل قبة المحمل إلى قبة النزل دون

واسطة وراء يلحقهما ولاخلفة شمس تضيئهما. وناهيك من هذا الترفية" (٦). "ومن شرف

خاتون منه، واسمها سلجوق، أن صلاح الدين استفتح آمد بلك زوجها نور الدين، وهي من أعظم

بلاد الدنيا، فترك البلد لها كرامة لأبيها وأصلها الملقب، فبقى ملك زوجها بسببها

وناهيك من هذا الشأن" (٧). "وخرجنا نحن إلى بلاد الفرنج وسببهم يدخل بلاد المسلمين

٣٠٥/ص-١
٣١٢/ص-٢
٣٨/ص-٣
٨١/ص-٤
٨٥/ص-٥
١٥٥/ص-٦
٢٠٧/ص-٧

١١ " ومن العجيب أن كان منهم من قال : " (٧) " ومن عجيب هذه الحجة أيضا -
 لما إذا حطت رحالها - ثم ضرب الأمير طبله للإندثار بالرجل لم يكن بين استقرار الرواحل
 بالارها ورحالها إلا كاد ولا " (٧) " ومن عجيب ما شاهده من الأمور البليغة - أن إحدى
 العرائن المذكورات - " (٤) " ومن أبهر آياته وأكبر معجزاته أنه يعمد الضرب ويستدعيه
 القواء بالقرآن - إلخ " (٥) " ومن أحفل المشاهد - للنبوية - بروز شاهده يوم
 الأربعة " (٦) " ومن أحفل هذه المشاهد مشهد منسوب للمسي بن أبي طالب ، رضى الله
 عنه " (٧) " ومن العجيب أن النصارى المجاورين لجبل لبنان إذا رأوا به بعض البطلين من
 لسلين جلبوا لهم القوت وأصنوا إليهم " (٨) " ومن أعجب ما يحدث به أن نيران الفتنة
 تشتعل بين الفتيين مسلمين ونصارى (أئى المسلمين) - ورفاق المسلمين والنصارى
 يخالف بينهم دون اعتراض عليهم " (٩) " ومن أعظم مشهده من مناظر الدنيا الغريبة
 أنان - المعود إلى أعلى قمة الرماح " (١٠) " ومن عجيب حال الصغير عندهم (المشتقين)
 الكبر - أنهم يمشون وأيديهم إلى خلف قدامين بالراحة على الأخرى " (١١) " وهو من

١١٧/ص
 ١١٨/ص
 ١١٩/ص
 ١٢٠/ص
 ١٢١/ص
 ١٢٢/ص
 ١٢٣/ص
 ١٢٤/ص
 ١٢٥/ص
 ١٢٦/ص
 ١٢٧/ص
 ١٢٨/ص
 ١٢٩/ص

القدس " (١) " ومن أعظم اليراكل المتحطت بغربائها في الدنيا هيكل عظيم في شرقي المدينة
 المذكورة (إخميم) وتحت سورها " (٢) " ومن أشنع مشاهداته من ذلك خروج شرفة من مودة
 الزكاة في أيديهم المسال اللوال " (٣) " ومن عجيب مشهده بهذه الصحراء أنك تلقى
 بشارعة الطريق أحوال الفافل والفرقة وسكروها من السلع مطروحة لا حارس لها - وتبقى
 بموضها إلى أن يتقها صاحبها مصونة من الأفتل على كزرة المار عليها من أكرار
 الناس " (٤) " ومن عجيب مشاهداته في أمر الدعوة المؤمينة الوحشية وتشتر كلتها بهذه
 البلاد (الحجاز) واستعمل أهلها لملكها أن أكثر أهلها - يرمزون بذلك رمزا خفيا " (٥)
 " ومن عجائب اعتناء الله تبارك وتعالى به (البيت الحرام) أنه لا يدخل من الملائكين ساعة من
 النهار ولا وقتا من الليل " (٦) " ومن عجيب ما عرض علينا بباب بني شيبة المذكور عتب من
 الصجارة العظام طول كئها مصطب - ذكر أنها الأصنام التي كانت تفرش تعبما في
 جاهليتها " (٧) " ومن أعجب ما أخبرناه من فواكهها البليخ والسفرجل " (٨) " ومن أقرب ما
 أنفينا فاستمعنا بأكله - الركب " (٩) " ومن أقرب ما تلقى لأحد دهاة الأعاجم -
 إلخ " (١٠) " ومن أقرب مشاهداته من فلذلك مودج الشريعة جملة بنت قليلة عمه الأمير

١- ص/٣٤
 ٢- ص/٣٦
 ٣- ص/٣٩
 ٤- ص/٤٢-٤٤
 ٥- ص/٥١
 ٦- ص/٣٦
 ٧- ص/٩٠
 ٨- ص/٩٨
 ٩- ص/٩٩
 ١٠- ص/١٠٥

الذهاب والإعظام، فلا عجب أن يكون لفعال ابن جبير بما رآه قويا على أن ثمة اعتبارا آخر ينبغي ألا يهمل، ألا وهو أن ابن جبير لم يكن يرمد ظاهرة طبيعية بعد تسجيلها كما هي لا كما تنعكس على صفحة نفسه وضميره. لقد كان لبيبا في التعامل الأول مع هذا فإنه في الأمور التي تخضع للقياس قد لجأ إلى القياس والتزم الحقائق الموضوعية. والأسف فإن هذا اللون من الوصف هو أقل صفحات الكتب إثارة وإمتاعا. وقد يكون لنا عودة إلى هذه النقطة.

وهو كثيرا ما يستخدم عبارة: "انفصنا من ... أو "رفصنا من ... أو "ألفصنا من ... بمعنى "ارتبطنا ...": "وكان انفصال أحمد بن حسان ومحمد بن جبير من غرناطة ... لليلة الحجازية ... أول ساعة من يوم الخميس الثامن لشوال (٥٩٨هـ)" (١). "ثم إنا ألفصنا منه ظهر يوم الأحد" (٢). "ثم كان الانفصال عنها (الإسكندرية) - مسيحة يوم الأحد الثامن لدى الحجة المذكور" (٣). "وفي مسيحة يوم الأحد - كان انفصانا من مصر وصعودنا في الليل" (٤). ووافق يوم إقلاصنا المذكور أول يوم من مليه يحول الله عز وجل" (٥). فلما كان إثر صلاة الغشاء الأخيرة رفصنا منه إلى مده يعرف بالحاجز فيتنا به" (٦). فلما كان غشاء يوم الاثنين المذكور تزودنا الماء ليوم وليلة ورفصنا إلى مده بوضع يعرف بشلقب" (٧). ثم كان رفصنا من

- ١- ص/ ٧.
- ٢- ص/ ٩.
- ٣- ص/ ١٧.
- ٤- ص/ ٢٢.
- ٥- ص/ ٢٢.
- ٦- ص/ ٤١.
- ٧- ص/ ٤٢.

أطلس عرف الارتباطات الإفريقية وأغربها" (١). "فلما حصلتها وسمعتها فأعجب مليصفت به" (٢). "ومن العجب في الانفصالات في الأسفار البحرية أنما استلما على ظهور البحر الله ثلاثة أشهر" (٣). "وممن أعجب مشاهدناه بها من أمور الكفران كيسة تعرف بكيسة الأنطاكى" (٤). "ومن أعظم ملني به أهل هذه الجزيرة أن ... " (٥). "ومن أعجب مشاهدنا من أحوالهم ... " (٦).

وقد انتقد هذا بعض من كتبوا عن ابن جبير، وعدوه منه بمبالغة غيـس مقولة (٧). ورأى عبد القدوس الأنصارى أن "كتب الرحلات هي أولى بأن تتجنب جملة وتفصيلا هذه التهربات وهذه المبالغات غير المعقولة وغير المعقولة لتكون على مستوى المسؤولية والموضوع ويلتصق كل ما فيها أو جالسـه الحقائق بدون زينة ولا تقص ... وأن "ذلك خير أول أن البيان" (٨).

وقد فلت هؤلاء المستقيين أن معظم ما رآه ابن جبير في رحلته كان جديدا عليه، وأنه حين استعمل هذه العبارات القوية إنما استعملها لأول رؤيته لما وصفه. ولو أنه انتظر فلم يسجل انفعالاته بمباشرة في الحال، وأجها إلى ما بعد تكرر رؤيته لها لحذف انفعاله بها وجاءت عبارته أمدا ثم لانتس أن أهل المغرب الأندلسي كان ينظرون عادة إلى المشرق الإسلامي بعين

- ١- ص/ ٢٧٢.
- ٢- ص/ ٢٧٧.
- ٣- ص/ ٢٩٢.
- ٤- ص/ ٣٠٦.
- ٥- ص/ ٣١٥.
- ٦- ص/ ٣١٥.

٧- انظر عبد القدوس الأنصارى / مع ابن جبير في رحلته / ص ٢٤٧-٢٤٨.
٨- المرجع السابق / ٣٤٨.

قريب العصر على مائه بئر - فبتنا به ، ثم رفعا منه بعد توبهم ساعة " (١) . فلما كان يوم الخميس - أفلح المركب " (٢) . وكان انفصالا عنها عشى يوم الخميس المذكور " (٣) . ثم أفلحنا يوم الأربعاء المذكور وقد تم لنا على ظهر المركب ثمانية وعشرون يوما " (٤) . " وأفلحنا من المرسى المذكور يوم الاثنين " (٥) . " فأفلحنا على بركة الله تعالى فسى ثلاثة مراكب من الروم " (٦) . وفى ضحوة يوم الثلاثاء ... أفلحنا على اليمن والبركة " (٧) . ومن العبارات التى تلفت النظر فى أسلوب الرحلة بكثرة ترددهما قوله : " فنزلنا مريجين " " أفلحنا مريجين " وما إلى ذلك : " فأفلحنا بياض يوم الأربعاء المذكور مريجين بالترتين " (٨) . فأجوزناه بسلام ونزلنا مريجين قائلين " (٩) . " ثم نزلنا مريجين قائلين ... وبيننا وبين بحر مقل مريجلين " (١٠) . " فأصبحنا يوم السبت - مقيمين مريجين بها " (١١) . " فنزلنا بئر ذات العلم " (١٢) . " وأقام الناس يومهم ذلك مريجين بها إلى ظهر

- ١- ص/ ٢١٩.
- ٢- ص/ ٢٨٤.
- ٣- ص/ ٢٧١.
- ٤- ص/ ٢٨٧.
- ٥- ص/ ٢٩١.
- ٦- ص/ ٢١٧.
- ٧- ص/ ٢١٩.
- ٨- ص/ ٥٨.
- ٩- ص/ ١٦٧.
- ١٠- ص/ ١٦٥.
- ١١- ص/ ١٦٧-١٦٦.
- ١٢- ص/ ١٦٧.

أُتَان المذكور صبيحة يوم الاثنين " (١) . " وفى ظهر يوم الثلاثاء ... كان رفعا من معاج المذكور سالكين على الوضح " (٢) . " وفى عشى يوم الثلاثاء ... كان انفصالا من جدة " (٣) . " فلما كان فى عشية رفعوا وأسروا إليهم وصحبوا الحرم الشريف " (٤) . " وفى إثر ذلك ينفلج الحاج إلى مكة من ذلك اليوم " (٥) . " وأفلحنا بعد انفصالنا فى ذلك اليوم بل هذا الموقف المخجل وقع لثلاثة أمّاس فى ذلك اليوم بعينه " (٦) . " ثم أفلحنا ظهر يوم السبت " (٧) . " فلما كان إثر صلاة الظهر أفلحنا إلى خيبر " (٨) . " فلما كان ظهر يوم السبت " (٩) . " فأفلحنا منها ظهر يوم السبت " (١٠) . " ثم إثر الصلاة أفلحنا من خيبر مريجلين " (١١) . " وأفلحنا منه نصف الليل إلى تربة " (١٢) . " ثم نزلنا فى أفلحنا نصف الليل " (١٣) . " وأرخنا قليلا ، ثم رفعا ضحوة النهار من يوم الأحد " (١٤) . " ونزلنا الصحراء على مائه جب وأرخنا قليلا ، ثم رفعا ضحوة النهار من يوم الأحد " (١٥) . " ونزلنا

- ١- ص/ ٤٤.
- ٢- ص/ ٤٤.
- ٣- ص/ ٥٧.
- ٤- ص/ ٥٧.
- ٥- ص/ ١٣٦.
- ٦- ص/ ١٣٩.
- ٧- ص/ ١٣٢.
- ٨- ص/ ١٦٣.
- ٩- ص/ ١٦٥.
- ١٠- ص/ ١٦٧.
- ١١- ص/ ١٦٧.
- ١٢- ص/ ١٦٧.
- ١٣- ص/ ٢١٩.

وقد تكرر من ابن جبير وصفه للريح التي تدفع السفينة إلى الأمام بـ "الريح الموافقة" وهذه هي الشواهد : "وتركنا المركب المذكور في موضع إرساله ... عند هبوب الريح الموافقة" (١) "ونحن به (بالمركب) منتظرون موافقة الريح" (٢) "وأنفل جريتنا والريح الموافقة تأخذ وتدفع ونحن نحو خمسة أيام" (٣) "والبحر في أثناء ذلك كله مائل ، والريح المرافقة" (٤) "وفي يوم السبت ... انقطع عنا برجز الجزيرة ونحن نحوى بربسبح شبالية موافقة" (٥) "وأقلنا من المرسى المذكور ... بريح طيبة موافقة" (٦) "ثم حركنا من ذلك الموضع ربح موافقة" (٧) "ورمنا الإقلاص فلم توافق الريح" (٨) "ثم إن الريح الموافقة ركعت عنا" (٩) "وأصبحنا يوم الأحد ... بالمرسى المذكور والريح غربية ، ونحن ننتظر تنسيم الصبح الجليل من الله عز وجل بإرسال الريح الموافقة" (١٠)

وهو يتكرر من التسييح والتععيد ، لدرجة أنه ما من موقف تقريباً إلا ويسارع فيه إلى تجديد الله عز وجل على هذا النحو : "فلما كان ظهر يوم الثلاثاء يسر الله علينا في عبور البحر ... فسيرا عجباً ، والحمد لله" (١١) "وطرأ علينا من متلة البر في الليل مول عظيم

- ١-ص/ ٧٨٢
٢-ص/ ٧٨٥
٣-ص/ ٧٨٧
٤-ص/ ٧٨٨
٥-ص/ ٧٩١
٦-ص/ ٧٩٢
٧-ص/ ٣٦٦
٨-ص/ ٣٦٨
٩-ص/ ٣٦٩
١٠-ص/ ٨
١١-ص/ ٨

الاثنين بعده" (١) "فتحينا مريحين إلى أن انفرج ذلك المزدحم" (٢) "وتملأى سيرانا إلى أن ارتفع النهار ، فنزلنا قائلين ومريحين على دجل" (٣) "فأقلنا بهذا الموضع طول يومنا مستريحين ... ثم رحلنا ... فصبحنا تكريت - فنزلنا ظمروما مستريحين ذلك اليوم" (٤) "وأصبحنا يوم الخميس الثالث لربيع الأول بها مريحين" (٥) "فكان نزولنا ظاهراً بالليل وأقلنا مريحين" (٦) "فلمسرتنا إلى الصباح ونزلنا مريحين بثل عبة" (٧) "أقلنا بها يوم الخميس ... مريحين خلال ما تكمل القافلة العبور" (٨) "وأقلنا يومنا مريحين ثم رحلنا نصف الليل" (٩) "فلمسرتنا وسرنا إلى ضحوة من النهار ، ثم نزلنا مريحين بموضع يعرف بباقيين" (١٠) "فأقلنا بها يوم الأربعاء - بالخزان المذكور مريحين ومستركين للنوم إلى أول الظهر" (١١)

هذا ، ولم ألا حظ أن ابن جبير استخدم يأ من مقيمين العبارة في أي بلد غير إسلامي أو البلاد التي كان المسلمون يستولون عليها . فهل ، إذا صحت منه الملاحظة ، يكون ليلب مقيمين التعبيرين في تلك البلاد دلالة النفسية من أنه لم يكن يشعر بالراحة فيها ؟

- ١-ص/ ١٨٣
٢-ص/ ١٨٩
٣-ص/ ٢٠٧
٤-ص/ ٢٠٨
٥-ص/ ٢١٦
٦-ص/ ٢٢٢
٧-ص/ ٢٢٢
٨-ص/ ٢٢٣
٩-ص/ ٢٢٤
١٠-ص/ ٢٢٨
١١-ص/ ٢٢٣

وقد تكرر من ابن جبير وصفه للريح التي تدفع السفينة إلى الأمام بـ "الريح الموافقة"

وهذه هي الشواهد : "وتركنا المركب المذكور في موضع إرساله ... عند هبوب الريح الموافقة" (١). "ونحن به (بالمركب) مستطرون موافقة الريح" (٢). "ونصل جرينا والريح الموافقة تأخذ وتدفع نحو خمسة أيام" (٣). "والبحر في أثناء ذلك كله هائل ، والريح لاتوافق" (٤). "وفي يوم السبت ... انقطع عنا بر الجزيرة ونحن نجرى بر ... من ذلك موافقة" (٥). "وأقلنا من المرسى المذكور ... بريح طيبة موافقة" (٦). "ثم حركنا من ذلك الموضع ربح موافقة" (٧). "ورمنا الإقلاص فلم توافق الريح" (٨). "ثم إن الريح الموافقة ركبت عنا" (٩). "وأصبحنا يوم الأحد ... بالمرسى المذكور والريح غربية ، ونحن نتنظر بفتح المنع الجليل من الله عز وجل يرسل الريح الموافقة" (١٠).

ومو يكثر من التسييح والتجديد ، لدرجة أنه ما من موقف تقريبا إلا ويسارع فيه إلى تجديد

الله عز وجل على هذا النحو : "فلما كان ظهر يوم الثلاثاء يسر الله علينا في عبور البحر ... ليسيرا عجيا ، والحمد لله" (١١) "وطراً علينا من مقابلة البر في الليل مول عظيم

الاثني بعلمه" (١). "فتحينا مريجين إلى أن انفرج ذلك المودحم" (٢). "وتملأ سيرا إلى

أن ارتفع النهار ، فنزلنا قائلين ومريجين على دجيل" (٣). "فأقلنا بهذا الموضع طول يومنا مستريجين ثم رحلنا فصبحتا تكربت ... فنزلنا ظاهرها مستريجين ذلك اليوم" (٤). "وأصبحنا يوم الخميس الثالث لربيع الأول بها مريجين" (٥). "فكلنا نزلنا ظاهرها البلد وأقلنا مريجين" (٦). "ففسرنا إلى الصباح ونزلنا مريجين بطل عبة" (٧). "أقلنا بها يوم الخميس ... مريجين خلال ما تكمل القافلة البر" (٨). "وأقلنا يوما مريجين ثم رحلنا نصف الليل" (٩). "ففسرنا وسرنا إلى ضحوة من النهار ، ثم نزلنا مريجين بموضع يعرف بياقين" (١٠). "فأقلنا بها يوم الأربعاء ... بالخان المذكور مريجين ومستدركين للنوم إلى أول الظهر" (١١).

هذا ، ولم ألاحظ أن ابن جبير استخدم أي من هاتين العبارتين في أي بلد غير إسلامي أو البلاد التي كان المسلمين مستولين عليها فهل ، إذا صحت هذه الملاحظة ، يكون لغياب هاتين التعبيرين في تلك البلاد دلالة النفسية من أنه لم يكن يشغو بالراحة فيها ؟

- ١-ص/٣٠
١-ص/٣٨٢
٢-ص/٣٨٥
٣-ص/٣٨٧
٤-ص/٣٨٨
٥-ص/٣٩١
٦-ص/٣٩٢
٧-ص/٣٩٦
٨-ص/٣٩٨
٩-ص/٣٩٩
١٠-ص/٤٠٠

- ١-ص/٣٨٢
٢-ص/٣٨٠
٣-ص/٣٩٧
٤-ص/٣٩٨
٥-ص/٣٩٦
٦-ص/٣٩٢
٧-ص/٣٩٢
٨-ص/٣٩٣
٩-ص/٣٩٤
١٠-ص/٣٩٨
١١-ص/٣٩٣

والبراهيمن المعجرات ، سبحانه وتعالى ١ (١) . " فله الحمد والشكر على ما أنعم به علينا " (٢) . " وفي الثلث صبح عشر من شعبان كان أنمواف منه الثالثة الكبيرة في كنف السادة ، والحمد لله " (٣) . " فوصلوا في عافية وسلامة ، والحمد لله " (٤) " إيه سبيح البهاء كليل بالرجاء ، سبحنه لا إله سواه " (٥) " وصلنا إلى مكة قريبت الظهر ، والحمد لله على ما من به " (٦) . " ولعمروا عن سالم ، والحمد لله على ذلك " (٧) . " وأطلق سبيل الحاج ، والله الحمد على ذلك " (٨) . " فهو أهل الحمد والشكر ومستحقه ، لا إله سواه " (٩) . " ولا تكلموا نمر بحول الله يوما بوضع إلا والماء يوجد فيه ، والشكر لله على ذلك " (١٠) . " والحمد لله على ما من به " (١١) . " والحمد لله على ما أنعم به من السادة " (١٢) . " فحببنا الله عز وجل على أن من علينا برؤيته " (١٣) . " فوصلنا مدينة حوران مع طلوع الشمس - والحمد لله على

- ١-ص/ ٧٦
- ٢-ص/ ٩٦
- ٣-ص/ ١١٤
- ٤-ص/ ١٣٦
- ٥-ص/ ١٣٤
- ٦-ص/ ١٣٨
- ٧-ص/ ١٤٧
- ٨-ص/ ١٦٢
- ٩-ص/ ١٦٨
- ١٠-ص/ ١٥٥
- ١١-ص/ ١٨٧
- ١٢-ص/ ٢١٥

عسم الله منه بريح أرسلها الله تعالى في الحين من ثلثة البر فأخرجنا عنه ، والحمد لله على ذلك " (١) . " ويسر الله في التخلص من بحرهما ... ، والحمد لله على ذلك " (٢) . " فليست الناس وعك الأنس وذمب اليأس ، والحمد لله الذي أرانا عظيم قدرته " (٣) . " وزلنا في الحطاي والتأخين ... والحمد لله على ما من به من التيسير والتسهيل " (٤) . " وكفى الله بحبيل صنعه الإسلام والمسلمين أمرا عظيما ، والحمد لله رب العالمين " (٥) . " ففى تعود عليهم ببرزق واسع ، فسيحان قاسم الأرزاق على اختلاف أساليبها " (٦) . " فسيحان مقدرها لا إله سواه " (٧) . " فسيحان محب الأوطان إلى أهلها " (٨) . " فسيحان مسخرها على تلك الحال والمسلم فيها ، لا إله سواه " (٩) . " وهذه الجزيرة تعرف بجزيرة عاتقة السفن ، فعممنا الله عز وجل من قال اسمها المنوم ، وله الحمد والشكر على ذلك " (١٠) . " والحمد لله على ما من به من العمة وتكمل به من الوفاة والاكفاية حسا يبلغ رضاه ويستهدى الرشد من نعمه ، برؤيته وقدرته ، لا إله سواه " (١١) . " فسيحان مثير السنن ومبيلها " (١٢) . " والله الأيت اليناث

- ١-ص/ ٩
- ٢-ص/ ١٠
- ٣-ص/ ١١
- ٤-ص/ ١٢
- ٥-ص/ ٢٥
- ٦-ص/ ٤٥
- ٧-ص/ ٤٦
- ٨-ص/ ٤٦
- ٩-ص/ ٤٧
- ١٠-ص/ ٥١
- ١١-ص/ ٥٢
- ١٢-ص/ ٥٤

الكاتب: نعوذ بالله من الفتنة" (١).

وهو يستفيد بالله من خلال الإسماعيليين والإحطهم: "نعوذ به سبحانه من الفتنة في الدين، سأل الله العصمة من خلال المصلحين" (٢).

ويستفيد بالله من فتنة تفصيل الحكم النوراني على الحكم الإسلامي حتى لو كان الأول أرواح أرفه: "سكانها (أي تبين) كلهم مسلمون، وهم مع الإفترنج على حال ترفيه، نعوذ بالله من الفتنة" (٣).

ويستفيد بالله من أن تقتنه شهوة النظر إلى العروس الصليبية الجيلة التي كانت ترفل الأنفاه: "نعوذ بالله من فتنة المناظر" (٤). "فأدنا الاتفاق إلى رؤية هذا المنظر إخرى المستفاد بالله من الفتنة فيه" (٥).

وهو يستفيد بالله من صحة مسلم تنصر: "ومن سوء الاتفاقات المستفاد بالله من شيوخها أنه جينا في طريقنا إلى مكة من دمشق رجل مغربي... نبذ دين الإسلام فكفر وتنصر مدة مقلنا بر" (٦).

كما يستفيد بالله ليجود أنه أورد بيت شعر برياً طن أن فيه غزلاً وليس كذلك: "ونعوذ به من وصف يدخل مدخل اللغو، ويؤدي إلى إبطيل اللهو، ونعوذ به من تعيد يؤدي إلى يـ" (٧).

ص/١١٩

ص/٣٢٩

ص/٣٧٥-٣٧٤

ص/٣٧٨

ص/٣٧٩

ص/٣٨١

ص/٣٠٧

تيسره" (١). "ووصلنا دمشق... والحمد لله رب العالمين" (٢). فسيحان خالق الضحك أطراراً" (٣). فسيحان البيع في حكيمته، المعجز في قهرته" (٤). "والله الحمد والشكر على كل حال" (٥). "سبحانه، هو أمل ذلك" (٦). "والله الحمد والشكر على كل حال من الأحـوال" (٧). "والحمد لله على جميل صنعه" (٨). "والحمد لله على ملن به علينا من حسن نظره الكفيل بنا" (٩). "وكان آخر كلامه هو: والحمد لله على الصنع الجميل الذي أولاه... والحمد لله رب العالمين" (١٠).

كذلك فلبس جبر كثير الاستعانة، إنه يستفيد بالله من التعذيب الذي يتعرض له الصجاج لاستخراج الغسولاب منهم: "وربـهـ استخرج من أنواع الغلاب التليق من الأتئين (الخصيتين) أو غير ذلك من الأمور الشنيعة، نعوذ بالله من سوء قدره" (١١).

ويستفيد به سبحانه من اعتقالات العوام والمتجر إليه من الكذب لتفيمهما بالإبطل: "نعوذ بالله من غلبات العوام واعتدائها وركوبها جوامع أوهامها" (١٢). "فياجبنا لهذا الاختراع

١- ص/٣١٩

٢- ص/٣٣٤

٣- ص/٣١٩

٤- ص/٣٨٤

٥- ص/٣٨٥

٦- ص/٣٨٥

٧- ص/٣٩٠

٨- ص/٣٩١

٩- ص/٣٩٦

١٠- ص/٣٢٠

١١- ص/٣٦

١٢- ص/١١٩

الأخيل ... ، والله يفتنهم في ذلك بحسن البتة والاعتقاد " (١) . " والله يعرفنا حقيقة الاعتبار بآيته " (٢) . " والله تعالى يعرف المسلمين خيرا " (٣) . " والله يملأه ويوقفه بهته " (٤) . وكنت ليلة استهال ملاه من الليلي الضيلة في المسجد الحرام ، زلذه الله تكريسا " (٥) . " والله تعالى لا يخينا من بركة هذه المشاهد بهته وكرمه " (٦) . " أطاع ملاه على المسلمين بالأمن والإيمان ، والمغفرة والرضوان " (٧) . " نظم الله الشمل ، وتتم علينا الفضل " (٨) . " نفعا الله بركه ، وجعلنا من فاز بغيب من رحمة ، بهته وفضله " (٩) . " فرحم الله وأنها الأول ، ورحم من تبع ذلك التثن الصالح " (١٠) . " فرحم الله أبا نواس الحسن بن هانيء حيث يقول : - " (١١) . " والله يفتح المسلمين بركتهم وموالجهم دعواتهم ، بهته وكرمه " (١٢) . " ذكر مينة السلام بغداد ، حرمها الله تعالى " (١٣) . " ذكر مينة الموصل "

- ١-ص/ ١١٦
٢-ص/ ١١٧
٣-ص/ ١١٤
٤-ص/ ١١٦
٥-ص/ ١١٣
٦-ص/ ١١٤
٧-ص/ ١١٤
٨-ص/ ١١٨
٩-ص/ ١١٩
١٠-ص/ ٢٠٥
١١-ص/ ١١٤
١٢-ص/ ١١٣

١-ص/ ١١٦
٢-ص/ ١١٧
٣-ص/ ١١٤
٤-ص/ ١١٦
٥-ص/ ١١٣
٦-ص/ ١١٤
٧-ص/ ١١٤
٨-ص/ ١١٨
٩-ص/ ١١٩
١٠-ص/ ٢٠٥
١١-ص/ ١١٤
١٢-ص/ ١١٣

ويستفيد من الردة : " نفوذ بالله من عواقب الشقاوة وخوارثم الضلالة " (١)

إن من الواضح مدى قوة تدين ابن جبر وعقده ، فهو يذكر الله في كل حين وكل موقف : يذكره رافيا ، ويذكره راجيا ، ويذكره مستغيثا خائفا . وقد قوى هذه النزعة في نفسه أنه كان في رحلة حجته . وكان الحج في ذلك الوقت عملا شاقا ، فكان أثره في النفس أقوى وأدوم .

ومما يعكس فيه هذا الشعور اللبني القوي عند ابن جبر أيضا كثرة الأدعية في رحلته ، فهو يدعو الله في كل مرحلة من مراحل الطريق بالتيسير والتسهيل ، وهو يدعو الله للبلاد الإسلامية التي مر بها أن يحفظها ، وهو يدعو الله للبلاد التي كانت في حوزة الإسلام ثم أخضا النمالي أن يعيدها مسلمة كما كانت ، وهو يدعو الله على الممالك غير الإسلامية أن يدورها ويدعمها .

أهلها ... إلخ . وهذه عينة من ذلك :

" وكان ذلك عند وصول العدو ، حموه الله ، بهم (بالأنباري المسلمين) من سواحل البحر بيلد المسلمين . والله يبدأكم برحمتهم " (٢) . " عرفنا الله فيها الخير والخيرة ، وتتم علينا نعمه الجليل بالوصول إلى الغرض المطلوب . ولا أخافنا من التيسير والتسهيل بوقوفه وقدرته " (٣) . " وجعلنا الله من بينين بحب أهل البيت الذين أنعم عليهم وطهرهم بتطهيرا " (٤) . " فأورعنا الله شكر هذه المنة وعرفنا قدر ماخصنا به من نعمة ، ورحم بالقبول ، وأجرنا على كريم عوائلهم من الصنع الجليل ولطيف التيسير والتسهيل " (٥) . " ويقال إن القرمطي لغنسه الله ، كان الذي كسره (أي الحجو الأسود) " (٦) . " فمن يرتقبه لارتقاب لشرف "

- ١-ص/ ١١٣
٢-ص/ ٩
٣-ص/ ١١٨
٤-ص/ ٥٢
٥-ص/ ٥٩
٦-ص/ ١١٣-١١٦

أعلاما الله تعالى " (١) " ذكر مدينة شلودي من جزيرة صقلية ، أعلما الله " (٢) . " ذكر مدينة رومة من الجزيرة المذكورة (صقلية) فتحها الله " (٣) " ذكر المدينة التي هي جزيرة صقلية " أعلما الله " (٤) " . فاتخذها (ملك صقلية) جزيرة ملكة إفريقيا ، أعلما الله " (٥) " . وعلى هذا الحال موضوع قوطيسنة ، حررها الله " (٦) " . روى (كيسة بقلية) من أعجب ما يروى من التيان ، شرعها الله عن قريب بالأذان ، بملها وكريم منه " (٧) " ذكر مدينة أيلرانش من جزيرة صقلية ، أعلما الله " (٨) " . ووصل أمر من ملك صقلية بقلية المراكب بجميع الأسرار لجزيرة بسبب الأسطول الذي يعمره ويعد ، فحجب الله نسجه ولانهم قسيسه " (٩) " . فحفل الله بعصته جميعهم (مسلمي صقلية) ، ونجاهم بها من فيه بفضله وكرمه " (١٠) " . فحفل الله بفضله ولقبه استجاب الله دعاء ابن جين في اليمن الشامية ، والفلسطين التي كان الصليبيون وافعين أيديهم عليها ، وإن كان صليبي العنيت قيدا عادوا فاستلوا عليها بعد الحرب العالمية الأولى ، ثم جلا عنها بعد أن سلموا لليهود فلسطين ، التي ملأها منهم حتى الآن ، أعلما الله مسلمة كما كانت ، لما صقلية قام بعد الإسلام منها ، أن خرجت من يده إلى الآن .

تم تبعتها الأنلس وأحوال المسلمين فيها لهذا البحث بالخير كثيرا والنسب

مسألة لومقة

(١) " ذكر مدينة شلودي من جزيرة صقلية ، أعلما الله " (٢) . " ذكر مدينة رومة من الجزيرة المذكورة (صقلية) فتحها الله " (٣) " ذكر المدينة التي هي جزيرة صقلية " أعلما الله " (٤) " . فاتخذها (ملك صقلية) جزيرة ملكة إفريقيا ، أعلما الله " (٥) " . وعلى هذا الحال موضوع قوطيسنة ، حررها الله " (٦) " . روى (كيسة بقلية) من أعجب ما يروى من التيان ، شرعها الله عن قريب بالأذان ، بملها وكريم منه " (٧) " ذكر مدينة أيلرانش من جزيرة صقلية ، أعلما الله " (٨) " . ووصل أمر من ملك صقلية بقلية المراكب بجميع الأسرار لجزيرة بسبب الأسطول الذي يعمره ويعد ، فحجب الله نسجه ولانهم قسيسه " (٩) " . فحفل الله بعصته جميعهم (مسلمي صقلية) ، ونجاهم بها من فيه بفضله وكرمه " (١٠) " . فحفل الله بفضله ولقبه استجاب الله دعاء ابن جين في اليمن الشامية ، والفلسطين التي كان الصليبيون وافعين أيديهم عليها ، وإن كان صليبي العنيت قيدا عادوا فاستلوا عليها بعد الحرب العالمية الأولى ، ثم جلا عنها بعد أن سلموا لليهود فلسطين ، التي ملأها منهم حتى الآن ، أعلما الله مسلمة كما كانت ، لما صقلية قام بعد الإسلام منها ، أن خرجت من يده إلى الآن .

٢٩٦/ص

٣٠١/ص

٣٠٢/ص

٣٠٥/ص

٣٠٥/ص

٣٠٦/ص

٣٠٧/ص

٣٠٨/ص

٣١٠/ص

٣١٥/ص

حرسها الله تعالى " (١) " ذكر مدينة حران ، كألما الله " (٢) " ذكر مدينة حملة ، حصارها الله تعالى " (٣) " . ذكر جامها (جامع دمشق) المكرم ، عمه الله تعالى " (٤) " . والله يلى كلمة الإسلام بمنه " (٥) " . والله يقبها (أى دمشق) دار إسلام بمنه " (٦) " . والله يتبع بقلية (أى صلاح الدين) الإسلام والمسلمين بنسبه " (٧) " . وصيحا يوم الثلاثاء ... مدينة عكة دمرها الله " (٨) " . ذكر مدينة عكة ، دمرها الله وأعلما " (٩) " . وبين عكة وبيت المقدس ثلاثة أيام ... والله يعييه إلى أيدي المسلمين ، ويظهره من أيدي المشركين " (١٠) " . ولعكة - واد يسيل ماء ، ولها مسح شاموكه مما يتعل بالبحر بسيط رمل - وبه يجتمع المعسكر ، دمره الله " (١١) " . ولصور عند بابها البرى عين معنة ... والله تعالى يعيد إليها وإلى أحوالها كلمة الإسلام بمنه وكرمه " (١٢) " . والله تعالى يطمم أجورنا على ما كذبناه ، ويختم لنا بأصل الصنع وأسناه ، ويوزعنا في كل حال شكر ما أراه " (١٣) " . وذكر مدينة ميسنة من جزيرة صقلية ،

٣١٢/ص

٣١٩/ص

٣٢٠/ص

٣٢٥/ص

٣٢٦/ص

٣٢٦/ص

٣٢٧/ص

٣٢٧/ص

٣٢٧/ص

٣٢٨/ص

٣٢٨/ص

٣٢٨/ص

٣٢٨/ص

يجمع الأقنعة من ذكر من قدس الله ذكره وأعلى خطره" ، يقصد النبي يعقبا عليه السلام فيما

(١)

وسر إفرادى هذا الدعاء بكلام خالص هو أن ملبينون ، المستشرق الفرنسي ، قد تكلم على
بارة مثل هذه جامعة ليدل من الأدلة التي لفتها من هنا وهناك على أن النبي
صلي على . قال : " إن المعجم الثغرى للنبي يحتوى ... على بعض العبارات المتألفة عند
إسماعيليين : إثنان منها من إخوان الصفا (ومهما " قدس الله روحه " ، و " الفلك
الدار ") ... إلخ " (٢).

إن ابن جبير سقى ، أى ليس شيئا ، فضلا عن أن يكون إسماعيليا . وقد عبر فى أكثر من موضع
في رحلته عن رأيه الشديد فى الشيعة ، حتى الزيدية منهم (٣) ، وهم يحتلون جدا . كما سقى
إسماعيليين أكثر من مرة بالملاحظة (٤) ، ولبن القواصة (٥) . ومع ذلك كله فإنه يستعمل هذا
الدعاء ، مما يدل على أنه ليس دعاء خاصا بالإسماعيلية ولا بإخوان الصفا منهم . ويؤكد ذلك أن
إثنائى الصوفى (من القرن الثامن الهجرى) قد استعمل " قدس الله روحه " ، و " قدس الله
روحه " (٦) . كما يستعمل العبارة الأخيرة الحسن بن محمد البزوفى فى الدعاء لأحد المتحدرين

من / ص ٢٨٠

انظر د إبراهيم عوض / التى يقرأه القرن لإسماعيلى فى تاريخ الإسلام (وهو ترجمة من الفرنسية لبحث
مبتين عن قرطبة التى ، ودراسة مفصلة لهذه المورى وتفيد (٧) / طبعة الديار الحر ومكتبتها / ١٩٨٨م /

انظر خلا الرحلة / ص ٢٥٨٣٢٤

انظر الرحلة / ص ٢٥٨٣٢٤

من / ص ٦٧

انظر كتابه " اصطلاحات الصوفية " / تحقيق د محمد كمال إبراهيم جعفر / البيرة المصرية العامة للكتاب /

والأنواء جنة وظيفية ، والتنافس والتنافس بين المسلمين ليزال ذا سلطان جبار .

على أن هناك دعاء جيتريا أحب أن أفرده بكلام خالص لما له من أهمية ، وهو " قدس الله

وهذه أولا شواهد :

قال فى الكلام عن مسجد الحسين ورأسه الذى يقال إنه مدفون فيه : " قدس الله الصوفى
الكرام الذى فيه بسنة وكرمه " (١).

ومن القرفة بالسوط عقيب أن المغرب والمساء فى المسجد المعظم قدس الله " (٢).

وفى الكلام عن غار ثور : " وولجناه من الموضع الذى يسمى الولوج منه على البعض من الناس
تبركا بسبب بشرة البنت بموضع مسه الجسم المبارك ، قدس الله ، لأن محل النبي ، صلى الله
عليه وسلم ، كان منه " (٣).

وعن مكة : " فكلت مدة قلنا بمكة قدسها الله ... ثمانية أشهر وثلاث شهور " (٤).

وعن أحد المسلمين العاملين فى قصر ملك مغربية متخفيا تحت اسم نصرانى : " فسألنا عن
مكة ، قدسها الله ... ، واستهدى منا بعض ما استعجنناه من الطرف المبارك من مكة
والمدينة ، قدسها الله " (٥).

وعن بعض الحجاج المغاربة : " كنا فارغناهم بمكة ، قدسها الله " (٦).

وذلك إلى جانب ورود هذه العبارة فى مسام الخبر لا فى مقام الخبر لا فى مقام الدعاء ، وذلك حين ينطقه
الأسباب التى تجعله يرفض للمسلم البقاء فى بلاد الكفر تحت حكم المسلمين : " ومنها سماع

١- من / ص ٣٠

٢- من / ص ١٣٢

٣- من / ص ١٣٩

٤- من / ص ١٦١

٥- من / ص ٢٩٩

٦- من / ص ٣١٧

ذكرناه جانيبان : شرقى وغربى ، ودجلة بينهما ^(١).

وفى أثناء وصفه لمرآجل الطريق فى طريق العودة عند مدينة ديمير الواقعة استلورد فحدثنا

عن هذه المدينة وسكانها وحكمها وما إلى ذلك . ثم قال فى نهاية هذا الاستلورد : " وترجع إلى

حديث المرآجل ، قريبا الله . فكان مقلما بدينير إلى أن علينا الجمعة ... ورحلنا إثر صلاة

الجمعة فاجتزنا على قرية كبيرة ... ^(٢)

وبعد استلورد راد أنخر قال : " وقد خرج الكلام بنا عن مقصده ، فلنعد إلى ما كنا بصدده ،

فنبول : ... " ^(٣)

وبعد استلورد مشابهه نراه يقول : " وقد تسلسل بنا القول إلى غير الباب الذى نحن فيه

والصحيح ذو شجون . والله كليل بحسن العون . إرب سواه " ^(٤) ثم يعود إلى موضوعه الأصلي

الذى كان قد تركه .

ومن العبارات التى تقابلنا عند ابن جيسر قوله : " حسبما تقدم ذكره " وما أشبه :

يقول عن سهر سكان مصر : " على مثل ذلك شاهنا أحوالهم بمصر والإسكندرية ، حسبما تقدم

ذكره " ^(٥)

ويقول عن موسى عليه السلام وهو طفل رضيع : " ومنها الله له فى اليم ، وهو النيل حسبما

ذكر " ^(٦)

" وجدنا بنينا الكعبة المقامة وغشاها فنه منهية ، وهو الذى فيها الآن حسبما تقدم

وصفه " ^(١)

ويقول عن عبدالله بن الزبير : " وجعل طريقه على ثبة الصجون المنفية إلى النخلى ، التى

كان دخول المسلمين يوم فتح مكة فتح منها حسبما تقدم ذكره " ^(٢)

" فكان يومهم أشبه شئ بيلهم السرو فى دخولهم البيت حسبما تقدم وصفه " ^(٣)

وعن غار ثور : " وسعة الباب الثنى التسع محله خمسة أشبار أيضا ، لأن له بابين حسبما

ذكرناه أولا " ^(٤)

" وبليها ... المقصورة التى أحدثت عند إضاءة النصف المتخذ كيسة إلى الجامع ، حسبما

تقدم ذكره " ^(٥)

وعن صيلم رمضان فى صقلية : " ويوم الخميس كان صيلم أهل مدينة صقلية المستعم ذكرها " ^(٦)

هذا عن المودات والصيغ والمبارات . أما التراكيب فقد لاحظت منها ثلاثة مميزة تكرر

فى الرحلة :

١- ص/ ١٠٢

٢- ص/ ١١٥

٣- ص/ ١١٦

٤- ص/ ١١٧

٥- ص/ ١٢٨

٦- ص/ ١٢٩

ذكرناه جانيبان : شرقى وغربى ، ودجلة بينهما ^(١).

وفى أثناء وصفه لمرآجل الطريق فى طريق العودة عند مدينة ديمير الواقعة استلورد فحدثنا

عن هذه المدينة وسكانها وحكمها وما إلى ذلك . ثم قال فى نهاية هذا الاستلورد : " وترجع إلى

حديث المرآجل ، قريبا الله . فكان مقلما بدينير إلى أن علينا الجمعة ... ورحلنا إثر صلاة

الجمعة فاجتزنا على قرية كبيرة ... ^(٢)

وبعد استلورد راد أنخر قال : " وقد خرج الكلام بنا عن مقصده ، فلنعد إلى ما كنا بصدده ،

فنبول : ... " ^(٣)

وبعد استلورد مشابهه نراه يقول : " وقد تسلسل بنا القول إلى غير الباب الذى نحن فيه

والصحيح ذو شجون . والله كليل بحسن العون . إرب سواه " ^(٤) ثم يعود إلى موضوعه الأصلي

الذى كان قد تركه .

ومن العبارات التى تقابلنا عند ابن جيسر قوله : " حسبما تقدم ذكره " وما أشبه :

يقول عن سهر سكان مصر : " على مثل ذلك شاهنا أحوالهم بمصر والإسكندرية ، حسبما تقدم

ذكره " ^(٥)

ويقول عن موسى عليه السلام وهو طفل رضيع : " ومنها الله له فى اليم ، وهو النيل حسبما

ذكر " ^(٦)

" وجدنا بنينا الكعبة المقامة وغشاها فنه منهية ، وهو الذى فيها الآن حسبما تقدم

١- ص/ ١٢٠

٢- ص/ ١٢١

٣- ص/ ١٢٢

٤- ص/ ١٢٣

٥- ص/ ١٢٤

٦- ص/ ١٢٥

التركيب

ومن هذه التركيب التركيب التالي: "إن" أو "أن" + شبه جملة + جملة فعلية (بدلاً من اسم إن المتأخر) . وهذه أمثلة على ذلك :

"ويذكر أن فيها كان مولد النبي موسى الكليم ، صلى الله على نبينا وعليه" (١).

"يقسم السلس إليها ويملأون فيها ويتمسحون بأركانها ، لأن في موضعها كان موضع قنود النبي ، صلى الله عليه وسلم" (٢).

"ومتما يجب أن يثبت ويؤثر - أن في يوم الجمعة - أنشأ الله بخيرسة (أي سحابة آتية من جهة البحر) -" (٣).

"وأعلمنا أحد الصجاج - أن في هذا العام - استفتح (قلع لوسلان) من بلاد الروم نحو الخمسة وعشرين بلداً" (٤).

"وهم يرون أن منه يكون فتح هذه الجزيرة إن شاء الله" (٥).

"إن المعروف أن "إن" تحتاج إلى اسم وخبر ، فإذا قلنا إن "شبه الجملة" في الشواهد السابقة هو الخبر ، فأين اسم "إن" ؟

إنني أذكر أن أول مرة انتهت فيها لهذا التركيب كانت منذ نحو خمسة عشر عاماً . وقد سألت أحد الأساتذة المعلقين على كتب التراث في اللغة والأدب عن مدى صحة مثل هذا التركيب ، فقال إنه قد قبله مراراً في الكتب القديمة . وهذا أورد فأقف أمام هذا التركيب في أسلوب

١-ص/٣٢.

٢-ص/٩٢.

٣-ص/٩٥.

٤-ص/٢٠٧.

٥-ص/٣٠٩.

التاس (١) " وروى عن قتيل بن سليمان أن كل ليلة يقول سبعون ألف ملك من السماء " (٢)

"وخلاصة الغنية أن في الحقيقة لا يطلق لفظ السلطان إلا لمصاحب مصر" (٣)

وليعبّد الفنى للبابسى : "وأخبرنى جماعة أن مرةً صعد رجل فوق تلك العمارة" (٤)

"سمعت... بأن فى بلاد مصر يعملون من القمح ديسا حوا" (٥) . لا يبعد أن فيها دفن

إنسان" (٦)

ثم هذا البيت لعبدالله بلشا فكرى :

لقد جاء نصر الله وانفجر القلب لأن يفتح القوم هان لنا المصعب

وهذا التركيب يفتح إلى حد ما فى الكتابات المصرية من ذلك قول أمين الريحانى :

"لبنى من الموحدين ، وبكى فى مرة توحى لتمكن وجوه الأتية والرسيل أجمعين" (٧)

وقول أحمد عبدالرحمن السمارى فى كلبه عن الأثر الأندلسية فى إسبانية : " يشاهد المرء تلك

الأثر ويتنكر أن هنا كانت مملكة - ولكنها أصبحت أثرا بعد عين" (٨) . وقول د. إبراهيم

نسوتى بأطلة عن كلب الحزب الوطنى فى مصر منه الألبم : "إن هؤلاء الكلاب لا شك متأكدون أن

رئيس المرأة هو رئيس الحزب الوطنى وأن بين قبضته تتجمع كل خيوط السلطة" (٩) . وقول

١- غرس البين خليل بن شامين الطامورى / زبدة كنف الممالك وبيان الفرق والممالك / ص ٣٢

٢- زبدة كنف الممالك / ص ٣٢

٣- زبدة كنف الممالك / ص ٨٢

٤- البابسى والبابسى / وخطان إلى لبنان / ص ٨٢

٥- وخطان إلى لبنان / ص ٨٢

٦- وخطان إلى لبنان / ص ٨٢

٧- أمين الريحانى / ورسيتى / المؤسسة العربية للدراسات والنشر / ط ١ / ١٩٨٢م / ص ٣٥

٨- أحمد عبدالرحمن السمارى / رحلة مسودة إلى بلاد الأندلس / ص ١٢٥-١٣١

٩- مقال د. بمتون " التآثر والتأثر بين الحكومة والمعارضة " / جريدة " الوفد " الثانوية / الثالثة ٢٦ ربيع

الأول ١٤١١هـ - ١٦ أكتوبر ١٩٩٠م / ص ٥

ابن جبير لما رأته من تكرره فيه بفتح مرات ، ولما تعطف أن عثرت به فى بعض النصوص التى
قرأها أثناء إعداد هذا البحث .

من ذلك قول حاتم الطائى (وبأن لم يتوسط بين الحروف الساكنة والفعل شبه جملة) :

أزفد ، فإن الليل ليل قو . والريح يوافق ريح صو

عل يرى ذلوك من يصر . إن جليت مينا فقلت حو

وجاء فى مسند ابن خنبل : " أن يوم طهر أقيانا تحته بيا " (١)

وقول ابن دراج القسطلى من قصيدة يمدح بها المنصور بن أبى علو :

لعل بما أشجاك من لوعة النوى . يعز ذليل أربكك لسيور

وقول ابن خزم فى " طرق الصلوة " : وذكرت بهذه القطة مالم يزل يتداول فى أسلمنا من أن

فى بلاد البربر التى تجاور أندلسنا يتعهد الناس ، على أنه إذا قضى وطره من أرك ، أن

يترب إلى الله " (٢)

ومن كلام على بن موسى بن سعيد صاحب " المغرب " : " إلا أن فى هذا الوقت - عطيت عذرة

القسطل " (٣)

وفى " رسالة أبى دلف الثانية : " ويقال إن فيها غرور بعض ملوك الفرس " (٤)

وفى " مستند الرحلة والاغتراب " للفاطم بن يوسف الحجى السبى : " يؤكّدون أن هؤلاء

دفن الضو الشريف " (٥)

وفى " زبدة كنف الممالك وبيان الفرق والممالك " : " أن فى كل شىء يقول

١- ابن خنبل / ص ٥٨

٢- رسائل ابن خزم / تحقيق د. إسماعيل عباس / ص ١٠٢

٣- عن المقرئ / نفع العلييب / مجلد ٢ / ص ١١١

٤- رسالة أبى دلف الثانية / ص ٣٢

٥- مستند الرحلة والاغتراب / ص ٨

كذلك وجعت التركيب التالي أيضا عند ابن جبير: "ولاشك أن على هذه الصفة هي العين التي ذكر لنا أنها بين الكوفة والبحرة" (١).

وقد وجدت نفس التركيب عند التجيبي السبتي: "وزعم أن على ذلك هو عيش الساكنين بهذا البحر" (٢).

وهذا التركيب يشيع إلى حد ما في عصرنا هذا، وبخاصة في ميدان المحادثة. وقد عثرت وأنا عند هذه الدراسة على هذا التركيب عدة مرات في كُتُبات معاصرة. من ذلك قول مطفي فروع، إتيان التكملي اللباني: "وذلك أن يقال: إن من بين الروائع التي برزت ولتت الأقطار بنا العام هي صورة "أستاذي" للفنان اللبناني فروع" (٣)، وقول د عبدالمعز المغالاح: "ولعل من أكثر الأمور تعرضا لسوء الفهم بالنسبة للأطفال هو مايسمى بالنزول إلى ستري الطفل" (٤). وقريب من ذلك قول أحمد مهابه (ولكن بغير الحرف الناسخ): "وما يدبنا في هذا الأمر هو أن إيران في عهد الشاه كانت أبرز الدول التي رُشحت للقيام بهذا الور" (٥). كما عثرت، في إحدى المقالات الصحفية، على نفس التركيب، فيما عدا أن الناسخ "ليس" لا "إن". وذلك في قول الصحفي السعودي شجاع الراشد: "ليس في سبط صدام على نزول الكويت والتهديد بتعمير بلاده هو إتهامك صرخ لك المجرى التي تهم شربان

رحلة ابن جبير / ص ٣٠٩

د. أبو القاسم بن يوسف التجيبي السبتي / مستطاد الرحلة والاغتراب / ص ٩٨.

مطفي فروع / طريق إلى الفن / مؤسسة نوفل / بيروت / ط١ / ١٩٨٦م / ص ١٦٨.

من مقال له بعنوان "عبدالولاب يوسف ولاحظات في أدب اللاتين" في كتاب "عبدالولاب يوسف وأدب الطفل العربي، مع قائمة ببلوغروا إتيانته الفكرى" / الهيئة العامة السورية للكتاب / ١٩٨٧م / ص ٥٧.

أحمد مهابه / إيران بين التاج والسمة / كتاب الحرية رقم ٢٢ / دار الحرية للمحافة والطباعة والنشر / القاهرة / ١٩٨٢م / ص ١٤٢.

عبدالعزیز صديق: "وعن غرب طه حسين مثلاً على مايقول بأن في روايته "حلم الكروان" تعوى حيلة الشعب على لسان خادمة وشقيقتها وهندس" (١).

وبعد، فهل لهذا التركيب توجيه نحوى؟ إن المعروف أن "إن" و "أَنَّ" إذا خففتا لمكن

دخولهما على الجمل الفعلية، مثل:

شلت يمينك إن قتلت لسلما

و:

واعلم فعلم المرء بنفسه أن سوف يأتي كل ماأمسرا

ويكون اسم "أن" أو "إن" حيث ضمير شأن (٢). لكن قد يقال إن "إن" و "أَنَّ" في هذه النصوص ليستا مخففتين. فما القول بأن النحاة يقولون إن اسم "إن" في قوله صلى الله عليه وسلم: "إن من أشد الناس عذاباً يوم القيمة المصورون" هو ضمير شأن محذوف؟ وهو نفس ماقلوه في بيت الأخطال التالي:

إن من يدخل الكنيسة يوماً يلقي فيها جثثاً ووطيئله

على اعتبار أن الجملة التي دخلت عليها "إن" هنا هي جملة شرطية لإجملة مبتدأ وخبر (٣). أفلا يمكن من ثمة توجيه التركيب الجبري وأشباهه عند اللكاتب الآخرين على تغيير ضمير شأن محذوف لسماء "إن" وأخر أيتها؟

وأنا، ولاحق يقال، لست مستريحاً كثيراً لهذا التركيب، لكني أحاول ألا أخطئه ملأماً له. باب ومع ذلك فإنني لأستطيع أن أضمن عيني عن التحلل في التوجيه المقترح.

١- من الحلقة الثامنة من سلسلة مقالات له بعنوان "زيارة إلى الماضي" / صحيفة "النسوة" السودانية / الأعداد ١-٤ / ربيع الثاني ١٤١١هـ - ٢٨ أكتوبر ١٩٩٠م / ص ٣٠.

٢- انظر شرح ابن عقال / تحقيق محمد يحيى الدين عبدالحيد / ط١ / دار العلوم للصحة / بيروت / أكتوبر ١٩٦٤م / ص ١ / ص ٣٨٣-٣٨٩.

٣- شرح ابن عقال / ص ١ / ص ٢٤٦-٢٤٧ / هـ ٢.

”والخمسـة الأثمان مضاعفة إلى الرجـوه المذكورة“ (١)
 ”فمنهم من له الخمسة دنانير مصرية في الشهر“ (٢)
 ”كلن تزونا بجمـة حامدين لله عز وجل وشاكركين على المسامحة والنجاة من مول ماغيابه في تلك الشـتائية الأيام طول ماقلنا في البحر“ (٣)

”وهو نحو الشـتائية فقير“ (٤)
 ”مركة من الأربعة جـو نسب بجـطرة رائعة النقش“ (٥)
 ”وله يتولى هذه الحـطة نحو الشـتائية أعوام“ (٦)
 ”ولم يبلغ الخمس عشرة سنة“ (٧)
 ”ولستجبت ... نحو المائة بعير“ (٨)
 ”وعين أو قلنا عطية تغل نحو الألف دينار وأربعمائة دينار في السنة“ (٩)
 وبالنظر إلى هذه الثرواـد نجد أن التمييز المعاف إليه قد أتى في بعضها موقفاً هو أيضاً بالألف واللام ، وفي بعضها غير موقوف ، فلما المـبرون ، وهم أصحاب المـجب البحري الذي شـاخ وانتشر وكتب له السـيلة ، فإنهم لايجوزون مجيء المـيز المعاف إلى تمييزه موقفاً بالألف

- ١٧/ص -
 ١٧/ص -
 ٥٢/ص -
 ٥٥/ص -
 ٧٧/ص -
 ١١١/ص -
 ١٢٧/ص -
 ١١٢/ص -
 ٣١٢/ص -

النتقم العالمي؟“ (١) . كما عثرت على التركيب ذلك ، ولكن من غير أن يسبقه أى نـسخ في قول محضى عراقي موجه كـلامه إلى رئيس العراق : ” إنك قتلت أيضاً البـيلار الكرـتي والاتـصل الكرـتي والإنسان الكرـتي ، ثم هدعت بقية العرب ، ربما في ذلك ... هو الإنسان العراقي“ (٢)

وبالنـسـل نستطيع تحـل نفس التوجه لهذا التركيب أيضاً . ولم لا ، وقد قيل إنه لايفـسـ نحوي ؟ فـفسير الشأن المحذوف اسم ”أل“ . وشبه الجملة : ”على هذه المـة“ خبر . و ”هي مبتدأ ، و ” العين “ تلـح للـمـير أو منصوب بفعل محذوف تقديره ”أنتى“ مثلاً ، ولـمـنا إلى الله .

ومـالك تركيب من الكلام عند ابن جـير يشير الجـدل أيضاً ، وهو أنه في غير قليل من حالات تـمـيز العدد يـدخل الألف واللام على المـيز المعاف إلى تـمـيزه . وهذه هي الثرواـد :

- ”وبين الجزيرتين ... نحو الأربعمائة ميل“ (٣)
 ”وهو بر طويل جرينا بـضائه نحو المائـ ميل“ (٤)
 ”وبين البرين المذكورين نحو الأربعمائة ميل“ (٥)
 ”وبينه وبين الإسكندرية نحو الأربعمائة ميل على مـلكونا“ (٦)

- ١- شاع الراشد / شروط للحل السياسي مع الحجة لـامـريا / صحيفة ”النـرة“ ، السـودية / الأحد ١٠ ربيع الثاني ١٤١١هـ - ٧٨ أكتوبر ١٩٩٠م . / الصفحة الأخيرة .
 ٢- سـلى فرج على / قرأة في الأوراق السـرية للقيادة العربية والحكومية في العراق / صحيفة العراق الأوسط / الأحد ٧٨ أكتوبر ١٩٩٠م / ص ٨
 ٣- ٨ / ص
 ٤- ١٠ / ص
 ٥- ١١ / ص
 ٦- ١٧ / ص

"استفتح من بلاد الروم نحو الخمسة وعشرين بلدا" (١)

"وقد كادته السنة وعشرين يوما المذكورة - ترجم الفنون" (٢)

ووجه الغرابة فيه أن يحمل الكاتب رقم الأحكام معللة تختلف عن معلته لرقم العقود ، إذ عترف الأول ونكر الأخير . والفروض أن يطلعا معللة واحدة ويبدو أنه عمل جزأي الصد بمقتضا كل واحد ، فلخلل عليهما (ل) مرة واحدة في أولهما . كما يفعل الإنسان عند تملله مع الاسم الواحد .

وليس مفسى هذا أن ذلك ملود عنده . قد أدخل (ل) على جزأي العدد كليهما في قوله : "ويطأ إليه على أراج عندما نحو الخمسة والعشرين درجا" (٣)

وسن التراكيب الجبرية التي لقت نظري بكررها هذه الجمللة الاستهلالية التي تبدأ بـ "كيف ... ؟" أو "ماذا ... ؟" ويقصد بها الاستهلام عن أمر أشد من أمر سبق ذكره ، استهلما يقصد به التأكيد على أن الأمر الثاني أحق من الأمر الأول . وهذه هي الشواهد :

"وقد نهى الله عن التجسس ، فكيف عن الكشف لما يُرجى ستر الصون دونه من حال لا يريد صاحبها أن يتطلع عليها ؟" (٤)

"والله فسد أوجد الرخصة فيه (في عدم الحج) على غير هذه الحال ، فكيف ربيت الله الآن بأيدي أقوام قد لغضوه معيشة حرام وجملوه سببا إلى استلاب الأموال واستحقاتها من غير حل ومصلحة الصجاج عليها وضرب النالة والمسكنة عليهم ؟" (٥)

"بكر الشيعة إلى غسله (أي البيت الحرام) بهاء زورم المبارك بسبب أن كثيرا من

واللام . سواء كان في التمييز ألف ولام أم لا . ولما الكوفيين فليهم يجوزون الحالة الأولى ولا يجوزون الثانية (١) أي أن ابن جبر . حتى على منهج أهل الكوفة ، وهو المنهج الذي المصدر . قد كسر القاعدة في حالة إبقاء "ال" في المميز المخالف إلى تمييز غير محلي بالألف واللام

يبدأ أنى منذ أكثر من عشرين علما وأنا أعتقد صحة هذا التركيب الأخير ، بناء على مقار (فيما أذكر) في حلقة من المحافلات اللغوية والأدبية التي كان يحورها الأستاذ شوقي أمين مجلة "الهلال" المصيرية تحت عنوان "سلطة أدبية" ، إذ بعد أن عرض القاعدة التي تح التركيب الذي نحن بصدده نرى فأورد عددا من النصوص القيمة تتغن هذا التركيب . ور في مثل هذه الأمور أنه ملامت هناك شواهد على استعمال لغوي ما في نصوص التراث ، حتى جاءت بعد عصور الاحتجاج ، فإن هذا الاستعمال جائز برغم ألف القاعدة . وعلى هذا الأسام يكون ابن جبر مميلا .

ويتصل بما نحن فيه هذا التركيب الذي تكرر عند ابن جبر :

"سنة نحو الخمس وعشرين سنة" (٢)

١- يرى البصريون أنه لا يصح دخول (ال) على المخالف إلا إذا كان عللا في المخالف إليه . وفي هذه الحالة لابد أن يكون المخالف متى أو جمع مذكر سالما ، أو توجد "ال" في المخالف إليه ، أو في اسم أضيف إليه المخالف إليه ، أو يكون الاسم الذي أضيف إليه المخالف إليه فسيما مثال ذلك على الترتيب :

أ- وما لكلام الناس فيما يبريتي أمول ولا للقاتله أمول

ب- الأكل الطعام ج- الورد شامات الأعداء د- الرباط رأسه

أما الكوفيون فيجوزون حالة خامسة . وهي حالة المدد المحلى بـ "ال" المخالف إلى تمييز محلى هو أيضا بـ "ال" . كقول ابن جبر : "فإن الأربعة الأئمة يملونها في وقت واحد مجتمعين" / الرحلة / ص ٧٨-٧٩ . ويمكن الرجوع في هذه المسألة إلى عباس حس / النحو الوافي / دار المعارف بصر / ط ٤/د ٢/ ص ١٢-١٤

١- ص ٣٠٧

٢- ص ٢٨٨

٣- ص ١٧٧

٤- ص ٣٥

٥- ص ٥٥

١٦٨

٢- ص ١٠٢

"ومن العجب أن الفلري المجاورين لجبل لبنان إذا رأوا به بعض المسلمين من المسلمين (لليلة) جئوا لهم التوت وأحسنوا إليهم - وإذا كانت محلة الفلري منهم هذه المحلة فما ظنك بالمسلمين بعضهم مع بعض ؟" (١)

"وبهذا الموضع نزل كثير من البغريين (أي حجاج بيت المقدس الفلري من الأوربيين) فأنزلهم بأنفسهم لمسيحة مست أهل المركب لعدم العلم الزاد ونظامه . وحسبك أنما كنا نقتصر على مقدار رطل من الخبز الأبيض نقسمه بين أربعة منا بله يسير من الماء فتبلغ به . وكل من نزل من البغريين باع فضلة زاده ، فترفق المسلمون بلبتباع ما لمكن منه على علاقته وانتهى إلى مقدار خيرة بدرهم من الخالص . فماتك بمدة شهرين على ظهر البحر في مسافة ظن الناس أنهم يطعمونها في عشرة أيام أو خمسة عشر يوما - ؟ فالعازم من أدخل زاد ثلاثين يوما . وسائر الناس لمعشرين يوما ولخمس عشرة يوما" (٢)

وما تكرر من التراكيب اللغوية عند ابن جبر قوله : " وكفى بـ / - " تعجبا وإعجابا :

"ومن مشاهدا (مشاهد مكة) الكريمة أيضا دار الخيزران وهي الدار التي كان النبي صلى الله عليه وسلم ، يجيب الله فيها سرا مع الطائفة الكريمة المجردة للإسلام من أمجابه ، رضى الله عنهم ، حتى نشر الله الإسلام منها على يد الطوفيق عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه . وكفى بهذه الفضيلة " (٣)

"وهو (أي مسجد الخيف بنى) من المساجد الشهيرة بركة وشرف بقعة . وكفى بما ورد في الأثر الكريم من أن بقعة الطائفة مغلقة كثير من الأبناء ، صلوات الله عليهم " (٤)

"ومن سلب خربها (أي مدينة الكوفة) قيلة خفاجة المجاورة لها ، ففى لآل تنفر بها .

- ١- ص/ ٢٥٩-٢٦١
- ٢- ص/ ٣٩٢
- ٣- ص/ ٩٢
- ٤- ص/ ٣٢٧

النساء أدخل أنامن الصغار والرضع منهم - ففند لسيلاب الله عنه كان كثير من الرجال والنساء يلحزون إليه تبركا بغسل أرجلهم وأيديهم فيه ، وربما جمعوا منه فى أن أن قد أصبحوا لذلك ولم يراعوا العلة التى غُسل لها . وكان منهم من ترقب عن ذلك ، وربما لحظ الحال لئلا من لا يستجيزها ولا يعمد العقل فى ذلك . وما ظنك بهاء زبزم المبرك قد صُت داخل البيت الحرام وماج فى جنبه الكرام ، ثم نصب بزاء الملتزم . والركن الأسود المستم ؟ أين جيبوا بأن تنقله الأفرأه فضلا عن الأيدي وتغس فيه الوجه فضلا عن الأقدام ؟" (١)

"لو أن أحدهم يشهد بوزنه الشمس تحت ذلك الغيم الكثيف النسيج لما قبله ، فكيف بوزنه هائل هو ابن تسع وعشرين ليلة ؟" (٢)

"وفى عشى ذلك اليوم المبارك كان وداعنا للروضة المباركة والثرية المقسمة . فباله وداعا عجبا فطمت له النفوس ارتياحا حتى طارت شمعا . وما ظنك بموقف يناجى بالترويع فيه سيد الأولين والآخرين ، وخاتم النبين ، رسول رب العالمين ؟ إنه لموقف تتنقل له الأفعى . ونطيش به الألباب الثابتة المتعدة ؟" (٣)

"فلما نفختنا نوافح هو إليها (قرية زريقان على دجلة) ... أحسنا ممن نفوسا ، على حال وحشة الاغتراب ، دواعى من الإطراب ، واستقروا بواعث فوج كنه فرحة التائب بالإنجاب . هذا الغريب النازح للوطن ، فيكيف للوافد فيها على أهل وسكن ؟" (٤)

"وما ظنك ببلد حصن الأكراد منه على أسيال يسيرة ، وهو مثل العدو . فهو منه تترأى نذره ويحرق إذ يطير شراره ، ويتعبد إذا شاء كل يوم مغاره ؟" (٥)

- ١- ص/ ١١٦-١١٧
- ٢- ص/ ١٤٦
- ٣- ص/ ١٨٠
- ٤- ص/ ١٩٢
- ٥- ص/ ٣٢٣

ومما لا أنكر أنى وجعته بهذه الكثرة الهائلة عند غير ابن جسر من التراكيب اللغوية شفقه

الشديد بك تلك المضاف إليه من المضاف وتحويله إلى وصف نسبي للمضاف ، أو استبدال هذا الومف التسمي المبكّن من كلمة واحدة (هي الاسم الملتصقة به بـه النسب) بومف مكون من عدد من الكلمات . وهو مبدل على استيلاء بـه النسب على ذمّه وقلمه ، حتى إنه لينسب إلى كلمات يقع النسب إليها في الآن موقفا غريبا وعلى أية حال فهذه بعض الشواهد على هذا الاستعمال :

" النية الحجازية " (١) ، أي نية السفر إلى الحجاز لأداء فريضة الحج : " المروج الخرومية " (٢) ، أي الأبنية المتخذة من الخوص . " المرافق المسكنية " (٣) . (بدلا من " السكنية ") . " الجلطة الضخمية " (٤) . " والفرقة الضخمية " (٥) ، بدلا من " الجلطة " و " فرقة (أي سوط) الخشب " " ميعات طلمية " (٦) . " تصاوير ... فاكية " (٧) (أي صور لوراكه مختلفة) . " الوقفة العرفية " (٨) ، أي وقفه يوم عرفة في عرفات . " قلما جليا " (٩) . (أي جزما بالأمر على غير علم أو معرفة) . " المؤذن الرومومي " (١٠) ، بدلا من " المؤذن القائم عند بئر زمزم " . " الترويح المغنية " (١١) ، أي التي تصلى عند المقام .

- ١- ص/ ١٧
٢- ص/ ٥٧
٣- ص/ ٥٨
٤- ص/ ٧٣
٥- ص/ ١٢٣
٦- ص/ ٨٥
٧- ص/ ٩٨
٨- ص/ ١٠٦
٩- ص/ ١١٨
١٠- ص/ ١٢٥، ١٢٣، ١٢٣
١١- ص/ ١٢٣

وكذلك بتعاقب الأيام والليالي محيا وميتا (١) .

" ولما العرقية (بغداد العرقية) فهي اليوم دلو الخسلافة . كلامها بذلك شرفا

واختالا (٢) .

" بلد (أي حران) لا خسن ليه ، ولا ظل يتوسط بروفيسه ... قد نبذ بالعراء ، ووضع في وساء المحراء ، فسلم رونق الحضارة ، وتحت أظلاله من ملاجس النخلة . استنفر الله أكنى بهذا

البلد شرفا أنه البلدة الحقيقية المسموية لأبنا إبراهيم ، صلى الله عليه وسلم (٣) .

" وسألنا أحد الأشيخ بهذه البلدة (حمص) : هل فيها مارستان ؟ فقال وقد أنكر ذلك : حمص كلها مارستان . وكذلك تبينا شهادة أهلها فيها " (٤) .

" ولسو لم يكن بهذه الجهة ... الشريفة كلها إلا مبلرة أهلها لإحلام العرياء وليتلز القراء ... كنى بذلك شرفا لها " (٥) .

" قتال السلطان (صلاح الدين الأيوبي) له : ما عسى أن أسمع لك والمسلمين قاض يحكم بينهم ؟ ... وإنما أنا عبد الشرع وشجته (أي شرطه) ... فلاحق يقضى لك أو عليك ... واهمه

كلمات كنى بها للسلطان فخر (٦) .

" وخضب مسند الجزيرة أكرمن أن يوصف . وكفى بأنها ابنة الأندلس في سمة العمارة وكثرة الضضب والرفاهة " (٧) .

- ١- ص/ ١٨٧
٢- ص/ ٢٠٢
٣- ص/ ٢٢٠
٤- ص/ ٢٢٢
٥- ص/ ٢٥٨
٦- ص/ ٢٧١
٧- ص/ ٢٩٦-٢٩٧

" الآلات اللورية " (١) ، آلات اللور . " المذلة والسكنة اللبية " (٢) ، أى مذلة أهل اللبة ومسكنتهم . " أسلب نكالبة " (٣) ، أى أسلب نجر لنكال على صاحبها .
كما يلاحظ أن ابن جبر لا يخرج من النسب إلى جمع التكسير ، فهو يقول مثلاً : " إندارات الصحنلبة " (٤) : نسبة إلى " حنن " اللور ، أى نوابه ، و " اللوظلف المكونبة " (٥) : نسبة إلى " المكوس " ، جمع " مكس " ، و " الحاح الألفسى والأفلى " (٦) ، بالنسب إلى " الأنعام " ، و " اللفظ الملوكى السملى " (٧) ، المنزل الرفبة الملوكبة " (٨) ، ورحلب ولرباب وساحل ملوكبة " (٩) ، شارته الملوكبة " (١٠) ، مخابل ودلائل ملوكبة " (١١) ، اللبة الملوكبة " (١٢) . " الأدب الملوكى " (١٣) ، نسبة إلى " ملوك " . وكل هذه المجموع لها واحد من لفظها .

وهذا يذكرنا ببعض صيغ النسب الجمعية التى شامت فى عصرنا ، فنحن جميعا نقول : " مؤنثر .

- ١-ص/ ٢٧٨ مؤنثر .
- ٢-ص/ ٢٨٠ مؤنثر .
- ٣-ص/ ٢١٣ مؤنثر .
- ٤-ص/ ٢٨٠ مؤنثر .
- ٥-ص/ ٤٥٠ مؤنثر .
- ٦-ص/ ٢٨٢ مؤنثر .
- ٧-ص/ ٢٦٤ مؤنثر .
- ٨-ص/ ٢٦٦ مؤنثر .
- ٩-ص/ ٢٦٢ مؤنثر .
- ١٠-ص/ ٢٦١ مؤنثر .
- ١١-ص/ ٢٦١ مؤنثر .
- ١٢-ص/ ٢٦١ مؤنثر .
- ١٣-ص/ ٢٦٢ مؤنثر .

" مبة إلمبة وسكنبة غلببة " (١) . أى مبة إلام وسكنبة العلام . " المحراب اللوربة " (٢) أى المحراب المكون من ألور . " البجرة العقببة " (٣) ، أى بجرة العقببة . " شبلبات زوربة " (٤) ، أى شبلبات اللزور . " كوز قاروببة " (٥) . بلبا من " كوز تشبه كوز قارون " كسوة الخلفة السوربة " (٦) . بلبا من " السوراء " . " اللزلبف اللاروببة " (٧) . بلبا من " مزلبف دارود " . " الحسن العربى " (٨) . بلبا من " النسلقى " . " خاتون السوروببة " (٩) . بلبا من " خاتون بنت الملك سمسود " . " اللرافقى السوربة " (١٠) ، التى تكون فى السور . " أبواب قورببة الحسن " (١١) ، أى فى حسن أبواب القور . " اللقر الصقبة " (١٢) ، نسبة إلى الصقبة . " الألفلف المبالبة " (١٣) . " (١٤) أى السقبببة ، بمنفى المبالبة اللبال فى فىها . " اللمكلف اللوربى " (١٤) .

- ١-ص/ ٢٧٨ مؤنثر .
- ٢-ص/ ٢٦٩ مؤنثر .
- ٣-ص/ ٢٦١ مؤنثر .
- ٤-ص/ ٢٦٦ مؤنثر .
- ٥-ص/ ٢٤٩ مؤنثر .
- ٦-ص/ ٢٥٧ مؤنثر .
- ٧-ص/ ٢٦٠ مؤنثر .
- ٨-ص/ ٢٦٤ مؤنثر .
- ٩-ص/ ٢٦٢ مؤنثر .
- ١٠-ص/ ٢٦٤ مؤنثر .
- ١١-ص/ ٢٦٢ مؤنثر .
- ١٢-ص/ ٢٦٤ مؤنثر .
- ١٣-ص/ ٢٦٨ مؤنثر .
- ١٤-ص/ ٢٦٨ مؤنثر .

"يزاحم (منار الإسكندرية) البحر سماءا وارتقاها" (١). "وَحُفَّتْ كُلُّ بِلَشْشَالِ التَّفَافِيحِ (الكرات) ذميا" (٢). "جِيلُ إِلَيَّا لَكثَرَتِهْ أَنَّهُ يُوَارِي التُّرَابَ قِيَمَةً" (٣). "وموضع الطواف مفروش بحجارة مبسوطة كله الرخام حسنا" (٤). "ونصب عن يمين المقام ويساره شمع كبير الجرم في أوتار تناسها كبرا" (٥). "تحف بجنبي طريق كله ميدان إيسسهااما وإنساحا" (٦). "تسيران بها سير النسيم سرعة ولينا" (٧). "وطيف بهذا اليبست شمع كله جذوع النخل عَقَمًا" (٨). "وشامدنا بها من الخنافس أثال القم كثرة وأنسا بأهلها" (٩). "فعيلة حسن القوي بشوقي الأندلس أن يكون لها مثل هذا الموضع جمالا" (١٠). "ودكاكيناها وحواليتها كلها الحانات والمخازن أنساعا وكبرا" (١١). "وأما قيساريتها فحقيقة بستان نفاقة وجمالا" (١٢). "ولكن قراها علمرة متفلسة لأنساعا على محسرت غطيسم من البصر عرضا وطولا" (١٣). "قد حقه أعمدة كالجنوع طولا وكالأطواد

- ١- من/١٥.
- ٢- من/١٩.
- ٣- من/٤٢.
- ٤- من/٦٢.
- ٥- من/١١٦.
- ٦- من/١١٦.
- ٧- من/٢٠٦.
- ٨- من/٢١٢.
- ٩- من/٢١٧.
- ١٠- من/٨٨.
- ١١- من/٢٣٢.
- ١٢- من/٢٣٢.
- ١٣- من/٢٣٨.

طالتي" و "مظاهر لست علية" "ونقاس أولادي" و "حذاء بناتي" و "عجالتى" و "سماطى" لايفند أحد منا عن ذلك وهو مثل قول القدماء: "كسى" و "فلاذسى" و "حصوى" و "شعوى" وكثير من مذبذبي نشرات الأخبار الآن يقولون: "أزمة ذوليصة" (نسبة إلى "ذول"، لا إلى "دولة"). وفى إحدى محاضراتى فى أدب عين شمس قام طالب قبال من كلمة كان كتبها وألقاها على زملائه: "العلاقات الزبائرية". يقصد الزبائر، ولكنه بدلا من ذلك نسب إليها وجعلها وصفا للعلاقات وكثير من الناس يقولون "صحفى" (نسبة إلى "صحف" لا إلى "صحيفة"). وشاعت فى عصرنا تسمية زائرى الأضرحة والتبرك بها بـ "القبوريين" ومكنا. بل إن عالما فى اللغة معروفًا كالذكر عبدالمصور شاهين لايجد حرجا فى أن ينسب إلى قبائل "قبائل": "والعرب فى ذلك الحين كان وجودهم قباليا" (١).

والسؤال المطروح هو: "هل النسبة إلى جميع التكسير فى مثل هذه الحالات يصح؟" إن القاعدة الصرفية المعروفة لاتقبل هذا، لأن هذه الجوع لها واحد من لغائها وليست أعلاما. إلا أن قوما من اللغويين يجوزون ذلك (٣). وعلى هذا فصنيع ابن جبير ومثقله نحن الآن مسن "ملاكي" و "عقالى" .. إلخ له وجه.

كما تكرر فى أسلوب ابن جبير التركيب التالى: "فعل أو حرف أو اسم يدل على التشبيه + المشبه به + تمييز" أو مايقرب من ذلك، كما يتضح من الأمثلة الآتية:

- ١- عبدالمصور شاهين / فى علم اللغة العام / مؤسسة الرسالة / بيروت / ط ٢ / ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م / ص ٣٤٧.
- ٢- انظر شرح ابن عثقل / ح ٢ / ص ٥٥٥، وأحمد الصلواوى / شذا الفوف فى فن الصرف / منشورات المكتبة العلمية الجديدة / بيروت / ١٤٠-١٤١.
- ٣- انظر السيوطى / صبح الواسع / دار السوفة / بيروت / ح ٢ / ص ١٨٧، وقد نقله عنه محقق شرح الخافى للإسترلابى / دار الكتب العلمية / بيروت / ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م / القسم الأول / ح ٢ / ص ٨٧/د ١. ومالك إشارة إلى أن قوما من الصرغين يجوزون هذا. فى مقسمسة "النجيد فى اللغة" / ط ٢٨ / صفحة ٧.

ذلك التلبوت البيلرك يُحجّ به ميتا ، فسبق إلى عرفـلت ووقف به على بعد وكثيف عن التلبوت " (١) . فلو تسويع فيها بطل السنى " (٢) . ومالك بوقف يتأجى بالتدريج فيه سيد الأولين والآخرين " (٣) . ومالك بيل حصن الأكراد منه على أسيال يسيرة ، وهو مقل المرو ، فهو منه تترأى ناره ، ويخون إذ يلبس شراره ، ويحسد إذا شاء كل يوم مغساره " (٤) . وبها يشرف على بسيط دمشق وغوطها " (٥) . " بسل " يشرف الإنسان السائر على " (٦) .

وهي طريق قعد ، لكما لا تدخل إلا في الشتاء " (٧) (أى " لا يحطها السافرون ") . " قتلدر البحريون إليها . وخط شراع المسارى الكيسر ، وعقل المركب من جريه ، وصيح بالبحريين .. " (٨) . " ومازالت الريح تصف حتى كادت تسف وتصف ، فطفت الشراع عن مورابها " (٩) (بدل " فصط البحارة الشراع ") . " ولولا ذلك لانتهب جميع ما فى المركب انتهابا " (والمقصود : " انتبه أهل مدينة ") . فاستحضر عن أمر الملك الصلى غليم .. ، واستطلق واستهم " (١٠) . " فليم أن الهمة اللورية تمتع من المدخل مدخل السوقة " (١١) (أى " فلم

- ١-ص/ ١٠٢
٢-ص/ ١٤٦
٣-ص/ ٨٠
٤-ص/ ٢٢٢
٥-ص/ ٢٢٢
٦-ص/ ٢٢٢
٧-ص/ ٢٨٥
٨-ص/ ٢٩١
٩-ص/ ٢٩٥
١٠-ص/ ٣١١
١١-ص/ ٣١١

مخاضة " (١) . " وخلات هذا الطريق كأنها القلاع لتعلم وحضنة " (٢) . " وسونا فى طريق كأنها السوق عمارة وكثرة صلور ووارد " (٣) . " لم نر مثل ترتيبها طيا وكثرة ولتسما " (٤) . وما يبرز من التركيب فى رحلة ابن جبير تفصيله فى كثير من الأحيان حذف الفعل وبنائه الفعل من ثم للجھول على بئانه للعلوم . فمثلا بدل أن يقول : " استنزله واستلقوه " ، كما نفعل عادة ، يفضل أن يقول : " استنزول واستلق " . وهذه هي الشواهد :

" استخفى جميع من كان فيه من المسلمين " (٥) (بدلا من " استحضر رجـال المكـس جميع ") . " فلوأرأ أداه زكاة ذلك دون أن ينال أحال عليه العول لم لا . و استنزول أحمد بن خشان منا لیسأل عن أبناء العرب وبلغ المركب ، فليف به موقيا على السلطان .. وفى كل يستهم ثم يقيد قوله . فخلّى سبيله ولكر المسلمون بتزليل أسلهم .. فاستمروا واحدا فواحدا وأحضر مالكل واحد من الأسباب " (٦) . " ولأحد الكبيرين منها باب ينفذ إليه على نحو القلعة منه أو أزيـسـد ، وينخل منه إلى بيت كبير " (٧) . " فليكن فيها من دلالة الوارد ملايحي ككرة " (٨) . " لايفل أحد عن متاعه طرقة عين إلا اخلس من يديه أو من وسطه بجعل عجيبة ولطافة غريبة " (٩) (بدلا من " إلا اخلسه أحد اللورس ") . " فلما حلفت وفاته أرمى بأن يوضع فى

- ١-ص/ ٢٤٣
٢-ص/ ٢٢٨
٣-ص/ ٢٠٢
٤-ص/ ٢٠٧
٥-ص/ ١٢
٦-ص/ ١٢
٧-ص/ ٢٨
٨-ص/ ٤٣
٩-ص/ ١٠٠

فيه " (١) . "رضها يطول والأخيل عنها لاتحصي" (٢) "قدرة التسلع ، وقوة الاستطلاع" (٣) " ليس فيهم من ليسم بسمه تلقى ، أو انصف بصقة مو بها جلتى " (٤) " هذا الاسم لها اصدق الصفات ، وموضوعها به اشرف الموضوعات " (٥) . " وهى ماهرة من اهل النماذج المتحركة والمنازل الفاسدة " (٦) . " معملاتهم صحيحة ، وأحوالهم مستقيمة " (٧) " نخطب بعلمهم فلايتعذر ملاكها . وترلم فيتيسر بأهون شيء إدراكها " (٨) . " إذا استقبلتها أبصرت منظرا رائعا ومرأى مائلا " (٩) . " لقد تسالوت الأذئاب عندهم والوروس ، ولم يميز لديهم الرئيس والوروس " (١٠) . " ومازال الشيطان يستويه ويغريه " (١١) . " وحقت عليه كلمة العذاب . وتألمب لسوء الحصلب وسحق اللآب " (١٢) . " نرتقب منه جل جلاله مهور التيسير والتسهيل " (١٣) . " فيالها من ليلة يثيب لها سوء النواكب ، مذكرة فى ليالى الشواكب ، مقمنة فى

- ١-ص/١٥٤.
- ٢-ص/١٦٥.
- ٣-ص/١٨٤.
- ٤-ص/١١٦.
- ٥-ص/١١٧.
- ٦-ص/١٢٤.
- ٧-ص/١٢٤.
- ٨-ص/١٢٥.
- ٩-ص/١٢٧.
- ١٠-ص/١٢٩.
- ١١-ص/١٨١.
- ١٢-ص/١٢٨.
- ١٣-ص/٢٨٧.

الملك والحاضرون - " (" فأعلنت أنها يكس ليكنه " (١) (بدل " فأعلننا الذين يعرفونه ... ")

وإبن جبر ، ككل أبناء العرب القدماء تقريبا ، أحيانا مائلياً إلى الترافف ، سواء أكان مدفوعا بسبب رغبته فى التمتع لم لا ، وإن كان الترافف عنده مع المجتمع أكثر :

"أبرزه لهنه النفية تاجرا واحسابا" (٢) . " جعل أحكامهم إليهم ، ولم يجعل لأحد يدا عليهم " (٣) . " جهلهم من الواجبت لما يصدر عنهم من التعسف وصير الإرهاق وسوء المعاملة " (٤) . " لو وردت نهرا من الأنهار لأغبتة ولزفته " (٥) . " فمجموعها متناسب فى اختلال البنية ووهما " (٦) . " فجعلوه سببا إلى استلاب الأموال واستحقاقها من غير حل " (٧) . " وهو يرتقب ذلك اليوم ارتقاب يوم السملة ، ويرتطره انتظار الفرج بالعبور الذى هو عبادة " (٨) . " فسبحان من كرمه وعطه وخلد له التشريف إلى يوم القيامة " (٩) . " نزفت السنية والمفاخر العلية " (١٠) " وهو المجازى على الضمائر وخفيات السرائر " (١١) . " نزفت ومعهما العيون ، واستنزفت ماعها الشؤون " (١٢) . " يطول وصفه ، ويتسع القول

- ١-ص/٣١٢.
- ٢-ص/٣١.
- ٣-ص/٣٦-٣٧.
- ٤-ص/٣٨.
- ٥-ص/٤٢.
- ٦-ص/٤٧.
- ٧-ص/٥٥.
- ٨-ص/٥٧.
- ٩-ص/٦١.
- ١٠-ص/١٠٢.
- ١١-ص/١١٧.
- ١٢-ص/١٢٩.

الصور والمحسنات

هذا عن التراكيب ، أما في الصور فإن ابن جني لا يقيم لنا شيئا خاصا متميزا ، فصوره جيدة وبالنسبة للصور التي قد نشم فيها رائحة جديدة أو شبه جديدة نراه غالبا سبق إليها .

إن في الصورة التالية مثلا شيئا من الطراجه : " كدت الطبقة العليا منها كحفا مستحيلة وروزة كلها مسليور محددة الأطراف لامعا بعضها ببعض كظهر الشيم (أي ذكر النعنفذ) نسب بها الشيع " (١) . ومع ذلك فقد سبقت هذه المور عند ابن حزم في " طوق الحمامة " ، بل في سياق من عليها جوية أكثر مما أضفاه سياق ابن جني الخشبي عليها منا . يقول ابن حزم :
 بالهدى به معلونا في المرح على النهر الأعظم وكأنه النعنفذ من النبل " (٢) .

وبالمثل قوله عن قلم مدينة من المدن : " طالت محبتها للزمن " (٣) ، الذي يذكرنا بيت بيتي الرقع ، والعتى سلق :

محب الناس قينا ذا الزمان وعناهم من أوره ما عانا

وبالنسبة أيضا لقول لـ : " على قم الرحلة " (٤) نرى كتب السيرة تقول إن الرسول ه السلام . عندما أتاه لمحبب مسجد الفرار يرحونه أن يفتح مسجدهم بالصلاة فيه ، اضطر بأنه " على جناح سفر " (٥) .

ومن المور التي قد نشم فيها رائحة طازجة قوله مشيرا إلى عدم وجود أي موضع خال في

ص / ١٣٠

رسائل ابن حزم / تحقيق د إسماعيل جليس / ح ١ / ص ٢٨٤

الرحلة / ص ٣١٠

ص / ٣١١

القريري / إبداع الأسماع / تصحيح وشرح محمود شاكر / ح ١ / ط ١ / نشر القرن الدينية بدولة قطر / ص ٤٨٠ ، ود
 ل محمد أبو شبة / السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة / ح ٢ / طبعة القاهرة الحديثة للطباعة / ص ٤١١ .

تعداد الحوادث والتراكيب " (١) . " نعوذ بالله من عواقب العثرة وخولم العلالة " (٢) .
 والملاحظ أن التراكيب يقل جدا في الرحلة بل يتعالم حين يصف ابن جني شيئا ومما
 موضوعيا ، إذ تشمله دقة التصوير وقياس الأطوال عن ذلك :

١- ص / ٢٨٩

٢- ص / ٤١٣

القلعة " (١) . " ونحن من الشرق إلى الأندلس بحال تلك لما النفوس تقوم مقام الرياح في حث الرياح (٩) ولزعلها " (٢).

ويكرر نفس رحلة ابن جبر الاحتباس والضمين . وهو أحيانا ما يقتبس العبارة أو يغمضا كما مسمى . وأحيانا ما يحوّز في العبارة التقبسة أو التضمينة . ولأن أقدم الشواهد على ما أقول . مع إرجاع كل عبارة جبرية إلى أصلها من القرآن أو السنة أو الشعر أو الأقوال المأثورة :

"وجاءت الموج من كل مكان " (٣) . وأصلها قوله تعالى : " وجاءهم الموج من كل

مكان " (٤) . والسيقان واحد . ومما عن الواسف والأفواج الهالجة في عرض البحر والموت المحيط بركاب السفينة .

" فلما جئت الليل " (٥) . " حيث جئت علينا الليل " (٦) . " والليل قد جئ " (٧) . وأصلها قوله تعالى : " فلما جن عليه الليل " (٨).

وكما ترى لم ينقل ابن جبر عبارة القرآن كما هي . ففي بعض الحالات لم يستخدم الطرف " فلما " . وفي بعضها الآخر لم يستعمل شبه الجلة . والسيقان عند ابن جبر مختلف فإلا عنه في القرآن . فالقرآن يتحدث عن حلول الظلام على إبراهيم عليه السلام عند تذكره في ملكوت

جدران أحد البياكل الفرعونية : " وما فيه مغرر إشفى (أي مخز) " (١) . وقوله عن قوة تفوق

الماء في إحدى البيوت إلى أعلى : " فربما يروم السليح القوى السباحة الشديد الغوص في أعماق المياه أن يصل بغوصه إلى قعره فيمجه المياه بقوة لبعثا من منبه " (٢) . وقوله يصف موقفا من مواقف الضطر في البحر عندما هاجت الأمواه وثارت الأمواج : " كما - نغزل المنون " (٣) . وقوله عن مدينة أطرابلس الصليبية إليها " في لهوات البحر لإحاطة بها من ثلاث جهات " . وإن " البحر فلفر فاه لها من سائر الجهات " (٤).

وهناك صورتان لاحظت تكررها في الرحلة : أولهما قوله حين يصف الحسن البauer لشيء ما إنه " يقيد الأبصار " : " خفت أعلاه كلها بأشكال التفافيح (الكرات) ذمبا في منبعث شبه الروضة يقيد الأبصار حسنا وجمالا " (٥) . " يصر الناظر فيها . ما يقيد بصره حسنا " (٦) . " تجلى منها منظرا ترتاح النفس إليه . وتتفقد الأبصار لديه " (٧) . " كل موضع . قد النظر " (٨).

والثانية حين يصف عن اندفاع المياه أو الريح بشدة وعنف بـ " الانزعاج " : " وفي إحدى أملاها حصة (حوض) رخام مشقة يخرج عليها أبواب من الماء خروج لزجاج وشدة " (٩) " وفي وسطا الحوض الرخاض أبواب صغر (نحاس) يزعج الماء بقوة فيرتفع إلى الهواء أريد من

١-ص/ ٢٤٣

٢-ص/ ٣٧

٣-الرحلة / ص ٢٨٩١٢

٤-يونيس / ٣٧

٥-الرحلة / ص ٢٨٩٥١٠

٦-ص/ ٤٣

٧-ص/ ٣٩٢

٨-الأنعام ٧٦

١-ص/ ٣٧

٢-ص/ ٢٨٨

٣-ص/ ٢٨٨

٤-ص/ ٣٠٨

٥-ص/ ١٨

٦-ص/ ٦٤

٧-ص/ ٣٢٠

٨-ص/ ٢٢٥

٩-ص/ ٢١١

قوله تعالى: " وُزيت عليهم الذلة والمسكنة " (١). وواضح التفسيرات اللفظية التي أحسنها ابن جبر في العبارة المقتضية، فقد زاد فوصف المسكنة بـ " الذنية " في العبارة الأولى، وبـ " النمية " في العبارة الأخرى، ولاوجود لأي من الوصفين في القرآن. وهذا فضلا عن أنه، في العبارة النغمية قال " الذلة " بدل " اللذة " أما من ناحية السياق، فالآية القرآنية تتحدث عن اليهود، على حين أن المقصود في عبارتي ابن جبر إنما هم المسلمون: فالعبارة الأولى تتحدث عن المعاملة القاسية التي عاثاها الحجاج في مكس الإسكندرية كأنهم أهل ذمة لاسلمون، والثانية تتحدث عن حال المسلمين تحت حكم أهل الكلاب وميلاقونه من مو ان يشبهه مو ان أهل الذمة.

" يعمل غير صالح " (٢). وهي مأخوذة من قوله سبحانه وتعالى: " إنه عمل غير صالح " (٣). والفرق واضح، وهو فرق صغير.

" يقرضه قرضا حسنا " (٤)، من قوله عز وجل: " يقرض الله قرضا حسنا " (٥)، مع تحويل المفعول من اسم علم إلى ضمير، كما هو ظاهر للبيان. وهو في الحالين الله عز وجل.

" يقلب كفيه ويضرب أمصريه " (٦). وهى من قول رب العزة عن صاحب الجنة المحترقة: " فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها " (٧). وقد زاد ابن جبر جملة: " ويضرب أمصريه ". ثم إن فصلح يقلب كفيه على ما أنفق على جنته هدرا، أما مقلب كفيه في

السموات والأرض، أما في الرحلة فالسياق سياق موط العالم ومجيء الليل فقط.

" لاخلق لهم " (١). وقد نقلها بنسبها من القرآن الكريم " (٢). و " الخلاق " هو النسيب وتكملة العبارة القرآنية، وهى عن اليهود الذين تلاعبوا بينهم وكذبهم: " أولئك لاخلق لهم في الآخرة "، أى لاصيب لهم في رحمة الله، ولا أمل لهم في دخول الجنة. ومع ذلك فقد شاع استخدام " الخلاق " في الأساليب العربية الحديثة بمعنى " الأخلاق ". لذا عند ابن جبر فلا جدوى لادرى أى معنى استخدمها فيه، فإن السياق لايساعد على تحديد ذلك. وهذه هى عبارة ابن جبر بكلمة، والكلام عن قبلة البجاة وكيف أنهم لايتزومون بتعاليم الإسلام، ورجالهم ونسأؤهم يشئون شبيهه عراة، وأكثرهم لايتزومون: " وبالجملة فهم لمة لاخلق لهم، ولاجناح على لاعينهم " (٣).

" جعلنا الله من بينين يحب أهل البيت، أنهب عنهم الرجز وطهرهم تطهيرا " (٤). وهى مأخوذة من قوله تعالى: " يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا " (٥) وقد غير ابن جبر، كما هو واضح، الضمير من الخطاب إلى النية، عادة على التقدير والتأخير. وكلتا العبارتين عن أهل البيت.

" قُرب الذلة والمسكنة النية عليهم " (٦). " منها الذلة والمسكنة النية " (٧). وأصله

- ١- البقرة / ١٧.
- ٢- ص / ٥٧.
- ٣- مود / ٤٦.
- ٤- الرحلة / ص ١٠٥.
- ٥- البقرة / ٢٤٥.
- ٦- ص / ١٠٥.
- ٧- الكهف / ٤٢.

- ١- الرحلة / ص ٤٩.
- ٢- آل عمران / ٣٧.
- ٣- الرحلة / ص ٤٩.
- ٤- ص / ٥٣.
- ٥- الأحزاب / ٣٣.
- ٦- ص / ٥٥.
- ٧- ص / ٣٨.

القوة" (١). والفرق هو أن جملة ابن جبير فعلية غير مؤكدة ، على حين جملة القرآن لسمية مؤكدة بـ "إن" و "اللام" . ثم إن العصبية قد وصفت في القرآن بـ "أولئى القوة" . أما ابن جبير فقد اكتفى بها من غير وصف . وحسنا فعل ، فإن الجمل هنا شمة ، أما هناك فمفاتيح خزائن قارون . ومفاتيح تلك الأيام لابد أن تكون من المخملة بـ مكان .

"نفجت جلودهم طيحا" (٢)، وذلك فى الكلام عن الزحام الذى كان على النساء أن يعفنه لأداء النسك . وهو من قوله تعالى ، ولكن عن فريق من أهل النار : " كلما نفجت جلودهم بدناهم جلودا غيرها لينوقا أعقاب العذاب " (٣) . وقد تغير الضمير من المذكر إلى المؤنث ، وزيد فى العبارة الجبرية كلمة "طيحا" ، وفيها نكهة فكاهية فيما أحسن .

"منودة برأيا" (٤) . وهى مأخوذة من قوله عز من قائل عن يونس عليه السلام بعد خروجه من بطن الحوت : " فنبذناه بالبراء " (٥) . وقد استعمل ابن جبير لاسم المفعول بدل اسم الفعل ، وأضاف العراء إلى ضمير المفعول . ثم إن الضمير فى القرآن مذكور وفى الرحلة مؤنث ، لأن الكلام فيها عن إحدى القلاع .

وعلى هذا قس العبارات التالية : "كلان لسم تسمن بالأمس" (٦) . "أركض برجلـك" (٧) . "قلطيس مقطـورة" (٨) . "زيـنن لسه سوء عمله فراه

- ١- القصص / ٧٨
- ٢- الرحلة / ص ١٥٩
- ٣- النساء / ٥٦
- ٤- الرحلة / ص ٣٢٤
- ٥- الصفات / ١٤٥
- ٦- الرحلة / ص ٣٢٨
- ٧- القصص / ٣٢٤
- ٨- القصص / ٣٦٦

نفس ابن جبير فهو أسير مكة ، وهو لم ينفق شيئا ههنا . بل الذى أنفق هو أحد أبنائه العجم الذى عثر بشر زعيم وأصلحها . وكان قد وعد الأمير بأنه إذا تركه يقوم بهذه الإصلاحات فسيطليه . مثل تكليفها . وذلك لكى يتركه الأمير يقوم بالإصلاح والترميم المطلوب . ولكنه بعد أن لم التريعات اختفى عن الأنظار كأنه لم يكن له وجود ، فأصبح الأمير يطلب كفيه ويعترب أسدريه لى عرقه اللذين تحت صمغيه . "وعرب الأصـدرين" معناه القواغ .

"موتى الملك من يشاء ونازع الملك ممن يشاء" (١) . وهى من قوله تعالى : "توتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء" (٢) . بعد استبدال اسمى الفاعل بالفاعلين ، واستبدال ضمير الغائب بالمخاطب . أما فى صفحة ٧٠٧ فقد استختم الفعل ولكن مستمدا إلى الغالب "يوتى الملك من يشاء"

"وقد خُشِر الناس ضحى" (٣) ، وذلك فى إنشاء وصفه لطواف أحد الأثراء الأثريين وشعبه وهو من قوله عز من قائل عن الموعد الذى لائق عليه بين موسى عليه السلام وسحرة فرعون ، وهو يوم الزينة : "قال : موعدكم يوم الزينة وأن يحشروا الناس ضحى" (٤) . والتغير ينحصر فى استبدال المضارع بالماضى مع زيادة "قد" .

"فرحين بما آتاهم الله من فضله" (٥) ، وهى مأخوذة بنفسها من القرآن الكريم (٦) . "تنوء الشمعة منه بالعصبية" (٧) ، من قوله سبحانه : "إن منافعه تنوء بالعصبية أولى"

- ١- الرحلة / ص ١٢٥
- ٢- آل عمران / ٣٦
- ٣- الرحلة / ص ١٢٥
- ٤- طه / ٥٩
- ٥- الرحلة / ص ١٣٥
- ٦- آل عمران / ١٧٠
- ٧- الرحلة / ص ١٥٥

"فإلها إلهة كانت في الحسن بيضة النور" (١) "وبيضة النور" مثل للشئ، ليكون له مثل أو يعمل مرة واحدة ثم لا يكرر. وقيل في تفسيرها إلهة "بيضة الديك"، على زعم أن الديك يبيض، ولكنها بيضة واحدة ليس غير (٢). كما قيل إنها أول بيضة تبيضها اللجاجة فتعقها. وقيل غير ذلك (٣).

"شمننة أفرها من أخزم" (٤)، وذلك أن أطفلا قد اعترا على جهم، وكان أبوه قد مات، وكان عاقا لأنه كثير الإيذاء له، وكان اسمه أخزم، فقال الجند هذه العبارة التي هي الشطرة الثانية من البيت التالي:

إن بني خرجوني بالسلم شمننة أفرها من أخزم (٥).

"يدعو إليها (إلى داره) كل يوم الجحلى من الغبراء" (٦). وهي مأخوذة من قولهم: "دعا الجحلى". أى دعا الناس إلى الطعام دعوة عامة ولم يخص بها فرقا دون فريق. وعكسها: "دعا الثرى"، أى دعوة خاصة.

"فيهم شبا ورثا" (٧). وهي مأخوذة من البيت الذى أصبح شطره الثانى مثلا يفرب للثاعة والرضا بالليل.

فتملا بيتا أيضا وستنا وحسبك من غنى شيع وري

١- الرحلة / ص ٥٨.

٢- من الطريف أن زبيلا لى بابلنا، وكذا فى الحلقة ما فى النصف الثانى من السينات، رأى عبارة "بيضة الديك"، فظن أن الديك يبيض فعلا. وبينا حاولت أن ألهيه لى بكل قائم على زعم.

٣- انظر "تاج المروس" / ملحة "عقو".

٤- الرحلة / ص ٣٣٠.

٥- انظر المثال وشرحه فى "تاج المروس" الزبيدي / ملحة "خزم" و "النجد" / ط ٨٠ / ص ٩١٥.

٦- الرحلة / ص ٣١٤.

٧- الرحلة / ص ٣١٤.

حسنا" (١). "الجوارى المشتات فى الجسر كالأعلام" (٢). "حقت عليه كلمة العذاب" (٣) "ولغاب الآخرة أشد وأبقى" (٤). "تجى الثمرات إليهما" (٥). "والبحر هو" (٦). "صبح مورد من قوارير" (٦). "لكل أجل كلب ويمقات" (٧). "حتى جاء نصر الله والفتح" (٨). "أهل الثوى وأهل المغفرة" (٩). "نشرا بين يدي رحته" (١٠). ومطلها متقول بنصه من القرآن الكريم.

ومن الحديث النبوى الكريم يمكن أن نرصد العبارتين: "السفر قطعة من الغياب" (١١)، "وفى جوف النرا كل العيد" (١٢). والأولى أخفت من الحديث كما هى: أما الثانية فأصلها: "كل العيد فى جوف النرا". بيد أن ابن جبر قد قدم وأخر مواضع للسجع وقد صارت مثلا يفرب للرجل الذى يتفوق على غيره من الناس ويسد مستقيم، ولا يستغنى عنه مملكة. أما العبارات الآتية فمن الأمثال العربية القديمة والتعبيرات الشائعة المشهورة:

١- ص / ٣٦٩.

٢- ص / ٣٧٦.

٣- ص / ٣٨١.

٤- ص / ٣٨٢.

٥- ص / ٣٨٥.

٦- ص / ٣٨٦.

٧- ص / ٣٩١.

٨- ص / ٣٩٤.

٩- ص / ٣٩٧.

١٠- ص / ٣٩٩.

١١- ص / ٣٩٩.

١٢- ص / ٣٩٩.

١٣- ص / ٣٩٦.

"قد نصححت إن أليت سلما، ونليت إن أسمعت محيا" (١). وهذه العبارة الجبرية تنظر إلى قول الشاعر وقد أصبح مثلا يضرب لمن يوعظ فلا يسمع :

لقد أسمعت لو نليت حيا ولكن لحياة لمن تنلدي

"ومرانا منذ ربنا البحر نتسم هذا الأفق الشرقي شوقا إلى ريحه فالديب منه نسيم حتى

خلناه لعمه عتقا مغربا" (٢). والقصود ، كما هو بين ظاهر ، الشيء المستحيل الثور عليه ، لأنه لا وجود له . وهو مأخوذ من قولهم "عتقاء مغرب" ، وبمعهم يقول : "العتقاء المغربية" ،

بالتأنيث . وقيل في شرح معناها إنها طائر عظيم معروف الاسم مجهول الجسم لا يرى إلا في السور ، ثم كر ذلك حتى سوا الداهية "عتقاء مغربا" . وبهذا المعنى الأخير وردت في قول الشاعر :

ولو سليمان الخليفة حلفت به من يد الصجاج عتقاء مغرب

أي كان الصجاج سيتك به فكما لو سليمان عبد الملك ، الذي حواه وأتقنه . وفي الحديث : "طلعت به العتقاء المغرب" ، أي ذهبت به الداهية .

فالبن جبر إذن قصد المعنى الأصلي ، لا المعنى الذي تطورت إليه العبارة في الاستعمال (٣) كذلك أحيانا ليستشهد ابن جبر بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية لاستشهادها لا قبلها (٤) ، وبآيات الشعر وأشعاره (٥) .

وريشع المسجع في رحلة ابن جبر . ولكنه لا يطيها كلها . إنها خليط من الأسلوب المترسل والمسجوع .

١- الرحلة / ٣٥٨ .

٢- الرحلة / ص ٢١٨-٢١٩ .

٣- انظر شرح هذه العبارة في "تاج العروس" / مادة "عرب" و "عق" .

٤- انظر مثلا ص ١٩٦٦٧-١٩٦٦٨-١٥٧١٤٥١٤٢١٣٥١١٣٢٠-٣١٣٢٤١١٣٢٤ من الرحلة .

٥- انظر مثلا ص ٨٧٣٢٤٩-٨٧٣٢٤-٨٧٣٢٤٢-٨٧٣٢٤٢ من الرحلة .

وإن كان ابن جبر قد قصد أنه أكرمهم غاية الأكرام ، فأنشدهم وأرواهم ، وقلما من لئله ولئلين مريضين .

"وأما نثره فيصنع بسجع مسر اليبان ، ويميل السمل يفس وسحجان" (١) والإشارة إلى قولهم

في الأشغال القبيمة : "أخطب من سحجان وائل" ، وهو رجل من باهلة اشتهر بفصاحته في الخطابة ونظم الشعر (٢) . وقد سبق أن أنشأ ابن جبر إلى هذا السمل قبل ، وذلك في قوله :

"فإن كل مخبر عنه ، لو كان فساينا أو سنجينا ، يقف موقف العجز والتقصير" (٣) .

وقد جيل بني الغير والتروان (٤) ، ومعناه : لأمل في المحاولة ، فقد سببت المسالك . وهو

المشكلة الثانية من بيت صخر بن عمرو أخى الخشاء المشهور برثائها لياه :

أهم بلمو العزم لو أستطيعه وقد جيل بين العير والتروان (٥) .

و "الغير" هو "العمر (الرحشى)" ، و "التروان" : "الرثوب" .
"تسلوا عن الغنية بيلهم" (٦) . وهو مأخوذ من قول الشاعر :

وقد طوّفت بالأفاق حتى رضى من الغنية بالإياب

ومعناه أن الذي كان يطعم في إحواز الغنية قد انتهى به الحال إلى أن يكفى بمجرد الرجوع إلى بيته سالما (٧) . ويلاحظ أن ابن جبر قد أجرى في عبارة الشاعر عدة تغييرات ، ف "رضيت" أصبحت "تسلوا" ، و "من" صارت "عن" و "بالإياب" أضيفت إلى ضمير الذين تسلموا .

١- الرحلة / ص ١٩٧ .

٢- انظر هذا السمل في "تاج العروس" / مادة "سحب" و "النجد" / ص ٩٨٤ .

٣- الرحلة / ص ٣٨ .

٤- الرحلة / ص ٣٩٤ .

٥- انظر البيت في "تاج العروس" / مادة "نزا" .

٦- الرحلة / ص ٣٩٥ .

٧- انظر السمل في "النجد" / ص ٩٨٩ .

خطر ومحتشف غور" (١). "إنه على ملبشاه قتيرو، وهو نعم المولى ونعم النصير" (٢). "والبر قد ألقى على البسطة شماغه، والليل قد كشف عنا قناعه، والأموات تصك الأذان بالتلبية من كل مكان، والألسنة تنفج بالثناء وتتبل بالثناء، فتارة تشتد بالتلبية، وأروية تنفج بالأدعية. فإلها لئله كانت في الحسن بيضة الغور، فهي عروس ليالي المر، ويكر نبات المر" (٣). "والله يجعل فيه رزقا لمن تشوق بلبته الحرام، وتغنى هذه المشاهد النظام والناسك الكرام" (٤). "فسارت بجعل ذكر هذا الرجل الرفاق، ومكنت ثناء عليسه الأساق". "فقيت أقره مخلة، وأخبره بألسنة الذكر مجتعة، وقضى حصيدا سجيحا" (٥). "وهي في هذا العلم أحفل جمعا، وأكثر شهما" (٦). "ورأى أن ذلك أفضل ما ليقتسم، وأشرف عمل يلزم. وبكل مكان يوجد الركن الكريم والمليزم" (٨). "فكانت الليلة الغراء، والحكمة الزمراء. والهيئة الموفورة الكلاء، والحالة التي تمكن عند الله تعالى في القبول والرجاء" (٩). "أطلقت عليه أيسى الانتهاج، ولم يكن في الجماعة من يشتغى منه أو يهاب، وعند الله تعالى العزاء والثواب. إنه سبحانه الكريم الوهاب. وانتهت ليالي الشهر ذاهبة عنا بسلام. جعلنا الله من طهر فيها من الآثام، ولا أخلانا من فضل القبول بركة مومه فسي جوار الكمية البيت الحرام، وختم الله لنا ولجميع أهل الأمة الحنية بالوفاء على

١- ص/٥٥.

٢- ص/٥٥.

٣- ص/٥٨.

٤- ص/٩٩.

٥- ص/١٢٤.

٦- ص/١٠٥.

٧- ص/١٢٢.

٨- ص/١٢٢.

٩- ص/١٢٠.

وفد لاحظت أنه يلجأ إلى السجج في موطن الانفعال، سواء أكان هذا الانفعال وجها فينبينا أو إعجابا أو خوفا أو سخرية، على قلة السخرية عنده، وكذلك في المواضع التي يعصف فيها المدن والعناصر الفضة والمساجد، وما إلى ذلك.

والملامح أن السجج قليل في أوائل الكلب، ثم يكثر كلما أوعنا فيه حتى لينطى الصفحة كلها أو أكثر، يعود في أواخر الكلب قبل ثلثية. ومع ذلك نلاحظ في الأواخر بصفحة كلمة أو شبه كلمة مسجوجة، ولكن هذا قليل بالنسبة إلى أواسط الكلب.

وبوجه علم، فالسجج في الرحلة ينذر أو يعلم في المواضع التي يتوقف فيها ابن جسر ليعطينا ألوإال مسجد ما أو نمط عمرته وما إلى هذا.

أما طريقه في السجج فإنها تترواح بين إبرله فاصلتين فاصلتين وإبرله ثلاثا ثلاثا أو أكثر وأحيانا يأتى بسججة واحدة في وسط مسلة من الأسلوب المترسل؛ وأحيانا يزيد عن سججة، وقد تصل هذه الزيادة إلى أن يجعل الصفحة كلها مسجوجة. كما قد يكون المسجج بين لفتين متعاقبتين أو بين نهايتي جملتين أو أكثر، أو بين جزأى الجملة الواحدة.

وبسبب السجج نراه يضطر أحيانا إلى التقديم والتأخير أو إبروك جملة اعتراضية، ولكن سجدته غير متكلف، فعلا عن أن توضع ومسلة نفسه وزغبته في إبروك التاريء معه فيها يضاهد ويسجع ويستمتع به أو يفعل به بوجه علم. كل ذلك ينفى على أسلوبه جوا طيبا يقتضيه إليه كثير من أساليب السججائين العرب.

وماك أمثلة على ذلك: "فلقنا بين هواء يذيب الأجسام ومساء يشغل المصمة عن اشتهاه الطعام" (١). "والله ولي الخيرة في جميع مايقبضه ويسيه" (٢). "فراكب هذا السيل راكب

الأثلة بعد قليل ، جناس سهل أقرب إلى العفو منه إلى القصد به التكلف .

ومثلك إلى جانب السجع في أسلوب ابن جنيير الجناس والعلاق ، ولكنهما ليس لهما شيوخ السجع . وهذه بعض الشواهد على هذا وذلك . وسوف ترى من خلالها أن جناس ابن جنيير وطبقه يتميزان بالبساطة ويعتبران من العفوية .

" فينبول بأليم العذاب بعذاب . فكانت كاسها مفتوحة العين " (١) . وهذا أمر يقع القلق على أن صلاح الدين لا يعرفه ولو عرفه لأمر بقطعه كما أمر بقطعه مامو أعظم منه " (٢) . " شبر السج والنج " (٣) . " فيقوم عجلاد وجلا " (٤) " مع طلاقه ويشتر ، وكرم لقاء وبر " (٥) . " زفرة فقيرة " (٦) " فضلاتهم أسجح ، ومنازلهم أوسع وأفسح " (٧) . " فيالها بشوى ومسرة ، لو لم تعد حسرة في كرة " (٨) . " ومازالت تصصف ، حتى كادت تنصف وتعصف " (٩) .

" مستروددين بين الرجاء والأيس " (١٠) . " مقدار ثلاثمائة أيسال علسوا "

وسفلا " (١١) " فركب الجوجاج المسلرة والواردة " (١٢) . لكنهم ببللة لأرطب فيها

- ١-ص/ ٣١
- ٢-ص/ ٣٨
- ٣-ص/ ١٤٧
- ٤-ص/ ١٩٠
- ٥-ص/ ٢٢٢
- ٦-ص/ ٢٢٦
- ٧-ص/ ٢٢٧
- ٨-ص/ ٢٩١
- ٩-ص/ ٢٩١
- ١٠-ص/ ١١
- ١١-ص/ ٣٠
- ١٢-ص/ ٤٥

الإسلام ، وأوزعنا حصدًا يحق هذه النعمة وشكرًا . وجعلها للمعاد لنا ذخرا ، ووقفا عليها ثوبا من لبيه وأجرا ... إنه لا يضيع لبيه أليم أنفذ لصيلها ماء زمزم فلورا . إنه العنان السنان ، لأرب سواه " (١) . " فهي ملرسة وملسمة " (٢) .

أما الصفحات المسجوعة بأكلمها فتجد أمثلة منها في الصفحات رقم ١٩٤ ، ١٩٥ - ١٩٦ ، ١٩٩ - ٣٠٠ ، ٣٠٨ ، ٣٠٠ .

ومثلك بعض الكلمات لاحظت أنه يكرر السجع بينها ، وعلى رأسها كلمتا " السموع والغشوع " : " ينظرون بعيون دواع ، وقلوب خواشع " (٣) .

" وسكبت من هول تلك الممانية المدامع ، وذابت القلوب الخواشع " (٤) .

" ونفوسهم قد استقلارت خشوعا ، وأعينهم قد سالت دموعا " (٥) .

" ففسا روى يوم أكثر مدامع ، ولأقربا خواشع " (٦) .

" حتى أطارتها خشوعا ، وفجرتها دموعا " (٧) .

وبعد ، فسجع ابن جنيير سجع مقبول إن لم يعمل فيه ، ولا يجري على نظام مسلم . فهو تارة بين كلمتين متجاورتين أو متقاربتين في الجملة ، وتارة بين جملتين ، وتارة بين أكثر من ذلك ، وتارة يلتزم السجع في فقرة بكلمها أو عدة فقرات ، وتارة يسلمه تسلا . وفي كل الحالات ، فإن سجعه لا يريك نظام الجملة ، وهو لا يخلطه بالجناس المتقو . فإن جلسه ، كما سيوضح من

- ١-ص/ ١٢٢
- ٢-ص/ ٣١٦
- ٣-ص/ ٩٥
- ٤-ص/ ١٨٨
- ٥-ص/ ١٢٢
- ٦-ص/ ١٥٢
- ٧-ص/ ١٩٥

الفكاهة والوصف

والإحسان في رحلة ابن جبير قليل، وهو لا يترهب إلا مكرها وعلى استحياء. وهذا راجع إلى طبيعته الشخصية، فهو شديد التدين والتخرج، حتى إنه حين انساق عرضاً إلى الحديث عن لعب الشطرنج في أثناء السفر لم يدع الأمر يمر هكذا، بل أشار إلى الحكم القوي لهذا اللون من التسلية، وبين أن بعض المسلمين يجرؤونه ويضعهم يجرؤونه. قال عن نوع من الهولاج يجلس فيه اثنان متقابلين كل منهما في ناحية من الجانبين وتسمى "المتكاف" : " فيكون الراكب فيها مع عبده في كن من لفح الهاجة ويقعد مستريحاً في وطائه ومتكناً، ويتناول مع عبده ما يحتاج إليه من زاد وسواه، ويمطالع متى شاء المطالعة في صحف أو كتاب. ومن يشاء ممن يستعجز اللعب بالشطرنج أن يلعب عبده فتكها وإحساناً للنفس لاغبة" (١).

ومن هنا فالفكاهة عنده قليلة، وهي لا تبدو أن تكون دعابة مائدة. أما الجنس فهو ممدوم. إنه مثلاً ليس كسيلة بن مقف، الذي يستخر ويتكلم ويصيح بسخرته وتهكمه، والذي لا يخرج أن يطرق الموضوعات الجنسية ويحكى حكاياتها. وليس كبن فضان، وكان قبيها مرسلاً في مهمة سفارية بين الخليفة العباسي ومالك البطار، ومع ذلك لم يترك شيئاً رآه إلا وسجله، حتى المرأة التي كانت جالسة معهم برفقة زوجها، ثم بعته كشفت عن - وحكته أمام الجميع، وماعلق به على ذلك زوجها، الذي لم يبرأية غضاظة فيما فعلت لمرأته.

— أما ابن جبير فإنه يحطب نفسه حساباً شديداً. لقد رأى مثلاً في صون، وكانت تحت يد المصلين آنذاك، غزناً صلياً فومفه، ووصف العروس، وكان وصفه لها على النحو التالي : " خرجت تهللى بين رحلين يسكنانها من بينين وشمال - وهي في أبهى زى وأفخر لباس، تسحب أذيال الحرير النذهب - وعلى رأسها عصابة، وهي رافقة في حليها وحللها، تمشى

ولايلبس " (١). " يائسين من فلاح الدنيا، متحققين لأشراط الآخرة. والله الأمر من قبل ومن بعد " (٢) " وسيورة هذا الأمير بالرفق بالحاج والاحتياط عليهم والاحتراس لمقامهم وسائقهم، وضم نشر ميسرتهم وسيرة محدودة " (٣). " وكل منهم بعث من سكرته ماصحاً " (٤). " فالتاس ليلاً ونهاراً من تملأ العبور فيها في نزوة متصلة رجالاً ونساء " (٥). " فالتدخلو القسراة منه صلباً ولا مساء " (٦). " ولم يميز لديهم الرئيس والمرؤوس " (٧). " فخرس الله هذه البقعة من رجس الكفرة بركة هذا القبر القميس " (٨). " فأنقنا بها مغرب البحر طولا وعرضا " (٩).

- ١-ص/٤٦.
- ٢-ص/٨٠.
- ٣-ص/٨٩.
- ٤-ص/٣٠٠.
- ٥-ص/٣٠١.
- ٦-ص/٢٤٤.
- ٧-ص/٣١٩.
- ٨-ص/٣٧٧.
- ٩-ص/٢١٩.

بينهما ولم يبين العصف عن النصف بالكلية ، يزعم الشيعة أنه لحق ، رضى الله عنه ، إما بضربة سيف أو بغير من الأمور الإلهية على يديه ولم يَـتَـفَـكَّرْ عن على ، رضى الله عنه ، أنه دخل قف هذا البلد ، اللهم إلا أن زعموا أنه كان فى النزم ، فملل جهة الرؤيا فصيح لهم إذ لاتصح لهم جهة البعثة . (١) فخلل كيفية هدمه بتركه بهم ، حتى الكأنه يخشى أن يزلهم .

وربما كان أشد فكاكاته هذه للعبة التي يرونها عن أحوال مجتئين دمشق: " وتندر من بعضهم النواير الطريفة حسبما كنا نسج به . ومن أعجب ماخطت به من ذلك أن رجلا كان يعلم القرآن وكان يقرأ عليه أحد أبناء وجوه البلد من أوتى مسحة جمال ، واسمه نصر الله . وكان المعلم يهيم به ، فزك كلفه حتى اجبل وأدى الى المرستان . واشتهرت عنه وضيحته بالصلى . وربما كان يدخله أبوه إليه ، فيقل له : اخرج وعُد لما كت عليه من القرآن . فقال متلجنا تماجن المجانين : وأى قراة بقيت لى ؟ مابقى من حظى من القرآن شيء سوى : " إذا جاء نصر الله ، ففجأك منه ومن قوله " (٢) . ومع ذلك فإنه لاينسى بعد هذا كله أن يعقب بالدعاء له والمسلمين أجمعين : " ونسأل الله العلية له ، ولكل مسلم ، فلم يزل كذلك حتى توفي ، سجع الله له "

على أن الترويعيين هم الفلزون بأكثر نصيب من وصفه المضمك وتطبيقاته الفلكية النيرة . وهؤلاء السرويين هم قوم من اليمن قراء يعمون على مكة موسم الحج ومهم أنواع الأطعمة التي يتاجرون فيها ويخفون بها عن الحجاج تخفيها كثيرا ثلاثة الطعام وعلاجه في الصجل آنذاك وهم . رغم نيتهم السليمة وساجة نفوسهم وطواريهم البرية ، لا يكادون يعرفون من أمور دينهم شيئا ، فصلاتهم مضحكة وحجهم ومليحت لهم فيه من الفصول أكثر إمعانا :

1-205

107/201

34

المسلات، واستشهد بقول الأخطل:

إن من يدخل الكنيسة يوما
يلتق فيها جنانا وطمه
سرعان ما يثور ضيقه : " ونعوذ بالله من وصف يدخل مصلح اللغو، ويؤدي إلى
أبليس اللو ، ونعوذ به من قيف يؤدي إلى تفيد . إنه سجله أمل القوي وأمل
المنقورة " (٢) .

لا أمل إن أن يتطرق ابن جبر إلى أية موضوعات خارجية. أما الفكرة فليس إلا الدعابة الغريبة بين الحين والحين البعيد.

ومن ذلك معدل قصيره فريخ من ينام من الحجاج في الطريق أن يكون الطبل الموزن بالرجل قد حن: " فريسا كان النائم منهم ينفذ بقو الخُوس (الطبل) فيقوم حجاجا وحالا ، ثم يتحقق لها من أصوات أحلامه فيعود إلى منامه " (٤) .

لما التهم عنده فهو مجرد لمسة خفيفة . إنه يتهم مثلا بقتلة الشيعة في المشرق جبر بأحد المساجد قرب دمشق ، فانظر ملا يقول : " وفي المحراب جبر عظيم قد شق بضفين و التهم

1-20-21

RYA/10-1

Y.Y/50-4

19-5-2

الرحلة لاستجوابه ، ووصف البلاد التي مر بها منذ نزوله الإسكندرية إلى عودته إلى الأناس معيا لها من الرفف والتفصيل حسب أهميتها ومقاييسها من مناظر وآثار ، ووصف عادات أهل كل بلد وتعاليمهم وأخلاقهم ، ووصف المناخ في كل بلد حل به ، ووصف الطرق ومهاجرات المياه المستنقعة عليها ، ووصف الأهرام وأبواب الأهرام والمعابد الفرعونية ، ووصف المساجد والأضرحة ، ووصف البيوت الحرام ومسجد الرسول عليه السلام وقبره ، ووصف مدن الصليبيين في الشام وماضيها عن مدن المسلمين ، ووصف العرس الصليبي الذي شاهده في صور ، ووصف العلاقات السيلية والاجتماعية بين المسلمين والصليبيين ، ووصف الكنائس ، ووصف مقلية ومن فيها من مسلمين ونصارى وسليمة ملكها تجاهه الأتراكين ، ووصف السفينة وبنائها وكيفية قيادتها رأسها لها في الأنوار ، ووصف تحطم سفينة العودة عند مقلية .

وإن جبر في وصفه دقيق لا يهمل شيئا ، بل يورد كل التفاصيل المهمة . ولذلك نراه يستعين بقياس أطوال الأشياء الموصوف إن كان مما يقاس ، فيدرج مثلا طول بهو ما وعرضه وارتفاعه ولون بلاطه ، ويتوقف عند ما فيه من زينة فيصور أشكالها والسمعة التي أنشئت فيها ، وهكذا .

وإن جبر من دقته يعطي بكل ميسر على تمثل الموصوف ، فيذكر الأشكال والأصوات والظلال والألوان والأصوات والحركات .

وهو في أثناء ذلك كله يورد القمص والحكايات والتواريخ والأحداث التي تقع من حوله . وهو يبرز ذلك كله في كثير من الأحيان بوصف أركانه ومشاهيره مدحا أو قنحا ، أو موافقة أو تنقيدا ، أو إعجابا أو خوفا ، أو إبهاما أو يأسا ، حسب طبيعة الموقف .

ومحصل ابن جبر اللغوي واسع لا يهجر عن وصف أي شيء ، حتى في مجال العمارة حيث الأفراس ، والقزمنة ، والتاريخ ، والتشجير ، والتقيب ، والنقش ، والتوريق ، والتكفيت والتجزيح ... وعلم جوا ، فكان ابن جبر قد رُك مهتمسا معمليا وفننا تشكليا .

” واللوم عرب صرحه فصره جفاه أمحصه ، لم تنغم الرقة الصغرية ولاهنتهم السيرة المدنية ولاسدت مقامهم السن الشرعية ، فلا تجد لديهم من أعمال العبادات سوى صدق البنية فهم إذا طلقوا بالكمية المقتضية يتطرحون عليها تتلارح البنين على الأم المشقة لثنتين بجوارها متقلبين بأسارها ، فحيثما علت أليدهم منها تمزق لشدة اجتبابهم لها وإكبابهم عليها ... على أنهم طول ملتهم لا يتمكن منهم طواف ولا يوجد سبل إلى استلام الحصر .

وإذا فتح الباب الكريم فهم الماخزون بسلام ، فترام في محارة دخولهم يتسلسلون كأنهم بعض بعض مرتبطون ، يتصل منهم على هذه الصفة الثلاثون والأربعون إلى أزيد من ذلك والسلاسل منهم يتبع بعضهم بعضا ، وربما انقسمت بواحد منهم يميل عن المصالح البارك إلى البيت الكريم فيقع الكل لوقوفه ، فيشاهد النظير لذلك مرأى يؤدي إلى المصحك .

ولما صلاتهم فلم يذكر في مصحكات الأعراب أطراف منها . وذلك أنهم يستقبلون البيت الكريم فيسجدون دون ركوع ويتقربون بالسجود تقربا . ومنهم من يسجد السجدة الواحدة ، ومنهم من يسجد الثنتين والثلاث والأربع ثم يرفعون رؤوسهم من الأرض قليلا دون تسليم ولا جلوس للتشهد . وربما تكلموا في أثناء ذلك ، وربما رفع أحدهم رأسه من سجوده إلى صاحبه وصاح به وصره بما شاء ثم عاد إلى سجوده ، إلى غير ذلك من أحوالهم الغريبة “ (١) .

ويذكرني هذا بعمل الحجاج الكرويين الآن في الطواف حول الكعبة ، إذ تكون كل طائفة منهم سلسلة بشرية تكسح من يوقعه حظه السوء في طريقها ، ولا يتورعون عن لكر الحجاج الآخرين ليفسحوا لهم . مثل هذا العمل يتم عن أن صاحبه يظن أن الحج مسابقة بدينية لإخترج عن المعالجة وليست عبادة ورياسة روحية سليمة .

ونأتي إلى الوصف في الرحلة . والوصف عند ابن جبر لا يترك يغفل شيئا ، فوحاشا قد وصف البحر وميجانه ، ووصف الجمارك وقسوة تحصيل الضرائب فيها وكيف أخذوا رقيقه في

وأمر المسلمون بتزيل أسلحتهم ومافضل من أروقتهم . وعلى ساحل البحر أنوار يتوكلون بهم ويحصل جميع ما أنزله إلى الديوان ، فاستعصوا واحدا واحدا وأحضروا لكل واحد من الأسباب ، والديوان قد غص بالزحام ، فوقع التفتيش لجميع الأسباب ملحق بها وماجل ، واختلط بعضها ببعض ، وأدخلت الأيدي إلى أسلحتهم بحثا عما عسى أن يكون فيها ، ثم استغلخوا بعد ذلك هل عندهم غير ماوجدوا لهم أو لا . وفى أثناء ذلك ذهب كثير من أسباب الناس لاختلاط الأيدي وتكاثر الزحام ، ثم أطلقوا بعد موقف من النبل والخرى عظيم ، نسأل الله أن يعظم الأجر بذلك . وهذه لأحالة من الأمور الملبس فيها على السلطان الكبير المعروف بصلاح الدين . ولو علم بذلك ، على مايزثر عنه من العمل وينثر الرفق ، لأزال ذلك ، وكفى الله المؤمنين تلك الخلة الفتنة . واستؤدوا الزكاة على أجل الوجوه . ومالينا ببلاد هذا الرجل ما لم يلم به فيجرح لفسن النكر سوى هذه الأحودة التى هى من نتائج عمال الديوان (١) .

وقال من وصف عمارة المسجد الحرام : " وفى ارتفاع جدار هذا الحجر الرخامى خمسة أشبار ونصف ، وسعته أربعة أشبار ونصف . ودخل الحجر بلاط واسع ينصف عليه الحجر كأنه ثلثة دوائر . وهو موزع بالرخام المجزج المقطع فى دور الكف إلى دور الديار إلى ملوق ذلك ، ثم ألصق بنظام بنى وتأليف معجز الصفة غريب إلتقان رائق الترميع والتجزيج رائع التركيب والرصف ، يصر الناظر فيه من التجاريج والتطاميع والخوانم والأشكال الشملنجية وسواها على اختلاف ألوانها وصفاتها مايقيد بعزه حسنا ، فكأنه يجيله فى أزهار مفروشة مختلطة الألوان ، إلى محاريب قد انصرفت عليها الرخام انصاف النسي ودخلها هذه الأشكال الموصوفة والمصانيع المذكورة . ويزارها رختان متصلتان بجوار الحجر المقابل لليزاب أهدت المصانع فيها من التزيق الرقيق والشجير والتقيب مالايعتد الصنع البدين فى الكنف قطعا بالجلين ، فمرأها عجيب أمر بعنتها على هذه الصفة إهام المشرق

ولا أدرى هل يمكن لأى مؤرخ أو معمارى فى العصر الحديث أن يزيد على مقالته ابن جبير ، اللهم إلا بتفسير لفظة هنا أو ههنا ؟

ونتيجة لذلك ، فإننى فى كثير من الأحيان كنت أحس أننى جزء من المنظر الذى يصفه : أشاهد الأتوار ، وأسمع الجلبة ، وأحس ضغط الرخام على بدنى ... إلخ .

ذلك ، وقد أنشئت على هذا الجانب فى أسلوب ابن جبير كثير من كتبنا عنه ، ذكر لشكوفسكى وعبد القدرس الأندلسى (١) .

على أنه قبل إيراد الشواهد المصورة للقدرة الوصفية عند ابن جبير لابد من الإقرار بأن فى كلام كراشكوفسكى عن الإملال الذى يسيبه للقارى العادى وصفه للأجنية كثيرا من المصحة (٢) . ومع ذلك فينبغى الاحتراز بأن ذلك الإملال مقصور على الجولب الفنية فى وصفه للأجنية من القياسات والتعصيمات وما إلى ذلك . وفيما عدا هذا فليس فى وصفه هذا العيب المشمل إليه .

وأخيرا ، هذه شواهد على الوصف عند ابن جبير :

قال عن مكس الإسكندرية : " فمن أول ماشاهنا فيها يوم نزولنا أن طلع أنباء إلى التركيب من قبل السلطان بها لتقيد جميع ماجلب فيه . فاستحضر جميع من كان فيه من المسلمين واحدا واحدا ، وكتبت أسمائهم وصفاتهم وأسماء بلادهم ، وسئل كل واحد منهم عما لديه من سلع أو ثمن (أموال سائلة) ليؤدى زكاة ذلك كله دون أن يبحث عما حال عليه الحول من ذلك أو مالم يحل . وكان أكثرهم متفحصين لأداء القرية لم يستصحبوا سوى زك للبريقهم ، فلوتموا أداة زكاة ذلك دون أن يسأل أحال عليه الحول أم لا . واستنزل أحد بن حسان لينسأل عن ألباء المغرب وطلع المركب ، فطيف به موقفا على السلطان أولا ثم على القاضي ثم على أهل الديوان ثم على جملة من ممن حلقية السلطان . وفى كل يستنهم ثم يقيم قولا . فحلقى سيليته

١- انظر كراشكوفسكى / تاريخ الأدب الجغرافى العربى / القسم الأول / ٣٠١-٣٠٢ . وعبد القدرس الأندلسى / مع ابن جبير فى رحله / ٢٩٦ ومابعدها حيث يذكر من الاستشهاد على الوصف عند ابن جبير .

٢- انظر كراشكوفسكى / تاريخ الأدب الجغرافى العربى / القسم الأول / من ٣٠١ .

حدث الاعتبار، وكل ملك يبنى إلا ملك الواحد القهار، لا شريك له" (١)

وأقسم بالله أننى ملن مرة ذكرت فيها هذا الوصف إلا تراءت لى عني حتى الذهب، وخيل لى أننى أسمع وسوستها وصليلها يملأ الأفان كأنه زقوة ملرة من عات الصائير فى شجرة هة الأوران عند الغروب.

وقال بصور عرسا مليا فى مدينة "مور": "ومن منام زخارف الدنيا المحت بها زفاف

وس شامناه بصور فى أحد الأيام عند يئنا. وقد احتل لك جميع النملرى رجالا ونساء طلقوا مسلمين عند باب العروس الهاء، والوقات تغرب والنواير وجميع الآلات لوية، حتى خرجت تهلدى بين رجلين يسكنها من بين وشمال، كأنها من ذوى أرحاها، لى فى أبهى زى وأفخر لباس، تسحب أقبال الحرير الذهب سجا على البية المودة من هم، وعلى رأسها عصابة ذهب قد حقت بشبكة ذهب منسوجة، وعلى لبها مثل ذلك ستلم، وهى لى فى كلبها وحلها تشى نرا فى فتر مشى الصلعة أو سير العملة، نموذ بالله من قنة ونظر وأملها جلل رجالا من النملرى فى أفخر ملابسهم، البية تسحب أقبالها خلفهم، أما أكأوا ونظراؤا من النصريات يهلين فى أنفس الملابس ويرفان فى أرفل لى، والآلات اللوية قد تلمتهم، والمسلمون وسائر النملرى من النظر قد علوا فى هم مسلمين يتعلمون فيهم ولا يذكرون عليهم ذلك، فسلاوا بها حتى أخلوها دار بعها، لىوا يومهم ذلك فى وليمة، فلأنا الاتفاق إلى رؤية هذا المنظر الزخرفى المستمك بالله الفتة فيه" (٢).

إننى لأحسب نفسى فى حلم وقد وقت تحت طلف بيت فى نهاية الشارع عند منطفه، وموكب يس قلم من بيد مقبل على، وأنا أطلع إلى مسحورا مهورا، وكل ذلك بفعل ابن جبر

أبو العباس أحمد النامر بن المستقوى بالله لى محمد الحسن بن المستجد بالله

أبى المنظر يوسف الجاسى، رضى الله عنه" (١).

وقال واصفا موكب خاتون بنت الملك مسعود (خاتون بنت قلاج أرسلان بن مسعود): "وفى تلك المشية التى رحلتا فيها فجلنا خاتون السعودية العترة شيلا وملا، وهى التى استلبت فى مودج موضوع على خشبتين متزمتين بين ملتين، الراحدة ألم الأخرى، وعليها الجلال المنمبة، وما تسيان بها سير النسيم سرعة وليا، وقد فتح لها ألم الودج وخلفه بيان، وهى ظامرة فى وسطه متقية، وعصابة ذهب على رأسها، وألمها رعل من فيئها وجنهما، وعن يئها جنائب المطايا والمبالج العتاق، وودراهما ركب من جواريا قد ركن المطايا والمبالج على السروج المنمبة، وعصن رؤوسن بالصائب النميات والنسيم يتلاعب بفتائين، وهى يسرن خلف سبتين سير السحاب، ولها الرليات والظبول والبولاق تغرب عند ركبها وعند نزولها. وأبصرنا من نخوة الملك التملى واحتلاله ربة تهر الأرض موا، وتسحب أقبال اللبنا عرا، ويحق أن يخفها المر ويكون لها هذا الهر، فإن سلقه سلكه لبها نحو الأربة أشهر، وصاحب القسطنطينية يؤدى إليه العترة. وهو من المل فى رعيته على سيرة عجية، ومن مالة الجهاد على سة مربية" (٢).

وفى سيرة عجية، ومن مالة الجهاد على سة مربية" (٢). دخلت خاتون السعودية تقود عسكر جواريا وألمها عسكر رجالا يطوفون بها، وقد جالت قتها كلها سبلك ذهب موعة ألمة ودناير سمة الأكف وسلاسل وتمائل ببيعة الصفات، فلا تكد شين من البية موضعا، وميلها ترحان بها زحنا، وصخب ذلك الحلى يسد المسلع، وميلها مجلة الأعناق بالذهب، وموأك جواريا كذلك، مجموع ذلك الذهب ليعصى تقيره، وكان مشها أبيت الأبطال.

في "الإحاطة" له عددا من الأقوال الحكيمية ، مثل : "إن تُشرف الإنسان فحرف وإحسان ، وإن فاق ففضل وإرفاق" ، و "شغل الناس عن طريق الآخرة بزخارف الأغراض ، فاجعوا في الصدود عنها والإعراض . أتروا دنيا هي أعطت أحمالهم ، وكم حقت في جها من أحمالهم . أظالوا منها آلامهم وقصروا أعمارهم . مبالاهم لم يتفرغ لغيرها بالهم ؟ ومالهم في غير ميدانها استباق وإبسوى موألا استباق"

وفيه الأقوال تنطلي صفحة من الفتح المتوسط ، وهي أقوال تتميز بالقصر وحرص كاتبها على الترفيع الموسيقي ، سجعاً وجلساً ومطابقة ، وروحاً وروح وعط وإرشاداً وتزويد في الدنيا وحث على العلم والاستعداد للآخرة ، وعليها مسحة من تشاؤم . وقد أراد لها ابن جبير أن تبقى بعده وتحفظها الأديمان ويرددهما اللسان ، فذلك أنى بها موكزة تركيزاً شديداً ، ووفر لها نصيباً غير قليل من الرنين .

وماك بضعة أقوال أخرى منها :

"ينبغي أن يحفظ الإنسان لسانه ، كما يحفظ العصف إنسانه ، فرب كلمة تقال ، تحدث عشرة

لحائل"

"كم كنت فلتات الألسنة الصداد ، من ورأها ملايس حداد"

"نحن في زمن لا يحظى فيه بفتاق ، إلا من عمل بفتاق" (١)

وهي ، كما ترى ، حكم عامة يعرفها القاصي والدانسي ، ولا خصوصية فيها لابن جبير سوى الصياغة . على أنها ليست صياغة قيمة ، بعكس مايراما عبدالقدوس الأنصاري (٢) ، فقد صيغت في أسلوب مصطنع ليس له رونق أسلوب الرحلة ، لضيق المجال أمامه عن الانطلاق في الوصف والتصوير والتعبير عن المشاعر المتبلية في المواقف المختلفة

١- يرجع إلى "الإحاطة" لسان الدين بن الخطيب / مجلد ٢ / ص ٣٧٢-٣٧٨

٢- انظر "الإحاطة" / ص ٢١ و "مع ابن جبير في رحلته" / ص ٩٢

وأسلوبه الحي وفردته الرصيفة الهائلة : إنه لم يترك وضعا أو حركة أو ملبسا أو صوتا إلا صوره وأبدع في تصويره . على أن الذي فاق كل شيء جمالا وروعة هو وصفه مشية العروس . هذا مصور سينمائي في يده آلة التصوير والتسجيل الموتى لا كاتب مسك قلم يعصف العروس من الذاكرة بعد انقضاءه !

وفي وصف بداية رحلة العودة في البحر المتوسط : "ووصل جريتنا والريح المواقفة تأخض وتنع نحو خمسة أيام . ثم هبت علينا الريح الغربية من مكنها دافعة في وجه المركب ، فأخذ رئيسه ومديره الرومي الجنوبي ، وكان بصيرا بعصفته حاذقا في شغل الرباسة البحرية . يروغها تارة يميناً وتارة شمالاً ، طمعا ألا يرجع على عقبه ، والبحر في أثناء ذلك وهو ساكن . فلما كان نصف الليل أو قريب منه ، ليلة السبت التاسع عشر لرحب المذكور والسميح والمضربين لأكبر . توددت علينا الريح الغربية فقصفت فربة الصاري المعروف بالأردمون ، وأقلت نصفها في البحر مع ما اتصل بها من الشراع ، وعصم الله من وقوعها في المركب لأنها كانت تشبه الصواري عظاما ومضخمة ، فتبلر البحريون إليها ، وحط شراع الصاري الكبير ، وعقل المركب من جوبه ، وصبح بالبحريين الملازمين للشاري المرتبط بالمركب ، قصدوا إلى نصف الغشبية الواقعة في البحر وأخرجوها مع الشراع المرتبط بها ، وحصلنا في أمر لايمله إلى الله تعالى . وشروعوا في رفع الشراع الكبير ، وأفلخوا في الأردن شراعا يعرف باللون . وبتا ليلة شهباء إلى أن وضع الصباح . وقد عز وجل بالسلاحة . وشرع البحريون في إصلاح فربة أخرى من خشبة كانت معة عندهم ، والريح الغربية على أول لجاجها ، ونحن بين الأيس والرجاء . نتردد مقلبين حسن التقة بجميل صنع الله تعالى وحفي لطفه ومعونه فضله ، سبحانه هو أهل ذلك ، جلت قدرته وتنامت عظمته ، لا إله سواه" (١)

على أن الرحلة ليست هي كل ماوصلنا من شئ ابن جبير . فقد أورد لسان الدين بن الخطيب

الفهرس

٣	المقدمة
٥	من كتب رحلة ابن جيو؟
١٧	المفردات
٦٧	صيغ المفردات
١٢٥	العبارات
١٦١	التواكيب
١٨٣	الصور والمحسنات
١٩٩	الفكاهة والوصف
٢١١	الفهرس

